رسائل تفسيرية
على الرسالة إلى أهل غلاطية

Expository Commentary On The Letter Of Paul To The Galatians

www.muhammadanism.org
May 23, 2007
Arabic

هـ. أ. أيرونسايد
H. A. Ironside

مؤلف "محاضرات على الرؤيا"، "تفسير إرميا"، "تفسير رسالة فيلبي"، "تفسير سفر أستير"، و"القداسة: الخطأ والصواب".،... الخ.

The author of “Lectures on Revelation” & “Commentary on Jeremiah” “Commentary on the Letter to the Philippians” & “Commentary on Esther” and “Holiness: True and False” … Etc.

WESTERN BOOK AND TRACT CO.
1719 Franklin St., Oakland, Calif.

نشر

LOIZEUX BROTHERS PUBLISHERS
19 West 21st Street
New York

الطبعة الأولى، كانون الثاني ١٩٤١
الطبعة الخامسة تشرين الثاني ١٩٥٠

طُبع النص الإنكليزي للكتاب في الولايات المتحدة الأمريكية

كلمة تمهيدية

هذه الرسائل التالية قُدِّمَتْ في كنيسة ***Moody Church***، في شيكاغو، كسلسلة، وهي تُنشرُ الآن، على أمل أن تكون مفيدة للبعض الذي اختلط عليه موضوع الناموس والنعمة.

لم تُعَدَّ هذه الرسائلُ للدارسينَ أو اللاهوتيينَ، بل لعامة الناس، الذين يثمّنونَ غالياً المكاشفاتِ الواضحةَ لكلمة الله.

هـــ. أ. أيرونساید

شيكاغو، تشرين الأول، ١٩٤٠

المحتويات

الفصل ١: مدخل (غل ١: ١- ٥)	٥
الفصل ٢: ما من إنجيل آخر (غل ١: ٦- ٩)	١١
الفصل ٣: اهتداء بولس ورسوليته (غل ١: ١٠- ٢٤)	١٨
الفصل ٤: الإنجيل كما كُرزَ به لليهود والأمميين (غل ٢: ١- ١٠)	٢٤
الفصل ٥: ارتداد بطرس في أنطاكية (غل ٢: ١١- ٢١)	٣٠
الفصل ٦: "مَنْ رَقَاكُمْ؟" (غل ٣: ١- ٩)	٣٦
الفصل ٧: مفتدون من لعنة الناموس (غل ٣: ١٠- ١٨)	٤١
الفصل ٨: النَّامُوسُ مُؤَدِّبُنَا إِلَى الْمَسِيحِ (غل ٣: ١٩- ٢٩)	٤٧
الفصل ٩: تبنّي الأولاد (غل ٤: ١- ٧)	٥٣
الفصل ١٠: أَرْكَانِ الْعَالَمِ (غل ٤: ٨- ٢٠)	٥٧
الفصل ١١: رمزٌ إلهي (غل ٤: ٢١- ٣١)	٦٣
الفصل ١٢: السقوط مِنَ النِّعْمَةِ (غل ٥: ١- ٦)	٧٠
الفصل ١٣: الإيمان العامل بالمحبة (غل ٥: ٧- ١٥)	٧٤
الفصل ١٤: حرية وليس فجوراً (غل ٥: ١٦- ٢٦)	٧٩
الفصل ١٥: النعمة العاملة (غل ٦: ١- ١٠)	٨٥
الفصل ١٦: الافتخارُ بالصليبِ (غل ٦: ١١-١٨)	٨٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الأول

مدخل

(غل ١: ١- ٥)

"بُولُسُ، رَسُولٌ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَان، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَجَمِيعُ الإِخْوَةِ الَّذِينَ مَعِي، إِلَى كَنَائِسِ غَلاَطِيَّةَ. نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ، وَمِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ."

إن الرسالةَ إلى أهل غلاطية ترتبطُ بشكلٍ صميميّ وثيقٍ بالرسالة إلى أهلِ رومية. هناكَ أسبابٌ معقولةٌ، على ما يبدو، تجعلنا نعتقدُ أنّ كلتا الرسالتين قد كُتبتَا في نفسِ الوقتِ تقريباً، وعلى الأرجحِ، من كورنثوس خلال الفترةِ التي كان بولس يخدمُ فيها مبشراً بالمسيحِ في تلك المدينةِ العظيمة. لدينا في رومية (رسالة رومية) الكشف الأكثر كمالاً وشموليّةً لإنجيلِ نعمةِ الله التي نجدها في كلِّ مكانٍ في العهدِ الجديد. في الرسالةِ إلى أهل غلاطية نرى تلك الرسالة الإنجيلية المجيدة وقد دافعَ عنها بولس ضدَّ أولئكَ الذينَ كانوا يسعونَ للاستعاضةِ عن النعمةِ بالناموسيّة (التشريعات والالتزامات القانونية). هناك تعابيرُ كثيرةٌ في الرسالتين نجدها متشابهةً للغاية. فكلتا الرسالتين، كما هو الحال أيضاً في الرسالةِ إلى العبرانيين، تستندُ إلى نصٍ معينٍ من العهدِ القديم نجدهُ في الإصحاحِ الثاني من سفر حَبقوق: "إنَّ البارَ بالإيمانِ يحيا". اسمحوا لي أن أُكررَ القولَ بأنَّ كل ما أذكرهُ في محاضراتي عن رسالةِ رومية ينطبقُ أيضاً على الرسالةِ إلى العبرانيين. في الرسالةِ إلى رومية نجدُ التركيزَ على موضوعِ "البرِّ" أو "البار". كيفَ يمكنُ للناسِ أن يكونوا أبراراً أمامَ الله؟ الجوابُ هو: "إنَّ البارَ بالإيمانِ يحيا". ولكن إن تبرَّرَ أحدٌ بالإيمانِ فكيفَ لهُ أَن يحافظَ على مكانته تلكَ أمامَ الله؟ جوابُ ذلكَ نجدهُ في الرسالةِ إلى غلاطية وهنا يكونُ التركيزُ على كلمة "الحياةُ بالإيمان". ولكن ما هي تلكَ القوةُ التي بها يصيرُ الناسُ أبراراً وبها يَحيَونَ؟ تجيبُ الرسالةُ إلى العبرانيين على هذا بأن نجعلَ التركيزَ ينصبُّ على آخرِ كلمتين من نفس النص: "بالإيمان يحيا". ومنْ هنا نرى أنّ هذه الرسائل الثلاث تؤسسُ ثلاثيةً لافتةً للانتباه فعلاً، وأنَّهُ على الرغمِ من أنَّ كثير منَ الدارسين قد كتبوا خلافاً لذلكَ، إلا أنني مقتنعٌ شخصياً وعلى نحو تام أنَّ الرسائل الثلاث قد كُتِبَتْ بنفسِ اليدِ البشرية، أعني بها بولس الرسول. لقد ذَكرتُ عدةَ أسبابٍ لاعتقادي هذا في كتابي عن الرسالة إلى العبرانيين، فلا داعٍ لإعادةِ ذكرها هنا.

والآن أذكرُ بعضَ الأسبابِ التي دعتْ بولس إلى كتابةِ هذه الرسالة (رسالة غلاطية). لقد كانَ بولس قد عملَ جاهداً في غلاطية في مناسبتينِ مميزتين. إلا أنَّهُ في المرةِ الثالثة مُنعَ من الذهابِ إلى هناكَ وبيّنَ لهُ روحُ قدسِ الله أنّ هذه لم تكنْ مشيئتهُ فقادهُ إلى مكانٍ آخرَ جعلَهُ في النهايةِ يطوفُ أوروبا. في الإصحاحات (١٣- ١٤) من أعمال الرسل نقرأُ عن خدمةِ بولس التبشيرية في أنطاكيّةَ بيسيديّةَ، وإيقونيَّةَ، ولسْترَةَ، ودَربَةَ. في حين يقالُ أن أنطاكيةَ هي في بيسيديّة وأنَّ هذه المدنَ الثلاثَ الأخرى تقعُ في ليكأونيّةَ، بحسب أفضلِ السجلاتِ التي لدينا، فإن كلتا المقاطعتين في بيسيديّة وليكأونيّة مرتبطان بغلاطية في هذا الوقت، لذلكَ فقد كانت هاتان المدينتان تابعتين لغلاطية حيثُ عملَ بولس جاهداً وحيثُ فلحَ اللهُ باقتدارٍ. إن سكان غلاطية من نفس عرق الشعب الذي انحدر منه سكانُ إيرلندة القدماء، وويلز، ونجود اسكوتلندة، وأيضاً فرنسا وشمال إسبانيا، وبلاد الغال. إن غلاطية هي فعلاً بلدُ الغال، وهذه العواطف العميقة القوية التي تميِّزُ هذه العروق التي ذكرتها،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والاسكوتلنديين الصوفيين الأسراريّين، والويلزيّين الودودين، والفرنسيين السريعي التأثر، والإيرلنديين الممتلئين بالطاقة والنشاط، كل هذه المواصفات تجلت في شعب الغال القدماء. لقد انتشروا من غلاطية إلى أوروبا الغربية واستقروا في فرنسا وشمال إسبانيا ثم جاؤوا إلى الجزرِ البريطانية. وبما أنَّ كثيرينَ منّا مرتبطون إلى حدٍ ما بإحدى هذه الجماعات المختلفة التي ذكرتها، فإننا سنهتمُ من كل بدٍ اهتماماً خاصاً بالرسالة إلى غلاطية والتي هي بالمناسبة الضربة القاضية لما يسمى تهويدُ البريطانيين. لقد كانَ أهل الغال أمميين وليسوا يهوداً.

عندما دخلَ بولسَ بينهم واختلط بهم كانوا كلهم عبدة أوثان، ولكن بكرازَته بالكلمة اعتاد على أن يأتي بكثيرينَ منهم إلى المعرفة الخلاصيّة للرب يسوع المسيح، وصاروا مخلصينَ أوفياءَ بشدة للرجلِ الذي قادهم إلى المعرفة الرب يسوع المسيح مخلصاً لهم. لقد كانَ أمراً عظيماً ورائعاً بالنسبة لهم، أن أُخرجوا من عتمة الوثنية إلى حرية ونور الإنجيل المجيد. ولكن عندما يقبل الناس أحياناً رسالة الإنجيل بسرور بالغ وحماسة، ينبغي عليهم أن يمروا باختبارات قاسية فيما بعد، كما ثبت البرهان في حالة أهل غلاطية. بعد أن تركهم بولس هناك انحدر من اليهودية رجال معينون يدّعون أن يعقوب وجماعة الرسل في أورشليم قد أرسلتهم، فقالوا للغلاطين أنهم ما لم يحفظوا ناموس موسى، ويحفظوا عهد الختان، وأيام العطلات والأعياد في النظام الديني اليهودي والمناسبات والمواسم المعينة، فإنه لا يمكنهم أن يخلصوا. وهذا ما أثار اهتياج الرسول بولس عندما علم به، حتى أنه اعتزم القيام بزيارة ثانية ليحرر أولئك الناس من تلك الالتزامات التشريعية. ولكن بطريقة أو بأخرى هناك دائماً خطر أن تستحوذ الفكرة الخاطئة على عقول الناس وتجعلهم يفترضون أن ما في فكرهم هو حقيقة هامة بينما هي ليست كذلك. هذا أمر. ومن ناحية أخرى قد يسير الإنسان في حياته الروحية مع الله الحق بطريقة هادئة سلسة ثم يعترضُه أمر فيه التباس، فلا يُلقي إليه بالاً. وغالباً ما رأينا هذا الأمر يسبب مشكلة بشكل واضح.

أشير هنا فقط إلى التعاليم المزيفة. لا أعرف أسماء الرجال الذين جاؤوا إلى غلاطية لكي يحيدوا الغلاطيين عن حقيقة الإنجيل كما بيّن الرسول بولس، ولكني أعرف التعاليم التي كانوا ينادون بها. لقد كانوا يستبدلون النعمة بالناموس، وكانوا يحيدون قلوب وعقول هؤلاء المسيحيين المخلصين بعيداً عن الحرية المجيدة في المسيح، ويدخلونهم إلى عبودية الشعائر والطقوس التشريعية. ولكي يفعلوا ذلك كان لا بد لهم من يحاولوا أن يزعزعوا ثقة الناس بمعلمهم العظيم الذي قادهم إلى المسيح، والذي هو الرسول بولس نفسه، ولذلك جعلوا رسوليّته (سلطته الرسوليّة) في موضع الشك. لقد كان هجومهم موجهاً ضد رسوليّته، بل حتى لم يتورعوا عن أن يطعنوا باستقامته.

لقد تسلّلوا في محاولة منهم للنيل من ثقة المؤمنين، وحاولوا إضعاف إيمانهم بالشخص الذي قادهم إلى المسيح، آملين بذلك أن ينسفوا ثقتهم بإنجيل نعمة الله ويستبدلوه بأحكام تشريعية بدلاً من ذلك. عندما سمع بولس ذلك كان حزيناً للغاية. بالنسبة له لم تكن العقيدة مسألة قابلة للنقاش والجدال. ولم تكن قضية حفاظه على مكانته مهما كلف الأمر. لقد كان يدرك أن الناس يتقدّسون بحقيقة الله، ومن جهة أخرى يرتبكون بوجود غلط، ولذلك كانت المسألة مهمة جداً بالنسبة له أن يتمسك المهتدون على يده بتلك الحقيقة التي تُنَوِر وتُهذِّب وتقود إلى السبل التي في المسيح. عندما وردته أخبار ارتداد هؤلاء جلس وكتب هذه الرسالة. لم يفعل ما كان يفعله بالعادة فلا نعرف أبداً في العهد الجديد أي مثال ، على حدٍّ علمنا، أنّ بولس يكتب الرسالة بيده ذاته. كان في العادة يُمْلي رسائلَه على كاتب ما يكتب له. وكانت رسائله تشبه إلى حد بعيد أسلوب الاختزال، في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تلك الأيام، وقد وصلتْنا نسخٌ منها، وهذه جعلتنا نعرف كيف كانت تسير الأمور. وبعد ذلك كانت هذه الرسائل تُعد على نحو سليم مناسب وتُرسل على يد نُسّاخه المختلفين. إلا أنّه في هذه المناسبة كان مترعجاً جداً، ومتأثراً بعمق، حتى أنه لم يطق صبراً على انتظار حضور ناسخ. بل إنه طلب قرطاساً، وقلماً، وحبراً، وجلس وكتب هذه الرسالة بأكملها بيدٍ مرتجفةٍ متوترة. ويقول في خاتمتها: "اُنْظُرُوا، مَا أَكْبَرَ الأَحْرُفَ الَّتِي كَتَبْتُهَا إِلَيْكُمْ بِيَدِي!" (غل ٦: ١١). هذه هي الترجمة الصحيحة لتلك الكلمات. من الواضح أن بولس كان يعاني من شيء في عينيه ولذلك لم يستطعْ أن يرى بشكل واضح فأخذ قلمَه، وكمثل شخص كفيف البصر جزئياً كتب الرسالة على القرطاس بأحرف كبيرة مضطربة فبدت كرسالة طويلة. ثم هرع إلى إرسالها إلى غلاطية على أمل أن يستخدمها الله لإنقاذ أولئك الناس من الأغلاط التي كانوا قد وقعوا بها. في بعض الجوانب نرى أن هذه الرسالة من أمتع الرسائل لأن فيها الكثير من الكشف عن الذات. فكأنّه بها يفتح نافذة إلى أعماق قلبه فنرى نفس الإنسان ذاتها ونرى الدوافع التي تحركه وتسيطر عليه دافعة إياه إلى الكتابة. إن الرسالة بحد ذاتها بسيطة في بنيتها. وبدلاً من تقسيمها إلى عدد كبير جداً من المقاطع الصغيرة أرى أن فيها الأقسام الرئيسة الثلاثة التالية:

-الإصحاحات ١-٢: شخصية.

-الإصحاحات ٣-٤: عقائدية.

-الإصحاحات ٥-٦: عملية.

إذا وضعنا هذه التقسيمات بذهننا بانتباه فإننا لن ننساها أبداً، إن موضوع الرسالة هو "الناموس والنعمة" والطريقة التي يطرح الرسول بولس موضوعه فيها هي على الشكل التالي: الإصحاحات ١-٢ شخصية. في هذه الإصحاحات ينقل لنا خبرته الشخصية بشكل كبير. فيُرينا كيف أنّه كان في السابق يهودياً صارماً متزمتاً ملتزماً بالناموس، وكيف أنَّه قد أتى إلى معرفة نعمة الله، وكيف اضطر إلى الدفاع عن مكانته ضد من يفرضون الشرائع والالتزامات. الإصحاحات ٣-٤ عقائدية ففي هذه الإصحاحات والتي هي لُب الرسالة، يبيّن لنا، كما في رسالة رومية، حقيقة الخلاص العظيمة بالنعمة وحدها. أما الإصحاحات ٥-٦ عملية، وهي ترينا الاعتبارات الأخلاقية والأدبية التي تتأتّى عن معرفة حقيقة الخلاص بالنعمة المجانية. وهذه التقسيمات هي في غاية السهولة.

ننتقل الآن إلى التأمل في مقدمة الرسالة في القسم الشخصي. تشكل الآيات الثلاث الأولى التحية الرسولية: "بولس، رسول". ألقوا نظرة إلى الرسائل الأخرى، وستجدون أنه لا يشير إلى نفسه أبداً بكلمة رسول ما لم تكن الرسالة التي يكتبها ما لم تكن الرسالة التي يكتبها من موجهة إلى أناس لديهم شك في رسوليّته، أو أن لديه عقيدة مهمة ما عليه أن يكشف عنها لأولئك الناس الذين لن يقبلوها على الأرجح ما لم يدركوا أن لديه تفويض رسولي معين. إنه يفضل على نحو واضح أن يتحدث عن نفسه كـ "عبد يسوع المسيح"، وتلك الكلمة "عبد (خادم)" تعني رقيق، أي: شخص يُشرى ويُدفع ثمنه. لقد كان بولس يحب أن يفكر على هذا النحو. لقد اُشتري ودُفع ثمنه بدم المسيح الثمين، ولذلك فقد كان عبداً للمسيح، ولكنه في هذه المناسبة رأى أنه من الضروري أن يؤكد على رسوليّته، لأن حقائق عظيمة هامة كانت على المحك، إذ كانت مرتبطة على نحو وثيق الصلة بتفويضه الشخصي من قبل الله، حتى أنه كان ضرورياً أن يؤكد على حقيقة كونه رسولاً معيناً من الله على نحو محدد مطلق. إن كلمة "رسول"، على جميع الأحوال تعني "مرسل"، أو "سفير مفوض"، إلا أنها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تستخدم بمعنى احترافي مرتبط بالتلاميذ الاثني عشر الذين كانوا هم الرسل خاصة بالنسبة لليهود، كما بالنسبة للأمميّين أيضاً، وكذلك الأمر بالنسبة لبولس نفسه الذي، ورغم أنه كان قبل كل شيء رسول الأمم، كان دائماً ينطلق أولاً إلى اليهود في كل مكان عمل فيه. كان بولس رسولاً، "لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ". أعتقد أن لديه سبباً خاصاً ليكتب على هذا الشكل. لقد كان مناوئوه الذين يقللون من شأنه يقولون: "من أين أتى برسوليّته؟ من أين أتى بتفويضه؟ فليس ذلك من بطرس ولا من يوحنا. من أين حصل على سلطته إذاً؟" فيقول: أفتخر بحقيقة أني لم أحصل على شيء من إنسان، فما تلقيته إنما استلمته مباشرةً من السماء. فلستُ رسولاً من الناس ولا بوسائل بشرية. وليس الناس هم من أعطوني السلطة بالأصل ولم يكن ذلك من مدرسة، أو أسقف، أو مجلس أساقفة، في أورشليم. كانت سلطتي "لا من الناس ولا بإنسان". ورغم أن الله هو من عيّنني، فإن سلطتي لم أتلقّاها من بَشَرٍ. يقول القديس جيروم: "هناك في الواقع أربع فئات للخدمة الرسوليّة في الكنيسة المسيحية المعترفة. فأولاً هناك أولئك الذين لم يُرسلهم بشر ولا من خلال بشر بل مباشرةً من الله". ثم يبين أنّ هذا الأمر كان حقيقياً في ما يتعلق بأنبياء زمن العصور القديم فلم يكن الناس هم من فوضّه ولا أخذوا سلطتهم من بشر بل إنّهم فُوضّوا مباشرة من الله، وبالطبع فإن هذا ينطبق على الرسول بولس. ويتابع جيروم قائلاً: "وثانياً هناك من يأخذون تفويضهم من الله ومن خلال البشر كما الحال مع شخص يشعر بأنه مدعو بشكل واضح من الله للكرازة فيمتحنه إخوته ويشعرون بالرضا والقناعة أنه مدعوٌ للتبشير، فيعهدون إليه العمل الرسوليّ، وربما يكون ذلك بوضع الأيدي، وهكذا يكون خادماً لله ورسولاً لله، من الله ومن خلال البشر. وثالثاً هناك أولئك الذين يأخذون تفويضهم من البشر ولكن ليس من الله. أولئك هم الرجال الذين اختاروا خدمة الكرازة المسيحية مهنة يحترفونها؛ لعلهم لم يولدوا أبداً من جديد، لكنهم باختيارهم التبشير كحرفة يطلبون من الأسقف أو مجلس الكنيسة المسيحية أو الكنيسة أن يُصار إلى سيامتهم ". ولكن على حد قول سبرجيون: "إن السيامة لا تقدم ولا تؤخر شيئاً بالنسبة لإنسان لم يتلقَّ دعوته من الله. فالأمر يصبح مجرد وضع أيدي فارغة على رأس فارغ". ينطلق الإنسان وقد أُعلن خادماً للكرازة، ولكنه ليس خادماً لله. ثم يقول جيروم: "هناك فئة رابعة. وهم رجال يكلفون بخدمة المسيح، وقد تلّقوا سلطتهم ليس من الله ولا من البشر، بل إنّهم يعملون بشكل حر أو مستقل وحسب. فيمكنك أن تأخذ بكلامهم من منطلق أنهم موظفون معينون. ما من أحد آخر يستطيع أن يميز أي دليل أو علامة فيها". لقد كان بولس من الفئة والدرجة الأولى. فتلقى تفويضه مباشرة من الله، وليس لأحد أن يثبت ذلك من بعيد أو قريب. ولكن ماذا عن القديسين في أنطاكيّة الذين وضعوا أيديهم عليه عندما كان على وشك أن ينطلق هو وبرنابا للكرازة إلى الأمميين؟ لعلك تتساءل هكذا. لم يكن في هذا توكيد بشري على رسوليته لأنّه ذهب إلى هناك أصلاً كرسول للرب يسوع.

من أين حصل بولس على تفويضه؟ يخبرنا هو بنفسه عن ذلك في الإصحاح ٢٦ من سفر أعمال الرسل فعندما وقع أرضاً على طريق دمشق، تراءى له المسيح الناهض من الأموات وقال له: "أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. وَلَكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لأَنِّي لِهَذَا ظَهَرْتُ لَكَ لأَنْتَخِبَكَ خَادِماً وَشَاهِداً بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ مُنْقِذاً إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ" (أع ٢٦: ١٥– ١٨). يقول بولس أنه من هناك حصل على تفويضه. "مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ لَمْ أَكُنْ مُعَانِداً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لِلرُّؤْيَا السَّمَاوِيَّة" (أع ٢٦: ١٩)، بل على توافق مع الأمر الإلهي في أن أخبر "الذين فِي دِمَشْقَ وَفِي أُورُشَلِيمَ حَتَّى جَمِيعِ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ ثُمَّ الأُمَمَ أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ" (أع ٢٦: ١٩، ٢٠). ومن هنا فإن بولس كان رسولاً "لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ".

أعتقدُ أنّه كان لديه سبب خاص لتأكيده على القيامة. كان هناك من يقول: "لا يستطيع بولس أن يكون رسولاً أبداً، لأنّه لم يَرَ الرب يسوع. فلم يكن أحد الاثني عشر، ولم يتتلمذ على يد المسيح. فكيف له الحق بأن ينسب لنفسه اسم رسول؟" فيقول: "ألم أَرَ يسوع المسيح؟ لقد رأيته كما لم يره أحد آخر من البقية. رأيتُه في المجد وهو قائم من بين الأموات، وسمعت صوته من السماء، وتلقيت تفويضه لي من شفتيه". ولذلك فإنه يدعو رسالته في مكان معين "الإنجيل المجيد لله المبارك". وهذا يمكن ترجمته بكلمات أخرى على أنّه "إنجيل مجد الله السعيد". فالله في غاية السعادة والسرور الآن إذ أنّ مسألة الخطيئة قد حُلَّت وفي مقدوره أن يرسل رسالة نعمته إلى كل أرجاء الأرض، وهي "إنجيل مجد الله السعيد" لأنها من المجد.

بعد ذلك يبين بولس علاقته بالآخرين. فهو لم يكن يعمل لوحده بل كان على تواصل مع زملائه في العمل البشاري، ومن هنا نجده يقول: ".... وَجَمِيعُ الإِخْوَةِ الَّذِينَ مَعِي، إِلَى كَنَائِسِ غَلاَطِيَّةَ. نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ، وَمِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ". "النعمة" هي الكلمة اليونانية التي كانت تُستخدم لإلقاء التحية، في حين تُستخدم كلمة "سلام" في العبرية للتحية. ويفتخر بولس بأن الحائط المتوسط الفاصل بين اليهود والأمميين قد تهدم في الخليقة الجديدة، لذا فإنه يجمع هنا بين كلتا التحيتين. وكم تتناسب هاتان (النعمة والسلام) على نحو جميل في الإعلان المسيحي. فهذه ليست النعمة التي تخلص، بل النعمة التي تحفظ. وليس ذلك سلام مع الله، الذي صنعه دم صليبه والذي كان أصلاً لهم، بل سلام الله الذي كانوا معرضين تماماً لفقدانه إن خرجوا عن الشركة معه.

وفي الآيات ٤و٥ يستأنف بولس حديثه فيركز على عمل ربنا يسوع. دعونا نفكر في هذه الكلمات بتمعن وبدقة وعناية وبفكر تأمّلي. "رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا". أفننسى ما عاناه المسيح من أجلنا؟ ذاك الذي "بذل نفسه". لمن يشير ضمير الغائب هنا؟ إنه الابن الأبدي السرمدي الذي للآب، الذي كان مع الآب منذ قبل خلق العالم، ومع ذلك تنازل بنعمة لا متناهية ليصير إنساناً. ورغم كونه إنساناً لم يكفّ عن كونه إلهاً. لقد كان إنساناً وإلهاً في أقنوم واحد ممجّد وفيه من الأهلية والميزات الكثيرة ما أهله ليستطيع أن يفي الدين الكبير الذي كنا ندين به لله. لقد سوّى مسألة الخطيئة لأجلنا كما لم يفعل أحد آخر. ونجد مطلع الترنيمة يقول:

"ما من ملاك أمكنه أن يأخذ مكاننا،
ولكن انحدر ذلك العلي من السماء؛
المحبوب، المتروك على الصليب،
كان أحد الثالوث القدوس"

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من بين كل الناس كُتب: "الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ. وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ فَعَلِقَتْ إِلَى الدَّهْرِ" (مز ٤٩: ٧، ٨). ولكن هوذا من صارَ إنساناً ليفتدي نفوسنا: "ابْنُ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (متى ٢٠: ٢٨).

"الذي بَذَل نَفْسَهُ". فكروا في ذلك. عندما نتذكر آثامنا، والفساد والتعفن في قلوبنا، والشر الذي على شفاهنا، وعندما نفكر بما نستحق عقاباً على خطايانا وكم كنا عاجزين عن تحرير ذواتنا من الدينونة العادلة التي نستحقها، فعندئذ نفكر به، ذلك القدوس، البار، ونرنم:

"القدير في عرش السماء،
الذي تنازل ليصير إنساناً وتراباً
لأجل أن يُقيمَ ذلك الأثيم الساقط".

من هذا المنطلق كم ينبغي أن تتوجه إليه قلوبنا بحب وتعبد. أعتقد أنه كان صعباً على بولس أن يتمالك نفسه عن ذرف الدموع وهو يكتب قائلاً: "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا". إننا نميل لتناسي تلك الخطايا، إلا أنه يجدر بنا أحياناً أن نتذكر حفرة الهاوية التي انتُشلنا منها، لأن خطايانا هي الخلفية القاتمة التي ستُظهر جوهرة النعمة الإلهية المجيدة إلى أبد الآبدين. هو، ليس فقط سيخلصنا من الدينونة الأبدية، وليس فقط سيحمينا من الضلال في تلك العتمة، تلك الحفرة المظلمة من الويل والوباء التي يتحدث عنها الكتاب المقدس بمهابة وجدية، بل إنّنا سنكون له هنا كلياً، "لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ". لقد جعله الإنسان شريراً من جرَّاء خطيئته وآثامه ونكرانه لله وخيانته له، أما نحن المخلَّصون فعلينا أن نتحرر منه، لكي نتكرس لله.

"حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا". بهذه الكلمات يوجز بولس هدف مجيء الرب إلى العالم. فلقد مات عن خطايانا لكي نتخلص من سلطان الخطيئة ونكون له كلياً. "الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ."

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل ٢

ما من إنجيل آخر

(غل ١: ٦- ٩)

"إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ. لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. وَلَكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا». كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضاً: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»".

هذه الكلمات قوية جداً، وأستطيع أن أتفهم أن بعض الناس قد يجدون صعوبة في أن يوفقوا بينها وبين حقيقة النعمة التي في المسيح يسوع. يلقي بولس الرسول بلعنة مرتين على أولئك الذين يكرزون بأي إنجيل آخر مخالف لما أعلنه هو نفسه لأولئك الغلاطيين حين كانوا خطأة تعساء، والذي استخدمه الله ليقودهم إلى الرب يسوع المسيح. قد يتساءل البعض: هل هذا هو موقف الخادم المسيحي أن يلعن الناس الذين لا يوافقونه الرأي؟ لا. وبالتأكيد ليس هذا أيضاً موقف بولس. فلماذا يستخدم إذاً هكذا لغة قوية؟ ليس الأمر هو أنه نفسه يلعن أحداً، بل إنه يعلن، بالوحي الذي أعطي له بالروح القدس، أن الدينونة الإلهية ستقع على كل من يسعى لتحريف إنجيل المسيح أو لإبعاد الناس عن ذلك الإنجيل. بمعنى آخر، يدرك الرسول بولس حقيقة أن الإنجيل هو رسالة الله الوحيدة للضالين، وأن تحريف ذلك الإنجيل، بتقديم بديل آخر مخالف للناس، يدسه إنسانٌ لهم إنجيلاً مزيفاً، إنما يشكل خطراً يهدد نفوس أولئك الذين يستمعون إليه. لقد أكد ربنا يسوع المسيح على ذلك عندما أشار إلى أن أولئك الذين كانوا يعلمون الناس أن يضعوا ثقتهم في جهودهم الخاصة سعياً وراء الخلاص ما هم إلا قادة عميان يقودون أناساً عميان وأنه سيسقط الجميع في الحفرة في نهاية الأمر. إنه لأمر خطير أن تضلل الناس في الأمور الروحية. ومن المريع أن تعطي الاتجاه الخاطئ عندما تسألك النفوس عن الطريق إلى السماء.

أذكر قصة قرأتها عن امرأة كانت مع طفلها الرضيع الصغير في قطار يعبر إحدى الولايات الشرقية. لقد كان ذلك في يوم شتوي عاصف. وفي الخارج كانت عاصفة هوجاء تهب، وكان الثلج ينهمر، وكان القطقط يغطي كل شيء. كان القطار يشق طريقه ببطء بسبب الجليد على خطوط السكة الحديدية وكانت جرافات الثلج تسير في الأمام لتفتح الطريق. بدت المرأة متوترة مضطربة جداً. كان عليها أن تترجا في محطة صغيرة حيث كان من المفترض أن يلتقيها هناك بعض أصدقائها، وقالت لقاطع التذاكر: "أرجو أن تتأكد وأن تخبرني عندما نصل إلى المحطة المنشودة. هلا فعلت؟"

فقال لها: " بالتأكيد. ابقي هنا إلى أن أُنبئك بوصولنا إلى المحطة المطلوبة".

وهنا جلست وقد هدأ توترها وأكدت على قاطع التذاكر: "لا أعتقد أنك ستنساني".

وكان تاجرٌ مسافر يجلس قبالة الممشى، فانحنى إلى الأمام نحوها وقال: "عذراً ولكنني أرى أنك لا زلت متوترة بشأن نزولك في المحطة. إني أعرف هذه الطريق جيداً. إن محطتك هي أول محطة توقف بعد مدينة (كذا). قاطعوا التذاكر هؤلاء كثيري النسيان، فلديهم أشياء كثيرة تشغل بالهم، وقد يغفل عن طلبك، ولكني سأحرص على أن أساعدك للنزول في المكان الصحيح. وسوف أساعدك في حمل حقائبك".

فقالت: "شكراً لك". واستندت إلى الوراء وقد شعرت بارتياح شديد.

بعد حين نُودِي باسم المدينة التي ذكرتها، فعاد وانحنى إلى الأمام وقال لها: "إن محطتك هي التالية".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وبينما هم يقتربون من المحطة نظرت حولها بقلق باحثة عن قاطع التذاكر ولكنه لم يأتِ. فقال الرجل: "أرأيت، لقد نسيك. سأنزلك هنا". وساعدها في حمل حقائبها، وبما أن قاطع التذاكر لم يأت ليفتح الباب فقد فتحه بنفسه، وسرعان ما أنزل حقائبها وساعدها على أن تترجل من القطار حالما وقف. وما لبث القطار أن عاود تحركه من جديد.

بعد بضعة دقائق جاء قاطع التذاكر، وقال وهو ينظر حوله: "ما هذا؟ يا للأمر الغريب! لقد كانت هنا امرأة تريد أن تنزل في هذه المحطة. عجباً أين هي؟".

فرفع التاجر صوته وقال: "بلى. لقد نسيتَها، إلا أنني ساعدتها على أن تنزل في المكان المنشود".

فسأل قاطع التذاكر: "أين نزلت؟"

أجاب الرجل: "عندما توقف القطار".

فقال: "ولكن لم تكن تلك محطةً. لقد كانت نقطةَ توقّفٍ اضطرارية. لقد كنت أبحث عن تلك المرأة. فلماذا أنزلتها في ذلك المكان القفر الموحش وسط هذه العاصفة الهوجاء حيث لن تجد أحداً".

فلم يكن من أمر يفعلونه إذ ذاك، ورغم خطورة الموقف، سوى أن يعكسوا اتجاه سيرهم وأن يعودوا أدراجهم إلى الوراء لبضعة أميال، وعندها خرجوا ليبحثوا عن المرأة. وبعد بحث طويل، تعثر أحدهم بها، فوجدوها وقد تجمدت على الأرض مع ابنها الرضيع الصغير المتوفي بين ذراعيها. لقد كانت ضحية الهداية أو التوجيه الخاطئ.

إنه لأمر بالغ الخطورة أن تدل الناس إلى جهة خاطئة فيما يتعلق بأمور وقتية زائلة، فما بالك بالإنسان الذي يُضل الرجال والنساء في مسألة خلاص نفوسهم الخالدة؟! إن آمن الناس بإنجيل مزيف، وإن وثقوا بشيء يتناقض مع كلمة الله، فإن ضلالهم وضياعهم لن يكون مؤقتاً بل إلى الأبد. ولهذا السبب فإن الرسول بولس، وإذ يتحدث بوحي من الروح القدس، يستخدم هكذا لغة قوية فيما يخص الإثم الخطير وفظاعة تضليل النفوس في الأمور الأبدية. لقد كان هؤلاء الغلاطيون يعيشون في خطاياهم، وفي الوثنية وفي ظلمة المعتقدات الخرافية الوثنية، عندما جاء بولس إليهم وكرز بالإنجيل المجيد الذي يخبر كيف "أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا ..... وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (١ كو ١٥: ٣، ٤). لقد خلصوا بفضل فعل إنجيل نعمة الله. كم هو عجيب ورائع أن ترى رجلاً كان يعيش في كل أنواع الخطيئة فيأتي به الله بالروح القدس إلى التوبة ويقوده إلى الإيمان بالإنجيل. كل شيء يتغير، والعادات القديمة تسقط كالأوراق الزابلة، فحياته الآن جديدةٌ. لديه القوة للتغلب على الخطيئة، ولديه الرجاء بالسماء، ولديه يقين الخلاص. هذا ما يقدمه إنجيل الله.

هؤلاء الغلاطيون، بعد أن أتى بهم بولس إلى حرية النعمة، كانوا يضللون على يد معلمين كذبة، وهؤلاء رجال انحدروا من اليهودية وكانوا يدّعون أنهم مسيحيون، ولكنهم لم يتحرروا أبداً من الناموسية. لقد كانوا يقولون لأولئك المسيحيين الحديثي العهد: "«إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا»" (أعمال ١٥: ١). وهكذا أعادوهم إلى محاولات الاجتهادات الشخصية وجعلوهم يحيدون بنظرهم عن المسيح ويركزون على أنفسهم وعلى قدرتهم على حفظ الناموس. يقول بولس: "هذا الأمر سيهلك الناس الذين يعتمدون على محاولاتهم الشخصية الذاتية للوصول إلى السماء. بذلك سيضلون الطريق إلى اللؤلؤة (بوابة السماء)". لا ينفعهم مدى جديتهم، فإن كانوا يعتمدون على أعمالهم الذاتية فسوف لن يكونوا مشاركين في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ميراث القديسين في النور. حتى الآن ونظراً إلى الغلاطيين كانوا قد ولدوا من جديد فإن هذه العقيدة المغلوطة، إن لم تصبح وسيلة لهلاكهم الأبدي، فإنها على الأقل ستسرق منهم الفرحة والغبطة التي ينبغي أن يتمتع بها المسيحيون. أنّى لإنسان أن يشعر بالسلام إن آمن بأن الخلاص يعتمد على جهوده الذاتية؟ كيف للمرء أن يكون متأكداً بأنه حقق على نحو مرضٍ مطالب الناموس أو الطقوس؟ إن إنجيل نعمة الله التي بها آمنوا تعطي الناس يقيناً كاملاً بالخلاص. من هنا كان بولس ساخطاً جداً إذ وجد أناساً قد أتوا ببديل مغاير عن إنجيل نعمة الله، وتعجب بأن أولئك الغلاطيين الذين كانوا فرحين بالانعتاق الذي في المسيح كانوا على استعداد للعودة إلى عبودية الناموس.

يقول (بولس): "إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ". إنه منذهل لأنهم سرعان ما أداروا ظهرهم إلى رسالة النعمة. ما هي النعمة؟ إنها المنّة المجانية التي نالها من الله دون استحقاق في حين أننا نستأهل العكس. هؤلاء الغلاطيون، على مثالنا، قد استحقوا دينونة أبدية، وكانوا يستحقون أن يغلق عليهم بعيداً عن حضور الله إلى الأبد، ولكن عن طريق الكرازة بالنعمة وصلنا إلى الإدراك بأن الله لديه برٌّ يقدمه مجاناً إلى الخطأة الفجّار الذين آمنوا بابنه المبارك. ولكن الآن، وإذ هم منشغلون بالشعائر القانونية، والنواميس، والدساتير، والتشريعات القانونية، فقدوا فرح النعمة وأخذوا إلى الجهد الذاتي. فيقول بولس: "لا أستطيع أن أفهم ما يجري". ومع ذلك فإن هذا أمر طبيعي ينتاب قلوباً بائسة كقلوبنا. لطالما نرى أناساً يبدون مهتدين على نحو رائع، ومن ثم يفقدون كل شيء إذ ينشغلون بكل أنواع الأسئلة والشكوك والقوانين والشعائر والطقوس. إن الله يود إن ينشغل كل قلب بابنه المبارك، "الذي فيه تقبع كل كنوز الحكمة والمعرفة".

"إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ". نقرأ في الكتاب المقدس "إنجيل آخر"، وفي الآية ٧ نجد القول "لَيْسَ هُوَ آخَرَ" ويبدو في ظاهر الأمر أن هناك تناقضاً ما، إلا أن الكتاب المقدس، كما ورد في اليونانية، يستخدم كلمتين مختلفتين هنا، الأولى هي (***herteron***) وتعني أمراً مناقضاً للتعليم القويم، أي شيئاً مختلفاً عنه. فالرسول بولس يقول: "إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ مختلفَ". هذا المزج بين الناموس النعمة هو ليس إنجيل الله وليس شيئاً يضاف إلى ما قد تلقيتموه للتو، وليس أمراً يكمل رسالة الإنجيل. إنه بعكس ذلك، وهو رسالة تعليم هرطقي يخالف التعليم القويم. هناك إنجيل وحيد أوحد فقط.

قم بمراجعة الكتاب المقدس من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، فتجد أن هناك إنجيلاً واحداً فقط– وذلك هو الإنجيل الذي كُرز به أولاً في جنة عدن عندما أعلن الله رسالةً بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية (الشيطان). فحوى ذلك الإنجيل كان: الخلاص هو في المسيح الآتي، ابن الله المولود من امرأة. وهو نفس الإنجيل الذي بُشر به إبراهيم. فنقرأ في هذا السفر أن الإنجيل قد بُشر به قبلاً إلى إبراهيم. فقد أخرجه الله في إحدى الليالي وقال له: "انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ ".

فقال إبراهيم: "لا أستطيع أن أعدّها".

وقال الله: "انظر إلى تراب الأرض، وعُدَّ ذراته".

فقال إبراهيم: "لا أستطيع أن أعدّها".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وقال الله: "حسناً، فكّرْ إذاً برمل البحر، وعُدَّ حبات الرمالَ".
فقال إبراهيم: "لا أستطيع أن أعدّها".
فأجاب الله: "يَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أَمَمِ الأَرْضِ" (تك ٢٢: ١٨). "وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُـرَابِ الأَرْضِ" (تـك ١٣: ١٦). لعل إبراهيم قال: "من غير الممكن! نسلي! ليس لي أولاد، وأنا رجلٌ طاعنٌ في السـن، وزوجـتي امرأة كهلة. هذا محال". إلا أن الله أعطاه وعداً: "يَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ (أي في المسيح) جَمِيعُ أَمَمِ الأَرْضِ". تلـك كانت بشارة الإنجيل– أن جميع الأمم ستتبارك بالمسيح، نسل إبراهيم. "«فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِـرّاً»" (رومية ٤: ٣). لقد تبرر بالإيمان لأنه آمن بالإنجيل وهو نفس الإنجيل الذي نجده يتكرر في المـزامير. فـداود، الملطخ بالخطيئة– الخطايا المزدوجة المتمثلة بالزنى والقتل– يصرخ إلى الله قائلاً: "لأَنَّـكَ لاَ تُسَـرُّ بِذَبِيحَـةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لاَ تَحْتَقِـرُهُ" (مز ٥١: ١٦، ١٧). "طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ" (مز ٥١: ٧). وهنـاك طريقـة واحدة فقط يمكن بها للخاطئ البائس أن يتطهر، ألا وهي بدم الرب يسوع المسيح الـثمين. كـان لـدى داود الرجاء بالإيمان بالمسيح، وكان أمله في هذا الإنجيل الوحيد الأوحد.

إنه الإنجيل الذي أعلنه أشعياء عندما نظر عبر الأجيال وقال: "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْـحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (أشعياء ٥٣: ٥). لقد كان أيضاً ذاك الإنجيل الذي بشر بـه إرميا عندما قال: "وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بِرُّنَا" (إرميا ٢٣: ٦). لقد كان نفسه الإنجيل الـذي بشّر به زكريا حين قال: "اسْتَيْقِظْ يَا سَيْفُ عَلَى رَاعِيَّ وَعَلَى رَجُلِ رِفْقَتِي يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. اضْـرِبِ الرَّاعِـيَ فَتَتَشَتَّتَ الْغَنَمُ" (زكريا ١٣: ٧).

كان هذا نفسه أيضاً الإنجيل الذي كرز به يوحنا المعمدان. فقد جاء منادياً بإنجيل الملكوت، وكما قال حين أشار إلى يسوع: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١: ٢٩). وهو ذاتُ الإنجيـل الـذي أعلنه يسوع نفسه عندما قال: "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُـؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣: ١٦). هذا هو أيضاً الإنجيل الذي بشّر به بطرس عندما قـال: "لَـهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا" (أعمال ١٠: ٤٣). وهـذا هـو إنجيـل الرسول يوحنا الذي قال: "إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَـعَ بَعْـضٍ، وَدَمُ يَسُـوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ" (١ يو ١: ١٧). وكان هذا إنجيل الرسول يعقوب الذي قال: "شَاءَ فَوَلَـدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ" (رسالة يعقوب ١: ١٨). وهذا هو الإنجيل الـذي سـيحتفي بـه ملايين المفتدين على مر الأجيال مترنمين بنشيد التسبيح قائلين: "يَسُوعَ الْمَسِيحِ.... الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ" (رؤيا ١: ٥). وهذا هو الإنجيل الذي كان بولس يكرز به عندما أعلن قائلاً: "بِهَذَا يُنَادَى لَكُـمْ بِغُفْرَانِ الْخَطَايَا. وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ... " (أعمال ١٣: ٣٨، ٣٩). إذاً هناك إنجيل واحدٌ وحيد. وما من إنجيلٍ آخر.

لطالما شعرت بالأسف عندما سمعت أحداً من إخوتي الذي تعلمت منه أن أحب في الحق والذي كنـت أشاطره الكثير من الأشياء، يحاول أن يشرح بعض الفوارق الظاهرة خلال عصور الإنجيل ويتحدث وكأن هناك عدداً من الأناجيل المختلفة. إذ يقول البعض أن المسيح عندما كان على الأرض وفي الجـزء الأول مـن سـفر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أعمال الرسل كانوا يكرزون بإنجيل الملكوت ولكنهم لم يعرفوا نعمة الله. وإني أتساءل إذا ما كانوا يتذكرون الكلمات في (يوحنا ٣: ١٦) و(يوحنا ١: ٢٩) ، ويتذكرون أن الرب هو الذي قال: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يو ٥: ٢٤). كم هي ضعيفةٌ ذاكرتنا أحياناً، إذا ما قلنا أن يسوع لم يكرز بالنعمة عندما كان على الأرض حيث يقول الكتاب المقدس: "إِنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يو ١: ١٧). أفيمكننا القول أن بطرس ورفاقه الرسل في الجزء الأول من الأعمال ما كانوا يبشرون بإنجيل النعمة عندما نرى بطرس يعلن قائلاً: "لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا" (أع ١٠: ٤٣). هناك إنجيل أوحدٌ وحسب.

يقولون أن هناك إنجيل الملكوت، وآخر هو إنجيل نعمة الله، ثم لدينا إنجيل المجد، وسيكون هناك إنجيل رابع هو الإنجيل الأبدي. ويعتقدون أن هذه الأناجيل مختلفة عن بعضها. إن كانت هذه الأقوال صحيحة فإن كلمات بولس التالية ستكون خاطئة ولا معنى لها: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»". كتبت إحداهن تقول لي أنها كانت تتعجب كيف أن رجلاً كان يجب أن يعرف بشكل أفضل لا يتورع عن القول بأن هناك إنجيل واحد فقط. وتساءلت: "لماذا يفكر هكذا؟ فحتى الدكتور سي آي سكوفيلد كان ليعلم على نحو أفضل لأنه يظهر أربع أناجيل في كتابه المقدس". أود أن أقرأ لكم ما يقوله الدكتور سكوفيلد في تفسيره لسفر الرؤيا ١٤: ٦ :

"هذه الفكرة الهامة يمكن إيجازها على النحو التالي:

١– كلمة إنجيل بحد ذاتها تعني البشرى الحسنة.

٢– هناك أربعة أشكال من الإنجيل يجب التمييز بينها:

أولاً: هناك إنجيل الملكوت. هذا هو البشرى الحسنة التي أراد الله نشرها على الأرض وفيها تحقيق للعهد الداودي، بملكوت روحي شامل لشعب إسرائيل يملك فيه ابن الله، الذي هو من نسل داود، لألف سنة في تجلٍ لبر الله في قضايا البشر.

هناك ذكر لكرازتين حول هذا الإنجيل، الأولى في الماضي ابتداءً بخدمة يوحنا المعمدان، والتي أكملها ربنا وتلاميذه وصولاً إلى رفض اليهود لهذا الملك. والثانية هي في المستقبل، وستكون خلال الضيقة العظيمة، والتي ستسبق مباشرة مجيء هذا الملك في مجده.

ثانياً: إنجيل نعمة الله. هذا هو البشرى الحسنة بأن يسوع المسيح الملك المنبوذ، قد مات على الصليب عن خطايا العالم، وأنه قام من بين الأموات لتبريرنا، وأن به كل من يؤمن يتبرر من كل شيء. هذا الإنجيل موصوف بعدة طرق. إنه إنجيل "الله" لأنه ينشأ عن محبته؛ وإنجيل "المسيح" لأنه ينبع من ذبيحة نفسه القربانية، ولأنه وحده موضوع وهدف إيمان الإنجيل؛ وإنجيل "نعمة الله" لأنه يخلص أولئك الذين هم تحت لعنة الناموس؛ وإنجيل "المجد" لأنه يهم أولئك الذين هم في المجد، والذين يأتون بأبناء كثيرين إلى المجد؛ وإنجيل "خلاصنا" لأنه "قوة الله للخلاص لكل من يؤمن"؛ وإنجيل "الغُرلة" لأنه يخلص كلياً بمعزل عن الشكليات والشعائر والطقوس؛ وإنجيل "السلام" إذ بالمسيح يصنع السلام بين الخاطئ والله، كما ويمنحنا السلام الداخلي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثالثاً: الإنجيل الأبدي. هذا يجب أن يكرز به إلى كل سكان الأرض في نهاية الضيقة العظيمة تماماً ويسبق مباشرة دينونة الأمم. وهذا ليس بإنجيل الملكوت ولا بإنجيل النعمة. ورغم أنه يركز على الدينونة، وليس الخلاص، إلا أنه البشرى الحسنة لبني إسرائيل وأولئك الذين يخلصون خلال فترة الضيقة.

رابعاً: الإنجيل الذي يدعوه بولس "إنجيلي". وهذا هو إنجيل نعمة الله بملته إلا أنه يشتمل على كشفٍ لنتيجة ذلك الإنجيل في افتقاد الكنيسة، وعلاقاتها ومكانتها وامتيازاتها ومسؤوليتها. إنه الحقيقة الواضحة التي تتبدّى بشكل مميز في رسالة أفسس وكولوسي، ولكن تتخلل كل كتابات بولس.

هذه الكلمات واضحةٌ جداً. هناك إنجيلٌ واحدٌ وحسب، ألا وهو بشرى الله الحسنة التي تتعلق بابنه؛ إلا أنها تأخذ مفاهيمَ مختلفةً في أوقاتٍ مختلفة بحسب الظروف والشروط التي يتواجدُ فيها الناس. في عصر العهد القديم كانت تدل على مجيء المخلص، إلا أنّها كانت تُعلنُ الخلاصَ بموته التعويضي الكفاري. في أيام يوحنا المعمدان كان التركيز ملقىً على الملكوت الآتي، وعلى الملك الذي سيبذل حياته. وفي أيام خدمة الرب على الأرض قدم نفسه كملك، إلا أنّه رُفض، ومضى إلى الصليب لأنّه كان هو نفسه قد أعلن أنّه "لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (متى ٢٠: ٢٨). خلال الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل نجد هذا الإنجيل يُعلَن لليهود والأمميين على حد سواء، مقدماً الخلاص المجاني لكل الذين يعودون إلى الله بتوبة، ولكن عندما أنهض الله الرسول بولس وهداه، أعطاه رؤية أوضح للإنجيل أكثر من أي شخص آخر. لقد أظهر له أن البشر، ليس فقط تُغفر خطاياهم بالإيمان بربنا يسوع المسيح، بل إنهم أيضاً يتبررون من كل الأشياء، ويقفون بالمسيح أمام الله لكونهم جزءٌ من خليقة جديدة. هذا كشف كامل للأنباء السارة، إلا أنه نفس الإنجيل.

في المستقبل وخلال أيام الضيقة العظيمة، سيُعلن الإنجيل الأبدي فيعرف الناس الذي كان قد رُفض سيأتي ثانية ليؤسس ملكوته المجيد، ولكن، حتى في ذلك اليوم سيعلم الناس أن الخلاص هو بدمه الثمين، إذ بنتيجة الكرازة تلك عدد هائلٌ سيأتي من كل الشعوب واللغات الذين يكونون "قَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوهَا فِي دَمِ الْحَمَلِ" (رؤيا ٧: ١٤).

نعم. هناك إنجيل واحد وحسب وإن أتى أي شخص ليكرز بأي إنجيل آخر فيقول لكم أن هناك طريقة آخرى للخلاص عدا عمل الرب يسوع التعويضي الكفاري فإن هذا الإنجيل سيكون مزيفاً هرطقياً. إذاً فقد جاء البعض على هذا النحو إلى غلاطية وحرّفوا إنجيل المسيح وهذا ما جعل بولس يقول في غمرة حماسته وغيرته على الإنجيل، مقوداً بالروح القدس الذي كان يوحي له:"إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»" (أي فليقع تحت الدينونة)، إن كان يستبدل إنجيل نعمة الله بأي شيءٍ آخر. لاحظوا، إن كان ملاك يعلن الإنجيل الأبدي في أيام الضيقة العظيمة كارزاً بأي إنجيل سوى إنجيل الخلاص بالإيمان بالمسيح وحده، فإن ذلك الملاك نفسه تقع عليه اللعنة، إذ يقول بولس: "إِنْ بَشَّرَكُمْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»".

لقد التقيت في الغرب كثيراً بتلاميذ لجوزيف سميث، وعندما كنت أحشرهم في الجدال بكلمة الله ويعجزون عن التهرب، كانوا يلجأون إلى القول: "حسناً. إن لدينا ما ليس لديك. فقد جاء ملاك إلى جوزيف سميث وأعطاه كتاب المورمون". إذاً هكذا كانوا يرون أن الكتاب المقدس لم يكن كافياً لأن ملاكاً كان قد أعلن شيئاً آخر مختلفاً. انا لا أؤمن بنبوة جوزيف سميث، ولا أعتقد أبداً أن ملاكاً قد ظهر له، ما لم يكن ذلك في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كابوس. وحتى إن فعل فعندئذٍ يكون ذلك الملاك من جهنم وهو تحت اللعنة، لأنه "إِنْ بَشَّرَكُمْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»". قد يقول الناس: "ولكن يا بولس، إنك مُغالٍ في مشاعرك، وإنك تفقد رباطة جأشك". كما تعلمون، إن أصبحتم متحمسين جداً للحقيقة سيقول الناس أنكم تفقدون رباطة جأشكم. إن دافعتم بقوة عن الحقيقة فسيقولون أنكم لستم بلطفاء. أما الناس فيستخدمون لغة متقدة جداً في حديثهم عن السياسة والأشياء الأخرى، ومع ذلك فلا أحد يعترض على فقدانهم لرباطة جأشهم، بل يعتقدون أنه ينبغي علينا أن نكون هادئين جداً عندما يمزق الناس الكتاب المقدس إلى أشلاء. إذا اقتضى الأمر مشاعر متقدة أو قوية فإن ذلك يكون دفاعاً عن الإنجيل ضد التعاليم المزيفة.

لئلا يقول أحدٌ: "يا بولس، ما كنت لتكتب هكذا لو أنك كنت أكثر هدوءً وما كنت لتستخدم هكذا لغة قوية"، نجد بولس يكرر ما سبق فقاله، في الآية ٩، فيؤكد أن: "كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضاً: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»". هذا الكلام فيه هدوءٌ ورباطة جأش بما فيه الكفاية. فهو لا يتحدث إذاً كشخص ساخط. فلقد فكر ملياً ولوقت كافٍ بالأمر، وزان كلماته بعناية. نعم، لقد فكر ملياً وبهدوء ورزانة بالأمر وقال مؤكداً من جديد مصراً على ما كان قد أعلنه من قبل بأن الدينونة الإلهية تقع على كل من يسعى لتضليل البشرية بإخبارهم عن أي طريق أخرى للخلاص سوى بدم الرب يسوع المسيح الكفاري الثمين.

في الختام أترك لكم هذا السؤال: علامَ تضعون رجاءكم بالحياة الأبدية؟ أتضعونه على الرب يسوع المسيح؟ هل تؤمنون بإنجيل نعمة الله؟ " لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ" (أفسس ٢: ٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الثالث

اهتداء بولس ورسوليته

(غل ١: ١٠- ٢٤)

"أَفَأَسْتَعْطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ. وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. أَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلاً فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ بِإِفْرَاطٍ وَأُتْلِفُهَا. وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي. وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضاً إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً. وَلَكِنَّنِي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلاَّ يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ. وَالَّذِي أَكْتُبُ بِهِ إِلَيْكُمْ هُوَذَا قُدَّامَ اللهِ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ جِئْتُ إِلَى أَقَالِيمِ سُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ. وَلَكِنَّنِي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِالْوَجْهِ عِنْدَ كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهِدُنَا قَبْلاً، يُبَشِّرُ الآنَ بِالإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلاً يُتْلِفُهُ. فَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ فِيَّ".

نجد بولس الرسول في هذا القسم مضطراً للدفاع عن رسوليته. هناك أمر يرثى له في هذا الخصوص. لقد كان قد جاء إلى هؤلاء الغلاطيين عندما كانوا وثنيين وعبدة أصنام فكان رسول الله لهم. وبه أتوا إلى الإيمان بالرب يسوع المسيح. إلاّ أنهم وقعوا في ضلال معلمين كذبة، وهاهم الآن يقلّلون من شأن ذلك الرجل الذي قادهم إلى المسيح، فاذدروا بخدمته وشعروا أنهم يعرفون أكثر منه وهذه لم تكن المرة الوحيدة في تاريخ الكنيسة التي تحدث فيها هكذا أشياء. فغالبا مانرى مهتدين جدد سعداء ومتوقدين لمعرفتهم بأن خطاياهم قد غفرت إلى أن يقعوا تحت تأثير معلمين كذبة فينظرون بازدراء إلى أولئك الذين قدّموا الإنجيل لهم.

بالدرجة الأولى، يشرع بولس بإظهار كيف صار رسولاً للأمميين. في الآية ١٠ يقول (بولس): "أَفَأَسْتَعْطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟" ما الذي يقصده بذلك؟ هل أسعى للحصول على تأييد وموافقة البشر أم الله؟ من الواضح أنه من الله. لم يكن بولس الرسول انتهازياً مسايراً ولم يكن يسعى ببساطة لإرضاء الناس الذين سيقفون أمام الله في لحظة أو أخرى في دينونة، إذا ما ماتوا في خطاياهم. إن هدفه الواضح هو أن يعمل إرادة ذاك الذي خلصّه وأرسله ليكرز بإنجيل نعمته. لذلك فإنه يقول: "إني لا أحاول السعي لإرضاء الناس، بل الله. ولا أسعى لإرضاء الناس". بمعنى آخر: أنا لا أحاول أن أحصل على الاستحسان والتصديق من الناس على رسالتي. صحيحٌ أنه يقول في مكان آخر في الكتاب المقدس: "فَلْيُرْضِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ لِلْخَيْرِ لأَجْلِ الْبُنْيَانِ. (رومية ١٥: ٢)، ولكن ليس هناك تناقض بين تينك العبارتين اللتين ينطق بهما هنا وهناك. إنّه أمر صحيح وسليم أن أسعى بكل طريقة ممكنة لأرضي وأساعد صديقي وقريبي وأخي، ولكن من جهة أخرى، عندما أحاول أن أكرز بكلمة الله، عليَّ أن أفعل ذلك. "لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا" (١ تسالونيكي ٢: ٤). إن الكارز أو المبشر الذي يتحدث وهدفه إرضاء الناس لا يكون صادقاً ومخلصاً للتفويض المعطى له. "فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ". إنّه يجعل من نفسه هكذا خادماً للناس وحسب. "وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يَسُوعَ الْمَسِيحِ". إن الإنجيل يختلف عن أي نظام ديني بشري. في بعض جامعاتنا، يدرسون ما يسمّى "علم مقارنة الأديان". ودراسة الأديان المقارنة ممتعة ومفيدة على حد سواء، إن كنت تدرس مثلاً، الأديان الكبرى التي في العالم الحالي كالبوذيّة والبرهمانية، والإسلام. هناك أشياء كثيرة مشتركة بينها وأشياء أخرى تتعارض فيها عن بعضها. ولكن عندما تأخذ المسيحية وتضعها على قدم المساواة مع الأديان الأخرى فإنك ترتكب خطأً: فالمسيحية ليست ديانة وحسب، بل إنها إعلان إلهي. يقول بولس: "أنا لَمْ أَقْبَلْ إنجيلي مِنْ الناس، وما من إِنْسَانٍ نقلَهُ إليَّ. فلقد تلقّيتُه مباشرةً من السماء". بالطبع لسنا كلنا نتلقى المسيحية على هذا الشكل، كإعلان مباشر، كما حدث مع بولس،ومع ذلك وفي كل لحظة، إذا ماوصل الإنسان إلى فهم حقيقة الإنجيل، فذلك لأنّ الروح القدس، الذي هو روح الحكمة والوصي في معرفة المسيح، هو الذي يفتح قلب وذهن ذلك الإنسان ويجعلهُ يفهم الحقيقة. وإلاّ فإنّه لن يقتبلها. "وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيّاً" (١ كو ٢: ١٤). وبالطبع فإنّ الإنسان الطبيعي لا يُسّر بهذا الإعلان الإلهي. إنّ الناس يُسّرون عندما يموّه الكارز خطاياهم، وعندما يضع تبريرات لأفعالهم الخاطئة، وعندما يعذر ضعفهم أو يطري عليهم إذ يحاولون أن يصنعوا برّهم بذاتهم. ولكن عندما يكرز إنسان بإنجيل نعمة الله ويصّرُ على حقيقة ضلال الإنسان الكامل وحالته الساقطة، ويعلن أنّه غير قادر أن يصنع أي شيء ينقذ به نفسه، بل إنّه لابدّ أن يخلص بموت الرب يسوع المسيح الكفاري، فليس في هذا مايُسّر الإنسان الطبيعي. إنّ النعمة الإلهية هي التي تفتح القلب وتتلقى ذلك الإعلان. وذلك هو الإعلان الذي كان قد جاء إلى بولس. كان هناك وقتٌ أبغض فيه الرسول بولس المسيحية وذلك عندما عمل كل مافي وسعه ليُهلك الكنيسة الفتيّة الناشئة، وهاهو الآن يقول لهؤلاء الغلاطيين: "فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلاً فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ بِإِفْرَاطٍ وَأُتْلِفُهَا". يستخدم بولس مرتين هذا التعبير، "الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ"، (في الآية ١٣ و ١٤). إنّ الكلمة الأصلية تعني "اليهودية" بكل بساطة، وليس هناك مجال للخلط بينها وبين قول يعقوب الرسول: "الدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللَّهِ الآبِ هِيَ هَذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ" (يعقوب ١: ٢٧). ففي قول يعقوب تُستخدم كلمة "دين" بالمعنى الصحيح، ونحن الذين خلصنا يجب أن تنطبق علينا هذه الصفات. ولكن الرسول بولس يستخدم هذه الكلمة هنا بمعنى مختلف. لقد تعمّد بولس استخدام هذه الكلمة بهذا المعنى نقلاً عن اللغة اليونانية. وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن يخلص نفسه وينال حظوةً عند الله، إلى أن يكشف الله له الأمور بشكل آخر من خلال الوحي الإلهي. فعندما كان يؤمن باليهودية كان "يضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ بِإِفْرَاطٍ وَيُتْلِفُهَا". ومما يُرثى له أنه منذ ذلك الحين انبرى أعضاء من الكنيسة المعترفة لاضطهاد اليهودية. وهذا يتناقض مع قول يسوع أن "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (متى ٥: ٤٤).

لقد كان بولس يكره المسيحية. واضطهد المسيحيين وحاول أن يقتلع المسيحية من الجذور، ويقول: "كُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي". لقد أمكن له أن يقول: "عالمِينَ بِي مِنَ الأَوَّلِ... أَنِّي حَسَبَ مَذْهَبِ عِبَادَتِنَا الأَضْيَقِ عِشْتُ فَرِّيسِيّاً" (أعمال ٢٦: ٥). لقد كانت اليهودية أعزُّ عليه من الحياة نفسها. لقد كان يعتقد أن تلك هي الحقيقة الوحيدة، وذلك أنّ كلّ الناس، وإن عرفوا الله، يجب أن يجدوه من خلال اليهودية. لقد كان في حماسة وغيرة زائدة على تقاليد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الآباء، ليس فقط فيما كُتب في الكتاب المقدّس، وفي ناموس موسى وما كان الأنبياء قد أعلنوه، بل أضاف إلى ذلك كمية كبيرة من التقاليد التي وصلت إلى اليهود في يومنا الحاضر في التلمود. لقد كان على استعداد أن يعيش ويموت كمناصر لليهودية لولا أعجوبة النعمة. كيف حدث أنّ هذا اليهودي الذي لم يكن يرى شيئاً صالحاً في المسيحية قد اهتدى وصار أحد أعظم مناصريها؟ ليس من سبيل لتفسير ذلك إلاّ من خلال نعمة الله المطلقة التي لا نظير لها. لقد حدث شيءٌ في قلب وحياة ذلك الرجل، فتبدّلت وجهة نظره كليةً، وهذا ما جعلهُ نصيراً للمسيحية كرّس أكثر من ثلاثين عاماً من حياته لإعلان المسيح لليهود والأمميين. يخبرنا عم أحدث التغيير: "وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً" (الآيتان ١٥، ١٦). عندما جاء الوقت المحدد، عندما قال الله بنعمته الجليلة أن: "اقبضوا على هذا الرجل"، فأوقفه على طريق دمشق، وعندما ظهر له المسيح في المجد، جاء شاول الطرسوسي إلى معرفة أنه كان يحارب مسيّا الموعود لشعب اسرائيل وابن الله المبارك. وعندها لم يكتفِ المسيح بأن يعلن نفسه له، بل أن المسيح أُعلن فيه.

لدينا كلا الجانبين الموضوعي والذاتي للحقيقة. عندما رأيت أنا الخاطئ المسكين المسيح يسوع يتألم ويترف ويموت من أجلي، وعندما رأيتُ أنه كان "مَجْرُوحاً لأَجْلِ مَعَاصِيَّ مَسْحُوقاً لأَجْلِ آثَامِي"، وعندما أدركت أنه كان قد "أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَايَ وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِي"، وعندما وضعت إيماني القلبيّ فيه، وعندما بتلك الحقيقة الموضوعية، حدث شيء ما داخل ذاتي. لقد جاء المسيح ليسكن في قلبي ذاته. "المسيح فيك"، يقول الرسول، "رجاء المجد". لقد سُرَّ الله أن يعلن ابنه، ليس لي وحسب بل فيَّا ايضاً. وأتيت إلى معرفته بطريقة أكمل وأكثر غنىً مما كان ليمكنني أن أعرف أعز صديق أرضي. لم تعد المسألة بالنسبة لبولس مجرد دين مقابل دين. لقد صار لديه الآن تفويض إلهي بأن يمضي وأن يعلن للآخرين أن المسيح صار حقيقة واقعية جداً في حياته. ولذلك فعندما جرى هذا الحادث المجيد، عندما أتى إلى معرفة الرب يسوع المسيح بنعمة الله الجليلة المطلقة، نجده يقول: "أدركت أن ذلك الفهم المجيد لم يكن لي فحسب بل أن علي أن أجعله معروفاً لدى الآخرين. لقد سُرَّ الله أن "يكشف ابنه فيّا، لكي أكرز به بين الوثنيين والأمم". عندما خلص الرب بولس أخبره أن ذاك كان في ذهنه.

في أعمال الرسل (الإصحاح ٩) نجد قصة اهتداء الرسول بولس. ونقرأ أن الله قد تحدث إلى حنانيا وأرسله لرؤية بولس في الزُّقَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَقِيمُ في دمشق. ولكنه لم يشأ الذهاب في بادئ الأمر، فقد كان يخشى أن يتسبب بولس في قتله، إلا أن الرب الإله قال له: "«اذْهَبْ لأَنَّ هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي" (أع ٩: ١٥، ١٦). ولذلك ذهب حنانيا مطيعاً الله لرؤية بولس ونقل له فكر الله. فقد كان الله قد قال: "ظَهَرْتُ لَكَ لأَنْتَخِبَكَ خَادِماً وَشَاهِداً بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ، مُنْقِذاً إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ" (أع ٢٦: ١٦، ١٧). لقد كان رسول الأمم بامتياز، ولكن كانت له أيضاً خدمة رائعة لشعبه، وطوال حياته كلها كان لديه شعار أن: "لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ" (رومية ١: ١٦). لقد مضى من مدينة إلى أخرى يصطاد الناس في المجامع أو يجد جماعات أو أفراد يهود، فيخبرهم بالتغيير العظيم الذي طرأ له ويناشدهم أن يُسلِّموا ذواتهم لذلك المخلص العظيم الرائع نفسه. وعندما كانوا يرفضون رسالته كان يتجه إلى الأمميين ويكرز بالإنجيل لهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

شككّ بعض من هؤلاء الغلاطيين فيما إذا كان حقاً رسولاً، إذ أنه لم يرَ الرب أبداً عندما كان هنا على الأرض؛ ولم يأخذ تفويضه من الاثني عشر. يقول: "لا لم افعل، وإني أفتخر بأني رسول، ليس من بشر، ولا من إنسان، بل بيسوع المسيح. لقد تلقيت تفويض من السماء عندما رأيت المسيح القائم في المجد وجاء هذا وجعل مسكنه في قلبي. لقد أرسلني لكي أمضي وأكرز برسالته". "لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً". لقد ظنوا أنه كان ينبغي عليه أن يذهب إلى أورشليم لكييعقد ويعرض المسألة على بقية الرسل وأن يعرف إذا ما كانوا يصادقون على رسالته وكانوا على استعداد لسيامته للخدمة المسيحية، أو شيء من هذا القبيل. ولكنه يقول: "كلا، لم أستشِر أحداً، ولم أتباحث مع أحد. لقد كانت رسالتي من السماء، وكنت سأنقلها معوِّلاً على الله الحي، "وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضاً إِلَى دِمَشْقَ" (الآية ١٧)". لم يذهب في البداية إلى المكان الذي كانوا يعتبرونه مركز قيادة الكنيسة المسيحية، أي في أورشليم، ليحصل على تفويض أو ترخيص بالعمل. وبدلاً من ذلك نرى أنه قد غاب بعيداً مختلياً بنفسه. في قراءتنا لسفر الأعمال لا نستطيع أن نعرف ذلك، لكنه هو نفسه يشير في هذه الرسالة إلى أنه ذهب إلى بتراء العربية، وهناك في مكان هادئ نوعاً ما ولعله كان يعيش في كهف، أمضى بعض الوقت يرتقب أن يوضح الله له الأشياء التي كانت في فكره. لقد كان في حاجة إلى الوقت ليفكر بالأمور ملياً، وفي حاجة إلى الوقت لكي يكلمه الله والذي أمكنه خلاله أن يكلم الله. وهناك تكشّفت له الحقيقة بكل ملئها، وكل جمالها، وكل مجدها. لم يكن ذاك هو الوقت الذي حصل فيه على إعلان جسد المسيح. بل بالحري كان ذلك على طريق دمشق عندما قال له الرب: "شاول، شاول. لماذا تضطهدني؟"، ياله من إعلان عظيم ذاك المتعلق بالجسد الذي يشكله جميع المؤمنين على الأرض! إنهم مرتبطون على نحو وثيق برأسهم الممجد في السماء حتى أن كل عضوٍ لا يمكن أن يُلمس دون أن يؤثر على رأسهم.كان هناك الكثير مما كان يحتاج لأن يفهمه، لذلك مضى إلى البرية.

هل لاحظتم كم كثرٌ هم خدام الله المحبوبين الذين توجب عليهم إنهاء دروس في جامعة البرية؟ عندما أراد الله أن يهيء موسى ليكون قائداً لشعبه أرسله إلى البرية. فمرّ على كل المدارس المصرية، وظنّ أنه كان مستعداً ليكون محرراً لشعب الله. وعندما غادر جامعة مصر قال في نفسه على الأرجح: "أنا الآن على استعداد لأن أضطلع لمسؤلية عملي الحياتي الكبير". ولكنه سرعان ما شرع يقتل المصريين ويخيفهم في الرمال فقال الله له: "لست مستعداً بعد يا موسى. فأنت في حاجة إلى منهاج ما بعد التخرج". كان عمره آنذاك أربعين سنة أمضاها في تعلم حكمة مصر، أمضى بعدها أربعين سنة لينساها ويتعلم حكمة الله، وأخيراً، وعندما تلقى درجة ما بعد التخرج أرسله الله ليحرر شعبه.

إيليا أمضى وقتاً في البرية. وداود فعل مثل ذلك. تلك السنوات في البرية التي اصطاده في نهايتها الملك شاول كالحجل على سفح الجبل. لقد كانوا مستعدين لمساعدته لكي يتأهل للقيام بعمله العظيم. وإذا فكرنا في ربنا المبارك نفسه نجد أنه قد اعتمد في نهر الأردن مظهراً توافقه مع كلمة الله واستعداده للمضي إلى الصليب ليحقق كل برٍّ لأجل الخطأة المحتاجين، فنزل عليه الروح القدس كحمامة. وبعدها ذهب إلى البرية لأربعين يوماً، وصلّى وصام متأملاً في الخدمة العظيمة التي كان مقبلاً على القيام بها. ثم مرّ عبر تلك التجارب الشديدة على يد الشيطان وخرج منها منتصراً، وانطلق ليكرز بإنجيل الملكوت. والآن هاهنا هذا الرجل الذي كان يكره اسمه والذي كان يمقت المسيحية ولكن بعد أن رأى المسيح القائم اعتزل في البرية لفترة من التأمل والصلاة، والتعلم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قبل أن يستهلّ عمله العظيم. ثم نجده يقول: "ثم رجعت أيضاً إلى دمشق"، وكرز بالمسيح في المجامع قائلاً: "أنه ابن الله". إذا قرأتم بتمعن سفر أعمال الرسل ستجدون أنه لم يكرز أحد بالمسيح كابن لله إلا بعد اهتداء بولس. أعرف أن التعبير "ابنك القدوس يسوع" مستخدم، ولكن الترجمة الأفضل "خادم أو عبد". لقد كرز بطرس بيسوع على أنه المسيّا، والعبد، ولكن بولس بدأ شهادته بالقول أن يسوع كان في الحقيقة ابن الله. عندما سأل الرب يسوع بطرس: "من تقول أني هو؟"، أجاب بطرس: "أنت المسيح ابن الله الحي" (متى ١٦: ١٥، ١٦). ولكن لم يكن ذلك الزمان هو المناسب في نظر الله ليعلن ذلك، لأن الرسالة كانت مقتصرة نسبياً على شعب إسرائيل، في أول جزء من سفر أعمال الرسل. ولكن عندما اهتدى شاول، وبدون خوف من البشر، راح يكرز في تلك المجامع نفسها بأن يسوع هو ابن الله وأنه هونفسه الآن يضطهد على يد أولئك الذين كانوا معجبين به كقائداً ممارساً للشعائر الدينية اليهودية.

مرّت ثلاث سنوات على هذا الرجل قبل أن يذهب إلى أورشليم. لقد انتقل من مكان إلى آخر وأخيراً مضى إلى هناك، ولكن ليس لكي يُسام أو ليعترف به كرسول. ففي الآية ١٨ يوضح لنا سبب الذهاب إلى هناك: "ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً". إن كلمة "أتعرف" في النص الأصلي ممتعة جداً. إنها الكلمة اليونانية التي اشتقت منها "حكاية"، أي رواية قصة ما، أو سرد أحداث مضت، فهكذا يقول بولس أنه بعد ثلاث سنوات صعد إلى أورشليم ليروي حكايته لبطرس وليسرد عليه الأمور التي مرَّت معه، وليخبره عما فعله الرب. ياله من اجتماع رائع. كم كان رائعاً لوسمعنا تلك المحاورة بينهما ونحن قابعون في ركن من الحجرة دون أن يلاحظنا أحد. بطرس الذي كان قد عرف الرب والذي كان قد أنكر الرب والذي تجدد على نحو رائع

والذي كرز وبشر بتلك القوة في يوم العنصرة والذي استخدمه (الرب) بقوة ليفتح الباب أمام اليهود ثم أمام الأمميين، بطرس ذاك أخبر قصته وحكى بولس حكايته. وعندما أنهيا الحديث، أتخيل أن بطرس قد قال: "حسناً يابولس، إن لديك نفس الرسالة التي لدي، إلا أنني أعتقد أن الرب اعطاك أكثر مما أعطاني، وأريد أن أعطيك يمين رفقة الشركة والزمالة. إني أبتهج بخدمتك، ويمكننا أن نمضي معاً في إعلان هذا الإنجيل السار المجيد". كان ذلم بعج خمسة عشر يوماً من رفقة رائعة أمضيناها معاً.

ولبقية الرسل يقول بولس: "وَلَكِنَّنِي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلاَّ يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ". لسنا متأكين عن أي يعقوب يتكلم. علّه يكون الرجل الذي يشار إليه باسم يعقوب ابن حلفا، ابن عم الر، الذي يُذكر بأنه أخو الرب. وفي اعتقادي الشخصي أنه يعقوب الذي يحتل مكانة كبيرة في سفر أعمال الرسل– هو يعقوب أخو ربنا يسوع المسيح، الذي لم يؤمن إبان وجود المخلص هنا على الأرض، بل أتى إلى الإيمان به بالقيامة، وهوالذي قاد كنيسة الله في أورشليم. كان بولس قد رآه، ولكن لم يأخذ من اي منهما أية مصادقة أو موافقة او ترخيص أو تفويض خاص. لقد التقى بهما على أساس مشترك. ألا وهو أنهم رسلٌ للرب يسوع المسيح مثله، بتعيين إلهي.

"وَالَّذِي أَكْتُبُ بِهِ إِلَيْكُمْ هُوَذَا قُدَّامَ اللهِ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ". غريب أنه اضطر ليقول هكذا كلام. وغريب أن هؤلاء الغلاطيين، الذين اهتدوا على يده، يمكن أن يفكروا للحظة أنه قد لا يكون صادقاً. ولكن عندما يتأثر المرء بتعاليم زائفة مغلوطة، يحدث عامة أنه يكون على استعداد لتوجيه كل أنواع التهم طاعناً باستقامة وأمانة الناس الآخرين. وهكذا الحال هنا، فاضطر بولس للقول:"وَالَّذِي أَكْتُبُ بِهِ إِلَيْكُمْ هُوَذَا قُدَّامَ اللهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ".

بعد عودته من أورشليم انطلق في برنامجه التبشيري العظيم. "وَبَعْدَ ذَلِكَ جِئْتُ إِلَى أَقَالِيمِ سُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ. وَلَكِنَّنِي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِالْوَجْهِ عِنْدَ كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ". لقد صار معروفاً وسط جماعات أخرى في اليهودية، وعرفته تجمعات يهودية بشكل جيد، إلا أن المسيحيين في اليهودية، وهم المؤمنون الذين كانوا انفصلوا عن الدين اليهودي، ما كانوا قد رأوه أبداً. "غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهِدُنَا قَبْلاً، يُبَشِّرُ الآنَ بِالإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلاً يُتْلِفُهُ". وكم كان لهذا من تأثير كبير عليهم. فها هنا رجل كان قد ذهب إلى كل مكان ليحيد الناس عن المسيح، بل إنه حتى حاول أن يجبرهم على التجديف، وهددهم بالموت إذا لم ينكروا إنجيل الرب يسوع المسيح. والآن طرأ هذا التغيير الكبير، وانتقلت الأخبار عبر الكنائس: "المضطهد العظيم قد كان مبشراً، فهو لم يعد عدواً لنا، بل إنه يكرز للآخرين بنفس الإيمان الذي لدينا تماماً". "فَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ فِيَّ". في الحقيقة لقد كان اهتداء بولس عملاً إلهياً جليلاً للنعمة، وهذا يستحق المزيد من التسبيح والمجد لذاك الذي اختاره وفوّضه وأرسله. وكانت الثمار الغزيرة الناجمة عن ذلك هي مجده. مامن شيء يعطي هكذا قوة لخدمة المسيح كمثل الاهتداء الحقيقي. لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لأي إنسان أن يتجرأ على القول أنه خادم للكرازة وهو لم يختبر اهتداءً شخصياً ولم يعرف حقيقة الإنجيل.

ذلك الإنجيل لم يفقد شيئاً من قوته. إن في مقدوره اليوم أن يصنع العجائب في الناس الذين يضعون إيمانهم على الرب يسوع المسيح. فهل آمنتم به؟ وهل وضعتم فيه ثقتكم؟ هل هو مخلصكم. هل تعرفون ما معنى الاهتداء؟ هل في مقدوركم القول: "الشكر لله، فقد خلصت روحي؛ لقد أعلن الله ابنه فيّا"؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الرابع

الإنجيل كما كُرزَ به لليهود والأمميين

(غل ٢: ١- ١٠)

"ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدْتُ أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرْنَابَا، آخِذاً مَعِي تِيطُسَ أَيْضاً. وَإِنَّمَا صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ بِالانْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبَرِينَ، لِئَلاَّ أَكُونَ أَسْعَى أَوْ قَدْ سَعَيْتُ بَاطِلاً. لَكِنْ لَمْ يُضْطَرَّ وَلاَ تِيطُسُ الَّذِي كَانَ مَعِي، وَهُوَ يُونَانِيٌّ، أَنْ يَخْتَتِنَ. وَلَكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَساً لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا – اَلَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ. وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ، مَهْمَا كَانُوا، لاَ فَرْقَ عِنْدِي: اللهُ لاَ يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ – فَإِنَّ هَؤُلاَءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً لِلأُمَمِ. فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ. غَيْرَ أَنْ نَذْكُرَ الْفُقَرَاءَ. وَهَذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ".

في هذا الأصحاح وهو الثاني من رسالة غلاطية، يخبرنا بولس عن زيارة ثانية إلى أورشليم، وهي في غاية الأهمية، ويخبرنا سفر أعمال الرسل (ص ١٥) عنها. "ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدْتُ أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرْنَابَا، آخِذاً مَعِي تِيطُسَ أَيْضاً". كان هذا بعد أن جاء أشخاصٌ معيّنون من طرف يعقوب إلى أنطاكية، حيث كان الرسول يعملُ جاهداً، وأكّدوا على الأمور التي أتى بولس على ذكرها في هذه الرسالة: بأن على المؤمنين من الأمميين أن يخضعوا للشعائر والطقوس اليهودية، وأن عليهم أن يختتنوا، وأن يحفظوا ناموس موسى، وإلا فلن يخلصوا. عندما احتك بولس بهؤلاء، انتظر إلى أن يأتيه وحيٌّ معينٌ يطلب منه أن يذهب إلى أورشليم. فيقول: "صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ". لم يذهب لوحده؛ بل أخذ برنابا معه.

كان برنابا قد جاء من أورشليم ليجده في طرسوس، ولكي يقنعه بأن يذهب إلى أنطاكية ويساعد في خدمة الكرازة هناك. في البداية كان برنابا هو القائد، وكان بولس يتبعه. ولكن مع مرور الوقت تبادل الرسولان الأدوار، فتراجع برنابا من الواجهة وقفز بولس إلى الأمام. مع برنابا كانت الحال أن: "يجب أن يزداد هو، وأما أنا فأنقص". ونقرأ في مكان آخر عنه أنه: "كَانَ رَجُلاً صَالِحاً وَمُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالإِيمَانِ" (أع ١١: ٢٤). مثل هكذا رجل يمكن أن يتقبل رؤية أحد ما آخر يُكَرَّم بينما هو يُنحّى. وهكذا قفز برنابا إلى الخلف وتقدم بولس إلى الواجهة. ثم يقول بولس: "آخِذاً مَعِي تِيطُسَ أَيْضاً". لماذا يذكر هذا؟ ذلك لأنها كانت حالة اختبار. فهؤلاء الأخوة المزيفون الذين انحدروا إلى غلاطية كانوا يصرُّون على أنه كان يحدث في أورشليم واليهودية أن ما من أحد يمكن أن يتغاضى عن فكرة أن يخلص أممي ما لم يقبل علامة العهد الإبراهيمي ويُختتن. ولكن بولس يقول: "أَخَذْتُ مَعِي تِيطُسَ أَيْضاً". وكان هذا أمميّاً لم يكن قد خضع لهذا الطقس أو الشريعة، ولم يقترح بولس أن يفعل ذلك، ولذلك فقد أخذه إلى أورشليم، لأنها كانت مركز قيادة الشرائع.

"صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ بِالانْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبَرِينَ، لِئَلاَّ أَكُونَ أَسْعَى أَوْ قَدْ سَعَيْتُ بَاطِلاً". عندما نرجع إلى (أع ١٥) نجد أن بولس قد دعا جميع الرسل الذين صادف وجودهم في أورشليم، يعقوب، صفا، ويوحنا، مع شيوخ الكنيسة هناك، وأخبره بقصة كرازته، ونشاطاته. ذكر لهم الخطوط العامة لفحوى رسالة الإنجيل التي كان يحملها إلى الأمميين. وإذا استمعوا إليه فقد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قبلوه كواحد منهم في إعلان نفس الإنجيل الذي كانوا يكرزون به، رغم أن ذلك الإنجيل كان أكمل وأغنى من ذاك الذي حصلوا عليه، إذ كانت هناك بعض أشياء محددة أُعلنت لبولس ولم تُكشف لهم.

قبل عدة سنوات، اضطر الله ليعطي بطرس إعلاناً خاصاً لكي يدخل إلى ذلك السر العجيب، أعني به أن اليهود والأمميين عندما يخلصون يصبحون جسداً واحداً في المسيح. إن بطرس لا يستخدم أبداً التعبير "الجسد" إلا أنه يطرح نفس الفكرة. إن البركة لليهود والأمميين كانت على أساس النعمة وكشف الله ذلك له على سطح البيت في يافا، ولكنه فعل ذلك "بِالانْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبَرِينَ". عندما رأى ملاءة نازلةً عليه، "وَكَانَ فِيهَا كُلُّ دَوَابِّ الأَرْضِ وَالْوُحُوشِ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ". وصوت من السماء قال له: "«قُمْ يَا بُطْرُسُ اذْبَحْ وَكُلْ»". إلا أن بولس، كيهودي صالح، قال: "«كَلاَّ يَا رَبُّ لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئاً دَنِساً أَوْ نَجِساً»". فقال له الله: "«مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ!»" (أع ١٠: ١٢– ١٥). وبذلك كان يشير إلى تقديس الأمميين. هذا ما أهّل بطرس للخدمة في بيت كورنيليوس، حيث كرز بالمسيح وفتح باب الملكوت أمام الأمميين، كما فعل قبل فترة عندما استخدمه الله ليفتح هذا الباب لليهود في أورشليم. تحدث بولس وبرنابا إلى الأخوة بحرية، موضحين ما فعله الله، وبعد كثير من الجدال والنقاش، نسب ما فعله باسم الله للنعمة، واحتكم يعقوب للكتاب المقدس لاتخاذ قرار في المسألة المتعلقة بالأمميين. لقد كانوا على توافق سار بهيج. فبولس، كما لاحظنا، كان لديه كشف أكمل وأوضح مما أُعطي لبطرس، ولكن كان ذلك نفس الإنجيل بالأساس، ولكي يُظهر أنه ليست هناك مثل هكذا فكرة في ذهنهم بأن يُخضعوا الأمميين إلى شرائع وطقوس تشريعية، نجده يقول: "لَكِنْ لَمْ يَضْطَرَّ وَلاَ تِيطُسُ الَّذِي كَانَ مَعِي، وَهُوَ يُونَانِيٌّ، أَنْ يَخْتَتِنَ". ياله من جواب عظيم بالنسبة لسكان اليهودية الذين كانوا يضللون هؤلاء الغلاطيين ويبعدهم عن بساطة نعمة الله كانوا يقولون لهم: "الرجل غير المختتن لا يمكن اعتباره عضواً في عائلة الله". بينما بولس يقول: "لقد أخذت تيطس معي، وناقشت الأمر مع الشيوخ في أورشليم، ولم يطلبوا أبداً إخضاع تيطس للختان، لقد قُبِلَ مسيحياً كما هو". ياله من جواب لأولئك الذين كانوا ينتقدونه ويضللون الذين اهتدوا على يده.

"وَلَكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَساً لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا – اَلَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ". من يقصد بكلامه هذا؟ إنه يشير بذلك إلى أولئك الذين خرجوا من اليهودية والذين تسللوا خفية إلى جماعة المسيحيين في غلاطية. فيقول بولس: "لم نخضع لهم ولو حتى بدافع السلام، لأننا بذلك إنما نستل منكم إرثكم في المسيح الذي اشْتُرِيَ بالدم. وهكذا فبسبب محبتنا لكم وإدراكنا لقيمة نعمة الله، فقد رفضنا أن نذعن لهؤلاء الرجال رغم حرصنا على أساس المحبة المسيحية. لم نخضع لهم أبداً".

ومن ثم في الآيات القليلة التالية (٦– ١٠) يخبرنا قصة قصيرة عن ترتيب قام به إبان وجوده في أورشليم يتعلق بتقسيم العمل على نحو متكامل، هذا الترتيب الذي جعل حياة الشركة المسيحية كاملة وفي انسجام بهيج. "أما عن أولئك الذين كانوا معتبرين في الظاهر، (أياً كانوا، فلا فرق بالنسبة لي: إن الله لا يهتم بشخص أي إنسان) فلم يشيروا علي بشيء خلال الاجتماع". كما ترون، لقد أمكنه أن يتحدث على هذا النحو لأنه تلقى إعلانه مباشرة من السماء فالمسيح القائم والممجد هو الذي ظهر له على طريق دمشق، والرب المبارك نفسه هو الذي كان قد علمه خلال تلك الأشهر التي أمضاها في العربية، حيث انكفأ واعتكف ليتفكرَّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في الأمور ويحصل على فهم أوضح للرسالة الرائعة التي كان عليه أن ينقلها إلى العالم الأمميّ. لذلك ورغم أنه قد احتك مع الرسل والشيوخ الذين كانوا قد خدموا سنوات قبل أن يعرف المسيح، لم يقف أمامهم في خشية. لعلهم كانوا قادة متميزين، لكن الله لا يعتمد على شخص الإنسان، فكانوا عبارة عن أخوة في المسيح، كان عليهم أن يتعلموا على يد الله، وهذا ما فعله. ولم يسألهم أن يمنحوه أي سلطة أو أن يعطوه أي كشف خاص للحقيقة التي كان عليه أن يعلنها للأمميين، ومع ذلك فقد كان مسروراً لأن يجلس معهم ويحاورهم على أساس مشترك وأن يسرد عليهم الأمور على نحو أخوي، وقالوا: "بالتأكيد إننا ندرك حقيقة أن الله قد أقامك لخدمة أو رسالة خاصة، ولنا معك في ذلك شركة و زمالة".

"بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ". لاحظْ أن بولس يقول "إنجيل الغرلة"، وذلك من الكلمة اليونانية التي تعني "الإنجيل الذي للغرلة". فالمعنى أنهم رأوا أن الله قد منحه كشفاً خاصاً، وفهماً خاصاً للإنجيل فيما يخص الأمميين. لقد أهّله الرب عن طريق تدريب مبكر، ثم عن طريق إنارته بعد اهتدائه، ليقوم بعملٍ بين الأمميين لم يكونوا هم مؤهلين أو معدين للقيام به. من جهة أخرى، أهَّلَ اللهُ بطرسَ ليقوم بعمل البشارة وسط اليهود واستخدمه بطريقة لافتة للانتباه في يوم العنصرة، وعبر السنين منذ أن وضع الله ختمه مفوضاً بطرس بالعمل الكرازي لبني إسرائيل. وهكذا تبادلوا الحديث وقالوا: "من الواضح يا بولس أن الله قد اختصك بنقل الرسالة إلى الأمميين كما بطرس إلى اليهود". فيقول: "فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً لِلأُمَمِ".

"وإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ (ومن الواضح أنهم كانوا القادة)، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ". أليس من المستغرب أن يرى الناس في هذه الكلمات الفكرة المذهلة التي يعرضها الرسول بولس هنا فيقول بأنهم قد تكلموا معاً فوجودوا أن هناك إنجيلين هنا؟ ألا وهما الإنجيل الذي كان بطرس وبقية الرسل الذين اختارهم الرب يكرزون به، وهو إنجيل الختان، وذلك الإنجيل الذي كان بولس وبرنابا يناديان به، وهو إنجيل الغرلة (الأمميين). وهكذا كانوا سيمضون في الكرازة بالإنجيل الأول لليهود، وكان بولس وبرنابا ليكرزون بإنجيل آخر مختلف كلياً للأمميين. ياللجهل بالمخطط الإلهي عند أولئك الذين يظنون ذلك أو يصلون إلى هذا الاستنتاج. لقد كان بولس قد أخبرهم لتوه: "إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»" (١: ٨). لقد كان بطرس بين الغلاطيين، يعظهم بنفس الإنجيل الذي كان يكرز به في كل مكان آخر. أفكان ملعوناً (أناثيما)؟ إن الملائكة سيعلنون الإنجيل الأبدي في ذلك اليوم الموعود. فهل سيكونون تحت اللعنة؟ بالتأكيد لا. في الواقع ليس هناك إلا إنجيل واحد، رغم أنه يأخذ أشكالاً مختلفة في أوقات مختلفة. إنجيل بطرس كان يتحدث عن خلاص كامل مجاني أبدي بموت وقيامة وحياة ربنا يسوع المسيح التي لا تتبدل، وإنجيل بولس كان يتمحور حول نفس الموضوع تماماً. دعونا نعود قليلاً ونرى شيئاً يتعلق بإنجيل بطرس ونقارنه بذاك الذي لبولس.

في يوم العنصرة نسمع بطرس يعظ. فيقول عن ربنا يسوع المسيح أن داود قد شهد له. "سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَاداً. فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللهُ وَنَحْنُ جَمِيعاً شُهُودٌ لِذَلِكَ. وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ سَكَبَ هَذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ. ... لِيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبّاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وَمَسِيحاً" (أع ٢: ٣١– ٣٣، ٣٦). هل يبدو أن في هذا ما يخالف الإنجيل الذي كان بولس الرسول يكرز به؟ طبعاً لا. إنها نفس الرسالة عن المخلص المصلوب، والمقام، والمرفوع الممجد.

ما كان تأثير هذا الوعظ؟ تذكروا أن هذا كان هو الإنجيل الذي كرز به بطرس. لقد هتف الناس: "أيها الأخوة، ما الذي علينا أن نفعله؟" لم يصرخوا مثل السجان في فيليبي أن: "«يَا سَيِّدَيَّ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟" (أع ١٦: ٣٠)، بل "أيها الرجال الأخوة، ما الذي علينا أن نفعله؟" لكأنهم كانوا يقولون: "يا بطرس إننا ما برحنا منذ سنين ننتظر مجيء المسيّا، وكنا نؤمن أنه هو الذي سيرفع خطايانا ويؤتينا بركة أبدية، وندرك الآن مما تقوله أنه قد جاء وقد صلب وأنه صعد إلى يمين الله. فما الذي ينبغي علينا أن نفعله؟ أليس من أمل لدينا؟ أميئوس منا؟ لقد رفضنا مسيّا الذي كنا ننتظره، فما الذي ينبغي علينا أن نفعله؟" فيقول بطرس: "«تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا»" (أع ٢: ٣٨، ٣٩). إن بولس يقول: "إذا آمنتم بالرسالة التي كرزت بها إليكم بأن هناك مغفرة للخطايا، وأن لكم خلاص فلا تحتاجون لأن تقعوا تحت الدينونة عندما تخضع الأمم لها. إنما عليكم أن تتوبوا". وماذا تعنيه التوبة؟ إنها تغيير كامل في الموقف. بمعنى آخر، غيّروا فكركم، غيروا موقفكم، واعتمدوا، مقرّين بأنكم تقتبلون المخلص الذي كان الشعب قد رفضه، وإذ تفعلون ذلك، فإنكم تقفون على أرضية جديدةكلياً. يالها من رسالة ملائمة لأولئك المؤمنين اليهود! في ذلك اليوم ثلاثة آلاف منهم أخذوا قرارهم، وبمعموديتهم فصلوا أنفسهم عن الشعب الذي رفض المسيح، وانتقلوا إلى جانب يسوع، وعُرفوا بأنهم صاروا من بين أولاد الله.

دعونا نصغي إلى بطرس يقول من جديد: "فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ. وَيُرْسِلَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ. الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ السَّمَاءَ تَقْبَلُهُ إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللهُ بِفَمِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ. .... إِلَيْكُمْ أَوَّلاً إِذْ أَقَامَ اللهُ فَتَاهُ يَسُوعَ أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ" (أع ٣: ١٩– ٢١، ٢٦). بماذا يكرز بطرس هنا؟ إنه نفس الإنجيل الذي كان بولس قد كرز به فيما بعد. إنه يقول لهم أن بني إسرائيل قد رفضوا المسيح ولذلك فإنهم تحت الدينونة. ويالها من دينونة رهيبة قد وقع تحتها ذلك الشعب! ولكن، على حدّ قوله، إن كنت تريد أن تتحرر من تلك الدينونة، تُبْ، وغيِّر موقفك، وانعطف ثانية، واقبل المسيح الذي رفضه الشعب، وهكذا تكون على استعداد لاستقباله عندما يعود ثانية. لم يكن بولس قد أعطاهم بعدُ إعلان الاختطاف، ولكنه يقول لهم أنه عندما يظهر المسيح سيكونون على استعداد لاستقباله كأفراد، مع أن الشعب ينبغي عليه أن يعرف قوة دينونته. "فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمُ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِذَاكَ وَقَفَ هَذَا أَمَامَكُمْ صَحِيحاً. هَذَا هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي احْتَقَرْتُمُوهُ أَيُّهَا الْبَنَّاؤُونَ الَّذِي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أع ٤: ١٠– ١٢). هل في هذا ما يخالف إنجيل بولس؟ لا، بل إنه نفسه تماماً، ولكن بطرس يقدمه للشعب اليهودي، الذين كان لديهم التعليم منذ قرون، بطريقة تجعلهم يفهمون على نحو كامل.

والآن تسمعون نفس الشخص يكرز في بيت كورنيليوس (أعمال ١٠). إنه يروي حكاية حياة وموت وقيامة يسوع. "يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْراً وَيَشْفِي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ. وَنَحْنُ شُهُودٌ بِكُلِّ مَا فَعَلَ فِي كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي أُورُشَلِيمَ. الَّذِي أَيْضاً قَتَلُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هَذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِراً لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللهِ دَيَّاناً لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ. لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا" (أع ١٠: ٣٨– ٤٣). هل هذا إنجيل مختلف عما يجب أن نكرز به اليوم؟ هل هو إنجيل مختلف عن ذاك الذي أعلنه الرسول بولس؟ بالتأكيد لا. إنه نفس الإنجيل، إنجيل نعمة الله والخلاص فقط بالعمل الذي أتمه ربنا يسوع المسيح.

دعونا الآن ننعطف إلى رسالة بطرس التي يوجهها إلى المهتدين من اليهود، ألا وهي إنجيل الختان: "عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ" (١ بطرس ١: ١٨– ٢٠). هذا هو الإنجيل الذي كرز به بطرس للمختونين. قارنوا به وبين الإنجيل الذي كرز به بولس لليهود و الأمميين: "وَنَحْنُ نُبَشِّرُكُمْ بِالْمَوْعِدِ الَّذِي صَارَ لآبَائِنَا إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هَذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضاً فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. إِنَّهُ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ غَيْرَ عَتِيدٍ أَنْ يَعُودَ أَيْضاً إِلَى فَسَادٍ فَهَكَذَا قَالَ: إِنِّي سَأُعْطِيكُمْ مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ. وَلِذَلِكَ قَالَ أَيْضاً فِي مَزْمُورٍ آخَرَ: لَنْ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَاداً. لأَنَّ دَاوُدَ بَعْدَ مَا خَدَمَ جِيلَهُ بِمَشُورَةِ اللهِ رَقَدَ وَانْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ وَرَأَى فَسَاداً. وَأَمَّا الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فَلَمْ يَرَ فَسَاداً. فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً عِنْدَكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ أَنَّهُ بِهَذَا يُنَادَى لَكُمْ بِغُفْرَانِ الْخَطَايَا وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى" (أع ١٣: ٣٢– ٣٩). هل في هذا خلاف عما كان بطرس يكرز به؟ ليس من خلاف بينهما، إنما هو كشف أكثر اكتمالاً. لا نعرف أبداً أن بطرس قد كرز بالتبرير بل إنما بالصفح والغفران. بولس هو من أضاف التبرير. فعندما يغفر الله بيسوع القائم والممجد، لا يغفر فقط بل إنما يبرر من الإثم. من غير الممكن أن يحدث أن قاضياً دنيوياً يمكن بآن معاً أن يغفر وأن يبرر رجلاً. تخيلوا رجلاً متهماً بجريمة يحاكم عليها في المحكمة، وبعد تقديم الإثبات أو الدليل القاطع على جريمته يعلن القاضي أنه غير مذنب ويطلق سراحه. ومن الطريف أن يقول له أحد ما وهو يغادر مبنى المحكمة: "أريد أن أهنئك، لقد كان جميلاً من القاضي أن يغفر لك".

"هو لم يغفر لي. هو لم يسامحني. أنا مبرّرٌ. ليس من شيءٍ ليُغفَر لي من أجله".

لا يمكنك أن تبرر رجلاً إن كان قد قام بعمل شرير، ولكن يمكنك أن تغفر له. أما الله فهو لا يغفر فحسب بل يبرّر الفجّار، لأنه يربط المؤمن بالمسيح وقد جعلنا "مقبولين في المحبوب" (أفسس ١: ٦). إننا نقف أمام الله مبرأين من كل تهمة وكأننا لم نرتكب إثماً أبداً. إن كلتا الرسالتين واحدة في المحتوى. ولكن رسالة بولس أكثر اكتمالاً نوعاً ما من تلك التي لبطرس. فالأول كانت لديه رسالة وقد كيّفها بشكل خاص لليهود والثاني للأمميين، وهكذا تمايز عملهما عن بعض بشكل واضح. لدينا ما يشبه ذلك في حقل العمل التبشيري اليوم. فرؤساء المجالس يجتمعون ويقول أحدهم: "لنفترض أن مجموعة ما منكم تعمل في هذه المنطقة ومجموعة أخرى تعمل في تلك. فهل تقولون أن هناك أربعة أو خمسة أناجيل مختلفة؟" لا، أبداً على الإطلاق. إنه نفس الإنجيل. فقد يذهب أحدهم إلى نيجيريا، والآخر إلى أوغندا، وآخر إلى تنزانيا، وآخرون إلى أصقاع أخرى، إلا أن لهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جميعاً نفس الرسالة المجيدة. وهي بسيطة واحدة وسهلة، ما لم يحاول المرء أن يقرأ تفاصيل وأشياء لم يكن الرسل يفكرون بها أو تخطر ببالهم أو يقصدونها. لم تتح لبولس أو بطرس أبداً فرصة دراسة المناهج الحديثة لبعض المتطرفين القائلين بالتدبير الإلهي، وهكذا لم تخطر لهم الأفكار التي يحاول بعض الناس دسّها إلى المسيحية اليوم.

الآية ١٠ ممتعة: "غَيْرَ أَنْ نَذْكُرَ الْفُقَرَاءَ. وَهَذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ". إني أتساءل ألم يبتسم بولس عندما سمع ذلك. لقد قالوا: "اذهب أنت إلى الأمميين يابولس ولكن لا تنسى أن هناك الكثير من القديسين الفقراء في اليهودية، ورغم أنك لا تكرز وسطهم، فأرسل لنا برزمة أو مبلغاً من حين إلى آخر". لقد فعل، وبذلك أظهر أنهم كانوا جسداً واحداً وروحاً واحدة، كما أنهم دُعيوا برجاء واحد لدعوتهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الخامس
ارتداد بطرس في أنطاكية
(غل ٢: ١١- ٢١)

"وَلَكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً. لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ. وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضاً، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ! لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ: «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيّاً لاَ يَهُودِيّاً، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟» نَحْنُ بِالطَّبِيعَةِ يَهُودٌ وَلَسْنَا مِنَ الأُمَمِ خُطَاةً، إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا. فَإِنْ كُنَّا وَنَحْنُ طَالِبُونَ أَنْ نَتَبَرَّرَ فِي الْمَسِيحِ نُوجَدُ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً خُطَاةً، أَفَالْمَسِيحُ خَادِمٌ لِلْخَطِيَّةِ؟ حَاشَا! فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَبْنِي أَيْضاً هَذَا الَّذِي قَدْ هَدَمْتُهُ، فَإِنِّي أُظْهِرُ نَفْسِي مُتَعَدِّياً. لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا لِلَّهِ. مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي. لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذاً مَاتَ بِلاَ سَبَبٍ".

هذا المقطع يوحي بعدد من الاعتبارات الشيّقة. فبادىء ذي بدء، ننذهل إذ نجد بولس وبطرس وكلاهما رجلان موحى لهما من الله، وكلاهما مفوضان من الرب يسوع المسيح ليذهبوا إلى العالم ويعلنوا إنجيله، وكلاهما رسلٌ، ننذهل إذ نجدهما الآن يختلفان بحدة أحدهما عن الآخر. وهذا سيفترض بالتأكيد أن الرسول بطرس الذي هو على ضلال، ليس الصخرة التي تُبنى عليها الكنيسة. فيا لها من صخرة متزعزعة إن كان كذلك، فها هنا نفس الرجل الذي أعطاه الآب ذلك الإعلان الرائع بأن المسيح هو ابن الله الحي، فالمفارقة هي أنه يسلك في أنطاكية بطريقة تثير الشك بإنجيل نعمة الله. إن كان بطرس هو أول بابا فهو بابا غير معصوم وعرضة للخطأ. إلا أننا نجده نفسه يقول أنه لم يكن يتمتع بهكذا مكانة، إذ يخبرنا في الإصحاح الخامس من رسالته الأولى بأنه كان مثله مثل بقية رفاقه الشيوخ في كنيسة الله وليس في موضع سلطة أو ترأس على سلطة الكنيسة المشيخية والشيوخ في كنيسة الله. إضافة إلى ذلك فإن قراءة الكتاب المقدس تظهر لنا الأهمية الكبرى لأن نكون منتبهين إلى ألا نساوم بأي شكل على حقيقة الله الثمينة.

وقد رأينا لتوِّنا كم كانت تلك الحقيقة هامة في عيني الرسول بولس عندما أمكنه أن يدعو بدينونة ملائمة مستحقة على الرجل، أو حتى على الملاك، الذي يبشر بأي إنجيل آخر يختلف عن الإعلان الإلهي الذي نُقل إليه. ونعلم أن ذلك الموقف لم يكن بسبب تعكر مزاجه الذي جعله يكتب على هذا النحو، بل لأنه أدرك كم هو مهمٌ أن يحفظ "الإيمان الذي سُلِّم (لمرةٍ) للقديسين" (يهوذا ٣). هذا ما يشرح موقفه هنا بالنسبة لبطرس، أخيه الرسول. لقد تم الاتفاق، كما رأينا، في المجمع الكبير في أورشليم أن يذهب بطرس إلى اليهود وأن ينطلق بولس إلى الأمميين، وإذ أجريت مقارنة بين رسالتيهما وجد المجتمعون أنهما تتناقضان مع بعضهما، وأن كلتاهما تُعلِّم وتقول بأن الخلاص كان بالإيمان وحده بالرب يسوع المسيح، وأنهما كلتاهما كانتا تدركان عبث أو لا جدوى أعمال الناموس كوسيلة لتحقيق البر عند الإنسان الخاطئ.

كان بولس وبرنابا قد توجها إلى أنطاكية وعملا فيها قبل وقت طويل في حين أن بطرس كان قد جاء

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من أجل الزيارة، وأنطاكية هذه مدينة أممية كان فيها كنيسة كبيرة قوامها بشكل أساسي مؤمنون أمميون. أعتقد أن بطرس قد لاقى ترحاباً كبيراً بذراعين مفتوحتين، ولا بد أنه كان أمراً مفرحاً لبولس الرسول أن يرحّب ببطرس وأن يكون شريكاً له في الكرازة بكلمة الله لأولئك الناس في أنطاكية. في البداية أمضيا وقتاً سعيداً تماماً. فكانا يذهبان معاً ويجولان معاً على بيوت المؤمنين ويجالسونهم على نفس الموائد مع المسيحيين الأمميين. كان بطرس فيما مضى صارماً جداً كيهودي حتى أنه ما كان ليفكر أبداً بأن يدخل بيت أي أممي أو يخالطه أو يقيم معه أي رفقة أو صحبة. وكم كان أمراً ساراً أن ترى هؤلاء المؤمنين المختلفين، الذين كان بعضهم يهودي الأصل والآخر أممي، أعضاء الآن في الجسد الواحد، ألا وهو جسد المسيح، ويتمتعون بالرفقة معاً ليس فقط إلى طاولة الرب، بل أيضاً في منازلهم. فعندما يتحدث بولس عن تناول الطعام مع الأمميين أفترض أنه يشير إلى جلوسه إلى موائدهم حيث كانوا يستمتعون بالرفقة المسيحية الجميلة ويتبادلان أطراف الحديث في أمور الله في حين يتمتعون بالأمور الحسنة التي قدمها الرب لهم. ولكن لسوء الحظ حدث شيء أعاق وأعطب تلك الشركة المقدسة.

فقد انحدر بعض الأخوة من أورشليم، الذين كانوا من الفريسيين المتزمتين ورغم أنهم دعوا أنفسهم مسيحيين (ولعلهم كانوا كذلك) إلا أنهم ما كانوا قد تحرروا أبداً من الشرائع أو الناموسية وأدرك بطرس أن سمعته كانت على المحك. فإن وجدوه يأكل مع مؤمنين أمميين وعادوا إلى أورشليم وأخبروا عن ذلك، فهذا قد يؤثر على موقفه وموقعه هناك، ولذلك، وبدافع الحرص والحصافة، حسبما ظنَّ، انسحب من بينهم وما عاد يشاركهم الطعام، فلو اختار أن لا يأكل مع أمميين، فهل كان من الممكن أن يقول أحد أن موقفه هذا خطأ؟ وإذا أخذ بالاعتبار آراء هؤلاء الأخوة المجحفة أفلا يكون بذلك قد أبدى قدراً من الكياسة المسيحية؟ لقد كان يشعر بحرية القيام بهذه الأعمال ما لم تزعج هؤلاء الآخرين. أما بولس فقد كان يرى ما هو أعمق من ذلك. لقد رأى أن حريتنا في المسيح متوقفة فعلياً على السؤال فيما إذا كان على المرء أن يجلس إلى مائدة الطعام مع هؤلاء الذين خرجوا من أمميتهم إلى اسم ربنا يسوع المسيح، وهنا يكمن الجدال أو نقطة الخلاف.

يقول بولس: "لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً". ليس هناك خنوع أو تبعية في موقف بولس هنا وليس هناك تمييز لبطرس كرئيس للكنيسة. لقد كان بولس يدرك أن سلطة إلهية قد عُهدت إليه وأنه كانت له الحرية في أن يشك في تصرف بطرس نفسه رغم أنه كان أحد الاثني عشر الأساسيين. "لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ (الذي كان متزعماً في أورشليم) كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ". نقرأ في العهد القديم: "خَشْيَةُ الإِنْسَانِ تَضَعُ شَرَكاً". وهنا نتعجب بانذهال إذ نجد الرسول بولس، وبعد سنوات من العنصرة خائفاً من وجه الإنسان. لطالما قيل أن بطرس كان قبل العنصرة جباناً، ولكن عندما تلقى معمودية العنصرة تغير كل شيء. لقد وقف أمام الناس في أورشليم وجاهر بالحقيقة بجرأة قائلاً: "لقد قتلتم أمير الحياة"، فذاك الذي كان قد أنكر الرب بسبب خوفه من الناس نجده الآن يقول بجرأة وصراحة أن: "وَلَكِنْ أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ" (أع ٣: ١٤). لقد وصل البعض إلى الاستنتاج بأنه إذا تلقى إنسان معمودية العنصرة فإنه لن يكون جباناً أبداً، وأيضاً أن كل الخطيئة الفطرية تحترق عندئذ بنار الله المنقية المطهرة. ولكننا لا نجد مثل هذه في كلمة الله. صحيح أنه تحت تأثير معمودية العنصرة لم يَخشَ بطرس من وجه إنسان، ولكنه الآن بدأ بالزلل. إن حقيقة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حصول المرء على بركة روحية كبيرة في أي وقت لا تشكل أبداً ضمانة بأنه سوف لن يخاف من جديد.

والآن نجد بطرس مترعجاً بنفس التهجم الذي جعله يعاني مشقة من قبل، خائفاً مما سيقوله الآخرون عنه، وعندما رأى هؤلاء المشرعين نسي كل شيء عن العنصرة وكل ما يتعلق بالبركة التي أتت وكل الإعلان الرائع الذي كُشف له عندما نزلت الملاءة من السماء وسمع الرب يقول: "«مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ!»" (أع ١٠: ١٥). لقد نسيَ كيف أنه هو نفسه قد وقف في بيت كورنيليوس وقال: "أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُلٍ يَهُودِيٍّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيٍّ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لاَ أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ" (أع ١٠: ٢٨). ونسيَ أنه هو من وقف في مجمع أورشليم أمام الجميع، وبعد سرده لما حدث خلال زيارة كورنيليوس، هتف قائلاً: "لَكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ (نحن اليهود بالطبيعة) أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولَئِكَ أَيْضاً" (أع ١٥: ١١). لقد كان هذا إعلاناً رائعاً. لعلنا كنا نتوقعه أن يقول: "إننا نؤمن أنه بنعمة الرب يسوع المسيح سيخلصون، مثلنا تماماً"، أي "هؤلاء الأمميون قد يخلصون بالنعمة كما أننا نحن اليهود نخلص بالنعمة". ولكن لا. لقد كان لديه إعلان رائع عن المعنى الحقيقي للعنصرة وهذا التدبير المجيد لنعمة الله. ما الذي جعله ينسى كل هذا؟ إنها النظرات العابسة المقطبة التي تبدت عن أولئك الرجال الذين من أورشليم. لقد كانوا قد سمعوا أنه كان يمارس حرية ما كانوا يؤمنون بها، وجاؤوا ليراقبوه. ففكر أنه لا ينبغي عليه أن يدخل إلى بيت الأمميين ليأكل معهم في الفترة التي يكون فيها أولئك الرجال في الجوار. وهكذا وبدون أن يفكر في أن هذا سيزعج أولئك المسيحيين الأمميين البسطاء الذين كانوا قد عرفوا الرب منذ برهة قصيرة وحسب، ولكي يُرضي هؤلاء المشرعين الذين من أورشليم انسحب من مجالس الأمميين ومن تلك الرفقة الحميمة التي كان يعيشها معهم. لم يكن وحده من اتخذ هذا الموقف بل تبعه آخرون أيضاً متأثرون به. "رَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضاً". لقد بدا وكأنه ستكون هناك كنيستان في أنطاكية عما قريب، إحداهما لليهود والأخرى للأمميين، وكأن حجاب الحائط المتوسط لم يتمزق.

"رَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضاً" ما أثار سخط بولس هو رفيقه الحميم، وشريكه في العمل الرسولي، والرجل الذي فهم جيداً من البداية العمل الذي ينبغي عليه أن يقوم به، أعني به برنابا: "حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ". كم من معانٍ مؤثرة تحمل هذه الكلمات! فبرنابا الذي كان يعرفه حق المعرفة، برنابا الذي كان قد رأى كم أن الله القدير قد عمل من خلاله وسط الأمميين والذي عرف أن كل ذلك النظام التشريعي الناموسي القديم قد سقط إلى غير رجعة، برنابا هذا قد انقاد إلى ريائهم.

"الرياء" كلمة مناسبة نوعاً ما. إني أتساءل عن السبب الذي لم يترجم فيه المترجمون الكلمة اليونانية الأصلية كما هي كما اعتادوا أن يفعلوا في أماكن أخرى في الكتاب المقدس. لعلهم لم يفضلوا استخدام الكلمة الأخرى المرتبطة بشخص مثل برنابا. إن الكلمة هي "النفاق": "لقد صار اليهود الآخرون منافقين مثله، وذلك على قدر ما كان برنابا يسايرهم في نفاقهم. أعتقد ان بطرس كان ليقول: "إننا نقوم بذلك لمجد الله"، ولكن لم يكن الحال هكذا أبداً، لقد كان نفاقاً صريحاً وبكل معنى الكلمة في نظر الله. لقد كان بولس يدرك ماهية الأمر، فقال: "لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ...". لم يكن ذلك لقاءً سرياً، ولم يكن هناك اغتياب. فما كان ينبغي عليه ان يقوله كان يقوله بصراحة وعلانية، ولم يبدُ أنه كان يراعي مشاعر بطرس. علينا أن نتذكر دائماً القول: "إِنْذَاراً تُنْذِرُ صَاحِبَكَ وَلا تَحْمِلْ لأَجْلِهِ خَطِيَّةً"

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

(لاويين ١٩: ١٧). وبعد بضعة سنوات من ذلك كتب (بولس) إلى تلميذه تيموثاوس: "اَلَّذِينَ يُخْطِئُونَ وَبِّخْهُمْ أَمَامَ الْجَمِيعِ لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ الْبَاقِينَ خَوْفٌ" (١ تيموثاوس ٥: ٢٠). هناك أشياء كثيرة ما كان يمكن الاستهانة بها. ما كان من الممكن أن يجلس بولس مع بطرس في ركن ناءٍ وأن يسويا المسألة بهدوء، إذا كانت فضيحة عامة علنية، واستدعت طرح مسألة حرية الأمميين في المسيح ولذلك كان يجب تسوية المسألة علانية. قد يتخيل المرء مشاعر بطرس، وهو رجل الله النبيل، ومع ذلك فقد وقع في هذا الشرك. في البداية أجفل وهوينظر إلى بولس، وأتخيل بعد ذلك أنه أدرك، وبرأس مطأطأ وقد احمر وجهه خجلاً، كم كان مذنباً ومخطئاً عندما سعى إلى إرضاء هؤلاء التشريعيين الذين كانوا ليَسلبون الكنيسة من إنجيل النعمة الرائع. "«إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيّاً لاَ يَهُودِيّاً، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟»" لقد تحدث بشكل واضح مباشر وصريح. وأعتقد أن أولئك اليهود قد رفعوا أبصارهم وقالوا: "ما هذا؟ لقد كان يعيش وفق أسلوب الأمميين أليس كذلك؟" نعم، لا بد وأنهم عرفوا ذلك، إذ كان له الحق في أن يفعل ذلك. لقد أعطى الله كل الناس هذه الحرية وكان بطرس يمارسها، لكنه الآن كان يجر نفسه إلى العبودية. كان بطرس قد قال: " إننا نعلم نحن اليهود أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، ولكن علينا أن نخلص بالنعمة كما الأمميين، فلماذا نصر إذاً على أن نضع هؤلاء الأمميين تحت نير الشكلية والشعائر اليهودية؟"

ويتابع بولس كلامه قائلاً: "نَحْنُ بِالطَّبِيعَةِ يَهُودٌ وَلَسْنَا مِنَ الأُمَمِ خُطَاةً، إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا". لقد تخلينا عن كل ثقتنا وحرصنا على حفظ الناموس كوسيلة للخلاص عندما اهتدينا إلى المسيح، والآن، يا بطرس هل تريد أن تقول بتصرفك للأخوة الأمميين: "عليكم أن تخضعوا لعبودية حفظ الناموس، التي منها أُعتقنا لكي تتبرروا حقاً؟" لقد كانت مناسبة جليلة، إذ كان هناك سؤال هام على المحك، وعالجه بولس بطريقته الجريئة التي اعتدنا عليها.

أتراك تحاول، مثل آخرين كثيرين جداً، أن تفعل كل ما بوسعك لكي تنال خلاص الله؟ أصغِ إذاً إلى ما يقوله (بولس): "بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا"

"إن سال دمعي إلى الأبد،
و لم تعرف حماستي الكلل،
فهذه لا تكفّر عن الخطيئة،
بل أنت من يخلّص، أنت وحدك".

منذ بضعة سنوات، بعد أن أصغى إلي رجل وأنا أكرز عند ناصية شارعٍ قال لي: "إني أكره هذه الفكرة بأنه بموتٍ وبرِّ شخص آخر أخلص أنا. لا أريد أن أكون مديناً لأي كان من أجل خلاصي. فلست أجيء إلى الله مستجدياً متسولاً، بل إني أومن أنه إن كان الإنسان يحيا وفق العظة على الجبل ويحفظ الوصايا العشر فإن الله يكتفي منه بهذا القدر ولا يطلب منه المزيد".

فسألته: "يا صديقي، هل عشت حسب الموعظة على الجبل وهل حفظت الوصايا العشر؟".

"ليس تماماً. إلا أني أسعى ما بوسعي".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فأجبته: "ولكنّ "مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُلِّ" (يعقوب ٢: ١٠). و"مَكْتُوبٌ «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»" (غل ٣: ١٠). ولأنك لم تثابر أو تثبت فإنك تحت اللعنة".

هذا كل ما يستطيع الناموس أن يفعله من أجل أي خاطئ بائس. يستطيع فقط أن يدين، لأنه يتطلب براً كاملاً من بشر خاطئين، براً لا يستطيع أي إنسان خاطئ أن يقدمه على الإطلاق. ولذلك فعندما أرانا الله من خلال كلمته أن البشر مجردون من البر، نجده يقول: "لدي برٌّ للخطاة الآثمين، ولكن عليهم أن يتقبلوه بالإيمان"، ويخبرنا الحكاية العجيبة عن موت وقيامة ربنا يسوع المسيح– "الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رومية ٤: ٢٥). وإن كنا قد آمنا به فهل سنعود إلى أعمال الناموس؟

يقول بولس: "فَإِنْ كُنَّا وَنَحْنُ طَالِبُونَ أَنْ نَتَبَرَّرَ فِي الْمَسِيحِ نُوجَدُ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً خُطَاةً، أَفَالْمَسِيحُ خَادِمٌ لِلْخَطِيَّةِ؟ حَاشَا!". لقد كان موسى وسيط الناموس وكان ليستخدمه الله لتصبح الخطيئة تبدو خاطئة بشكل مفرط. هل هذا هو ما يفعله المسيح كلياً؟ الأمر ببساطة هو أن مثاله المجيد كان ليُظهر لي كم هي عميقة خطيئتي، ومدى خطورة حالتي الضالة، فهل أستطيع أن أخلص نفسي بجهودي الذاتية؟ بالتأكيد لا. كان ذلك ليجعل المسيح خادماً للخطيئة، ولكن المسيح هو خادم للبر لكل الذين يؤمنون. أعتقد أن الآية ١٧، وربما الآية ١٨ أيضاً توصلنا إلى الاستنتاج بأن ما يقوله بولس لبطرس هو التالي: "إِنْ كُنْتُ أَبْنِي أَيْضاً هَذَا الَّذِي قَدْ هَدَمْتُهُ، فَإِنِّي أُظْهِرُ نَفْسِي مُتَعَدِّياً". ليس لدينا علامات اقتباس في النص اليوناني الأصلي القديم، ولذلك لا نعرف بالضبط أي كلمات قالها بولس لبطرس، ولكننا نرجح أنه ختم حديثه بإلقاء اللوم على بطرس باستخدام هذه الجملة.

"لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا لِلَّهِ". ماالذي يقصده بذلك؟ إنه يقصد أن يقول أن الناموس كان يحكم علي بالموت، إلا أن المسيح أخذ مكاني وصار بديلاً عني. فمتُّ فيه. "لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا لِلَّهِ". والآن أنتمي إلى خليقة جديدة كلياً. ويالروعة تلك الخليقة الجديدة! لقد سقطت الخليقة القديمة في رئيس نسلها، آدم، والخليقة الجديدة تثبت إلى الأبد في رئيسها الرب يسوع المسيح. إننا لا نحاول أن نعمل لأجل خلاصنا، إننا نخلص بالعمل الذي أنجزه هو نفسه. يمكننا أن ننظر إلى ذلك الصليب الذي عُلق عليه، الضحية النازفة بدلاً منّا، ويمكننا أن نقول بإيمان: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ". لكأن حياتي قد أُخذت، لقد أخذ مكاني: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا". بما أني توحدت به في موته على الصليب أرتبط به الآن في حياة القيامة، إذ أعطاني أن أكون مشاركاً في حياته الأبدية المجيدة الخاصة. "فَأَحْيَا لاَ أَنَا". ليس الأمر أني أنا العتيق أعود إلى الحياة من جديد، "بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ". فهو، الممجد، هو حياتي الحقيقية، وتلك "الحياة التي أحياها الآن بالجسد، خبرتي هنا على الأرض كمسيحي في الجسد، "أحياها"– ليس بأن أضع نفسي تحت قوانين ونظم وأن أحاول أن أحفظ ناموس الوصايا العشر بل– "بِإِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي". بما أنني ممتلئ به، فستكون حياتي على الشكل الذي يستحسنه.

"ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي". أود لو أن كل واحد منّا يستطيع أن يقول هذه الكلمات في قلبه. أتستطيعون أن تقولوها في قلوبكم؟ إنها ليست "ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّ العالم، وبذل نفسَه لأجل العالم"، بل "ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي". وحدهم أولئك الذين يضعون عليه رجاء إيمانهم يستطيعون أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يتكلموا على هذا النحو. أتستطيع أن تقولها من قلبك؟ إن لم تكن قد قلتها من قبل، يمكنك اليوم أن ترفع بصرك إلى وجهه وأن تقولها لأول مرةٍ وهكذا يختم بولس هذا القسم بقوله: "لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ (أو سوف لن أُبْطِلَ نِعْمَةَ اللهِ). لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذاً مَاتَ بِلاَ سَبَبٍ". ولكن بما أن البر لا يمكن إيجاده بالناموسية، أو المحاولات الذاتية، فإن المسيح قد بذلَ ذاته بالنعمة من أجل الخطأة المحتاجين، وهو نفسه برّ كل من يضعون عليه إيمانهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل السادس

"مَنْ رَقاكُمْ؟"

(غل ٣: ١ - ٩)

"أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ، مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لاَ تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوباً! أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هَذَا فَقَطْ: أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمُ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟ أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ! أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟ أَهَذَا الْمِقْدَارَ احْتَمَلْتُمْ عَبَثاً؟ إِنْ كَانَ عَبَثاً! فَالَّذِي يَمْنَحُكُمُ الرُّوحَ، وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ فِيكُمْ، أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟ كَمَا «آمَنَ إبراهيم بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً». اعْلَمُوا إِذاً أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ أُولَئِكَ هُمْ بَنُو إبراهيم. وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إبراهيم أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ». إِذاً الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إبراهيم الْمُؤْمِنِ".

نأتي الآن إلى القسم العقائدي بامتياز في هذه الرسالة. في الآية ١ من هذا الإصحاح يستخدم بولس لغة غير مألوفة. ما يقصد أن يقوله هو التالي: "كيف حدث أنكم تبدون كمن وقع تحت تأثير نوع من الرُّقية حتى فقدتم فهمكم للحقيقة وأصبحت قلوبكم وأذهانكم مغشاة بالخطأ". إن الغلط يؤثر على الناس على ذلك النحو. من الممكن تماماً للمرء أن يهتدي حقاً وأن يبدأ بمعرفة واضحة محددة لنعمة الرب يسوع التي تخلص، ومن ثم، وبسبب إخفاقه في متابعة دراسة الكلمة والتعبد لها، يصبح تحت تأثير نظام مزيف ما، وفكرة في التعليم غير كتابية. وغالباً عندما يقع الناس تحت هكذا تأثير تجد أنه من غير الممكن تقريباً أن تحررهم. يبدو أنهم تحت تأثير رقية.

بالطبع لا يقول الرسول بولس أن امرئ لديه القوة على أن يرقي آخر، بل إنما يستخدم ذلك كمثال توضيحي. فيقول: "أولئك الرجال الذين انحدروا من أورشليم ويعلّمونكم بأنكم لا يمكن أن تخلصوا ما لم تختتنوا وتحفظوا ناموس موسى، قد أثّروا عليكم حتى أنكم صرتم مثل أناس وقعوا تحت تأثير السحر وتحت تأثير رُقية. إنكم لا تستطيعون أن تعقلوا الأمور، أو أن تتحققوا مما هو صحيح وما هو خاطئ". لم يكن الواقع تماماً هو أنهم قد "استسلموا لوهمٍ قوي". عندما يقدم الله الحقيقة للناس ويتنحون عنها عن عمد، يصبحون بذلك عرضة لتحمل مخاطر وتبعات طاعة التعليم الزائف، ولكن هناك شيء آخر في ذهنه هنا فعلى جميع الأحوال، لم يكن هؤلاء الناس مسيحيين حقيقيين، بل مسيحيين حقيقيين يسلكون كأناس تحت تأثير رُقية.

"أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ، مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لاَ تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوباً؟" عندما يدرك المرء الحقيقة المباركة بأن الرب يسوع قد صُلبَ من أجلنا، فهذا بحدّ ذاته يجب أن يعني تحريرنا إلى الأبد من هكذا خطأ مثل ذاك الذي وقع فيه هؤلاء الناس. إن كان المسيح قد بذل نفسه عني حقاً فذلك لأنه كان من غير الممكن بالنسبة لي أن أفعل ولو أمراً واحداً لأخلص نفسي. ولأنني لم أستطع أن أهيء نفسي لحضور الله، ولأني لم استطع أن أطهر قلبي من الخطيئة، ولأنه ما من عمل بر لي يمكن أن يؤهلني لأن أكون مع الرب، كان لا بد له أن ينزل من السماء وأن يبذل نفسه عني على الصليب. أتى لي أن افكر إذاً بأن أتّكل على أساس الاستحقاق البشري كوسيلة لضمان الخلاص، أو أن أصون نفسي في حالة من الخلاص أمام الله؟ لقد كنتُ أستحق الموت ولكن يسوع المسيح أخذ مكاني وسوّى المسألة لأجلي. لقد حقق كل مطالب البر الإلهي، وبه أخلص إلى الأبد. فهل أعود إلى الناموس لأكمل العمل الذي قام به؟ حاشى، وكلا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يشير الرسول بولس الآن إلى بداية حياتهم المسيحية ويقول: "أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هَذَا فَقَطْ: أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمُ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟" في الأصحاح السابق كان قد أظهر كيف يتبرر الإنسان أمام الله بالإيمان وحده، وأعلن أن الناموس قد أخذ أهمية أكبر من خلال الإدراك حقيقة أن عقوبة مخالفته قد تم دفعها بصليب ربنا يسوع المسيح، أكثر من أن تكون بجهود بائسة للإنسان للحفاظ عليه كوسيلة للخلاص. والآن يضيف إلى التبرير بالإيمان حقيقة اقتبال الروح القدس. فيقول: "ارجعوا إلى خبرتكم المسيحية الذاتية. لقد أخذتم الروح القدس عندما آمنتم بالرب يسوع، عندما قبلتم رسالة الإنجيل كما قدمتُها لكم (يشير بذلك إلى خدمته بينهم). لقد أعطاكم الله الروح القدس، ليس على أساس أهلية أو استحقاق من قبلكم، ولا بفضل أي صلاح كان يمكنكم القيام به، وبالتأكيد ليس بسبب حفظ الناموس أو ممارسات طقسية، لأنكم كنتم أمميين غير مختونين. ومع ذلك عندما آمنتم بالرب يسوع، منحكم الله الروح القدس". والآن يقول: تمعنوا في المسألة؛ هل اقتبلتم الروح بأعمال الناموس؟ بالتأكيد لا. كيف إذاً؟ "بخبر الإيمان".

"أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ! أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟" بمعنى آخر، إن جاء الروح القدس ليسكن فيكم في الحالة التي أنتم عليها عندما جئتم إلى المسيح، أتعتقدون أنكم في حاجة لتكملوا الأعمال باستخدام الجهود الشخصية الذاتية تحت القوانين التشريعية والنواميس؟ أنتم الذين تعرفون محبة الرب يسوع المسيح قد اقتبلتم الروح القدس. قد يقول البعض منكم: "أتمنى لو كنت على يقين من ذلك". ولكن الكتاب المقدس يقول بشكل محدد: "إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ" (أفسس ١: ١٣). لقد ولدتم بالروح القدس. قد تتساءلون: "هل تقصد أنني عندما ولدت من جديد، أن ذلك كان اقتبالاً للروح القدس؟" إن الكتاب المقدس يميز بين الولادة الجديدة بالروح واقتبال الروح القدس ولكن ليس من حاجة بالضرورة لوجود أي فاصل زمني بين ولادتنا الجديدة واقتبال الروح القدس. إن الولادة الجديدة هي عمل الروح القدس. وهذا الروح نفسه هو الذي يقوم بالعمل؛ فيأتي ليسكن في الإنسان الذي يولد من جديد. إن الولادة الجديدة هي خلق جديد، والروح القدس هو الخالق. إن الولادة الجديدة هي عمل الله، ولكن الروح القدس هو الله. هناك فرق بين أن تكون مولوداً من الله وأن يكون روح قدس الله ساكناً فيك. في التدابير الماضية كان الناس يُولدون من الله ومع ذلك ما كان يسكن فيهم روح قدسه. ولكن مع مجيء تدبير نعمة الله، عندما يولد الناس من جديد، فإن الروح القدس نفسه يأتي ويسكن فيهم. في حالة هؤلاء الغلاطيين، لو لم يصادق (الروح القدس) على العمل الذي قام به بولس، لو لم يصادق على موقفهم في اقتبال الرب يسوع المسيح، لما كان أبداً ليأتي ويسكن فيهم كما كانت عليه حالهم. لو كان ضرورياً لهم أن يخضعوا للطقوس والشعائر الموسوية، لكان سيوضح لهم المسألة ويقول: "لا يمكنني أن آتي وأسكن فيكم إلى أن تتم تسوية هذه الامور، إلى أن تخضعوا للتشريعات والقوانين"، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا القبيل. لقد آمنوا، وأخذوا مكانهم أمام الله كخطأة ضالين، وانعطفوا إليه في توبة، وقبلوا المسيح بالإيمان مخلصاً لهم، وأمكن للروح القدس أن يقول: "الآن أستطيع أن أسكن فيهم وقد تطهروا من خطاياهم بدم المسيح الزكي، وسأجعل من أجسادهم هياكل لي". ألا ترون كم أن هذا النقاش واضح خلال لقاءات التعليم عند أولئك الناس؟

"أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟". ذكّرهم بما مروا به في تلك الأيام الاولى. لقد كان يعني كثيراً لأولئك الناس في مثل ظروفهم أن يخرجوا من نير الوثنية ويتخذوا موقفاً يخالف أصدقاءهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأقرباءهم، وأن يقبلوا الرب يسوع المسيح مخلصاً لهم، وأن يعلنوا أن الأصنام التي كانوا يعبدونها يوماً لم تكن سوى صور بكماء وعاجزة أن تخلصهم. أن يتخلوا عن كل ما كانوا يشاركون به لسنوات كثيرة كان يعني الكثير، وعرّضهم للمعاناة والاضطهاد المرير و سوء الفهم المميت من جانب إخوتهم البشر ومع ذلك فكُرمى ليسوع اتخذوا تلك الخطوة بسرورٍ، ولأجل يسوع تحملوا التوبيخ، وعُذّب الكثيرون منهم، حتى الموت، وأولئك الذين كانوا لا يزالون أحياء كانوا يحسبون أنه لسرور بالغ أن يشاركوا المسيح في الرفض الذي تلقاه. إلا انهم وقعوا تحت سطوة نظام فاسد يعلّم بأنه لم يكن هناك خلاص إلى أن يخضعوا لما فرضه عليهم أولئك المشرعون المتهودون.

"أَهَذَا الْمِقْدَارَ احْتَمَلْتُمْ عَبَثاً؟"، أكان عبثاً كل ما عانوه من أجل المسيح؟ أكان مجرد اعتراف؟ إن لم يكن كذلك فكيف بدا وكأنهم قد فقدوا يقينهم؟ ومن ثم يضيف "إِنْ كَانَ عَبَثاً!". لا يمكنه أن يصدق أن ذلك كان عبثاً، إذ يعود بنظره إلى الوراء ويتذكر المشقات التي مروا بها، والفرح الذي أتى إليهم عندما اعترفوا باقتبالهم المسيح، والمحبة التي كانت تضطرم بها قلوبهم أحدهم نحو الآخر، ونحوه كخادم لله والمخلص نفسه. إنه يقول: "إني أتذكرٍ العذابات التي كنتم على استعداد لاحتمالها من أجل الإنجيل؛ لا يمكنني أن أصدق أنكم لم تهتدوا، وأن ذلك لم يكن حقيقياً لقد ضُلِّلتم، وغشي الضباب أعينكم، وأود لو أمكنني بنعمة الله أن أحرركم". لم يكن يحمل أية ضغينة نحوهم أو نحو أولئك الرجال الذين انحدروا من أورشليم، ولكنه كان يمقت التعليم العقائدي الذي جلبوه معهم. يجد بعض الناس صعوبة في التمييز بين بُغض التعاليم الخاطئة والمحبة للناس الذين يقعون تحت تأثيرها. عندما نشهد على حقيقة الله ونحذّر الناس من التعليم الخاطئ. فهذا لا يعني ولو للحظة أن يكون لدينا أية مشاعر من البغضاء نحو أولئك المضللين الذين ينشرون تلك التعاليم الخاطئة، إننا نحب هكذا أناس لأن المسيح مات عنهم، ونصلي لكي يعودوا عن غيّهم وأن يأتوا إلى معرفة نور الحق.

ثم يذكّرهم الرسول بولس أنه عندما جاء إلى وسطهم ليكرز بإنجيل نعمة الله كانت هناك علامات مذهلة وتجليات تلت ذلك. هم أنفسهم رأوه وبرنابا يصنعون المعجزات. وبعض من تلك الجموع كانت لديهم مواهب مشابهة. تلك الأدلة العجائبية كانت ترافق الشهادة. "الَّذِي يَمْنَحُكُمُ الرُّوحَ، وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ فِيكُمْ، أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟" أعتقد أنه كان يريدهم الآن أن يقارنوا بين خدمة هؤلاء المعلمين الكذبة الذين بينهم وبين خدمته وبرنابا عندما نقل إليهم بساطة وامتلاء إنجيل المسيح ويدرك الفرق بينهما. هل كان هناك ثمة براهين عجائبية عند أولئك المعلمين الكذبة؟ هل أُيدت شهادتهم بقوة عجائبية؟ أبداً على الإطلاق. ولكن عندما مضى بولس يكرز بالمسيح وإياه مصلوباً، فإن الله نفسه وضع ختم موافقته على تلك الشهادة بإعطائه لهما القوة على صنع المعجزات. يقول الناس: "لماذا لا نجد نفس الحال اليوم؟" فحتى اليوم نجد آيات عجائبية ترافق الكرازة بالحق، وهذه لا نجدها عندما يظهر خطأ في التعاليم. عندما يُكرز بإنجيل نعمة الله، فإن الرجال والنساء الذين يؤمنون به يتحررون من خطاياهم، ويعمل الروح القدس فيخلق فيهم حياة جديدة، طبيعة جديدة، ويحررهم. السِّكّيرُ يصغي إلى الإنجيل ويؤمن به ويرى أنه قد تحرر من عبودية الملذات. والفاسق الخليع الذي يقصف ويعربد في فحشائه كخنزير في الوحل يلمح الرب يسوع، فيتحرك قلبه إذ يتفكر في قداسة ونقاء المخلص، فينحني في توبة أمام الله مشمئزاً من نفسه ومن خطيئته، ويغدو نقياً طاهراً وصالحاً. والكاذب والأفّاك الذي لم يستطع أن يقول الصدق لسنوات يسمع إنجيل نعمة الله ويعشق ذاك الذي هو الحق، ويتعلم مذ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذاك فصاعداً أن يقول الكلمات المحقة الصادقة. وذلك الترق الذي كان يشكل رعباً لعائلته حتى أن زوجته تنكمش من الخوف منه، ويخافه أولاده عندما يدخل إلى المترل، تخضعه النعمة الإلهية، ويصبح الأسد حملاً. تلك إنما عجائب كانت تجري عبر الأجيال حيث كان يُكرز بإنجيل نعمة الله. أما التعليم الخاطئ فلا يأتي بهكذا ثمار. إنما يعطي الناس مفاهيم فكرية معينة يتفاخرون بها ولكنها لا تجعل النجس نظيفاً ولا تحرر من النجاسة والفجور. بل إن مجد الإنجيل هو الذي يجعل الناس يؤمنون حقاً بأنهم يصبحون خلائق جديدة في المسيح يسوع. لم تكن هناك هكذا علامات وآيات وعجائب ترافق هذه الكرازة الناموسية التشريعية. وهكذا يعود إلى إبراهيم. كان هؤلاء المعلمون الكذبة يقولون: " لقد دعا الله إبراهيم وأخرجه من بين الأمميين وأعطاه عهد الختان، ولذلك فما لم يتبع هؤلاء الغلاطيون هذا الطريق لا يمكنهم أن يخلصوا". "كَمَا «آمَنَ إبراهيم بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً»". لقد كان إبراهيم أممياً كمثل هؤلاء الغلاطيين وكشف الله الحق له. نقرأ في الآية ٨: "سَبَقَ (الله) فَبَشَّرَ إبراهيم أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ»". وآمن إبراهيم بذلك وبرره الله بالإيمان. متى كرز الله له بالإنجيل؟ لقد أخرجه من خيمته في إحدى الليالي وقال له: "انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ" (تكوين ١٥: ٥).

فقال إبراهيم: "لا أستطيع أن أعدها، إنها ذات عدد لا حصر له". ثم أمره أن يعد الرمل والتراب تحت قدميه فقال إبراهيم: "لا أستطيع فعل ذلك". فقال الله: "هكذا يكون نسلك. وبنسلك تتبارك كل أمم الأرض". لقد أعطى الله إبراهيم الوعد بنسل هائل العدد، يكون لا حصر له كنجوم السماء، وكرمل البحر، وتراب الأرض، وأيضاً البذرة (النسل الفرد) ألا وهو الرب يسوع المسيح نفسه، ابن إبراهيم، إذ به كل أمم الارض سوف تتبارك. لقد كان إبراهيم رجلاً عجوزاً لا أولاد له، ولكن، "لاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِياً مَجْداً لِلَّهِ. وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضاً" (رومية ٤: ٢٠، ٢١). وعندما رأى الله هذا الإيمان في إبراهيم برّره. لم يكن عهد الختان قد أُعطي له بعد، إلا أنه تبرر بالإيمان. ماذا نستنتج من ذلك؟ إن كان الله يستطيع أن يبرر أممياً بالإيمان، أفلا يستطيع أن يبرر عشرة ملايين بالإيمان؟ إن كان إبراهيم هو أبو كل المؤمنين بمعنى روحي، فلسنا في حاجة نحن الأمميين إذاً أن نخشى اتباع نفس خطواته.

وهكذا يتتابع فحوى النص بالآية: "اعْلَمُوا إِذاً أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ أُولَئِكَ هُمْ بَنُو إبراهيم". أترون؟ إبراهيم له نسل روحي وأيضاً نسل طبيعي. فأولئك الذين وُلدوا من نسل إبراهيم بحسب الجسد ليسوا أولاد إبراهيم ما لم يولدوا من جديد؛ يجب أن يكون لديهم إيمان إبراهيم لكي يكونوا أبناء له. لكن في كل أرجاء العالم حيث انطلقت الرسالة، وحيث كان الناس، يهوداً كانوا أم أمميين، يضعون رجاء إيمانهم على نسل ابراهيم ذاك، ألا وهو ربنا يسوع المسيح، ويقتبلونه مخلصاً ورباً، يقول الله: "احسبوه ابناً لإبراهيم". وهكذا فإن لإبراهيم عدداً كبيراً من النسل الروحي. عبر كل القرون، إن ملايين وملايين الناس الذين آمنوا بالله كما فعل ووضعوا رجائهم على المخلص الذي آمنوا به سيشتركون في بركاته، وسيكونون مع إبراهيم إلى الأبد.

"والْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ (ليس بالإيمان والأعمال، وليس بالإيمان والطقوس، وليس بالإيمان والممارسات الأسرارية)، سَبَقَ فَبَشَّرَ إبراهيم أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ»". إن الإنجيل هو بشرى الله الحسنة المتعلقة بابنه. لقد تلقى إبراهيم تلك البشرى الحسنة، وإن تلقيتموها أنتم وأنا وآمنا بها فإننا نرتبط به، ونكون كلنا أبناء إبراهيم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

"إِذاً الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إبراهيم الْمُؤْمِنِ". علام تستندون في خلاصكم؟ لقد تلقيت رسائل من أناس كانوا ساخطين لأني قلت بأن الخلاص هو بالإيمان وحده. إن الأمر يجعل المرئ يبدأ أحياناً باكتشاف أنه بعد كل كرازتنا بالإنجيل فإن كثيراً من الناس الذين أقروا باعتراف مسيحي، لم يتعلموا بعد أن الخلاص هو بشكل مطلق من النعمة بالإيمان. نكاد ننسى أن هناك مئات من الناس الذين لا يؤمنون بهذه الأمور. ومع ذلك فأنّى للمرء أن يعترف بإيمانه بهذا الكتاب، ومع ذلك يصر على أن الخلاص يعتمد على جهود بشرية؟ في رسالة رومية نقرأ: "إِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلا" (رومية ١١: ٦). ألا ترون كيف أن روح قدس الله يحسم الجدل فيما إذا كان الخلاص بالنعمة تماماً أو بالأعمال تماماً؟ لا يمكن أن يكون بمزيج من الاثنين قد يقول أحدهم: "ولكن ألا تتذكر القصة القديمة التي تحكي عن كارزين كانا في قارب ويتجادلان فيما إذا كان الخلاص بالنعمة أو بالأعمال، بالإيمان أو بالأعمال؟ وكان النوتيُّ يستمع إليهما، وعندما عجزا عن الوصول إلى حل للمشكلة، قال له أحدهما: "لقد سمعت حوارنا فما رأيك في المسألة؟"

فقال: "حسناً. لقد كنت أفكر في المسألة على هذا النحو– لدي مجذافان، سأسمي الأول إيمان، وهذا الآخر سأسميه الأعمال. إن استخدمت هذا المجذاف فقط فإن القارب سيدور ويدور ولن أصل إلى أي مكان. وإن استخدمتُ ذاك الآخر لوحده فإنه سيدور ويدور أيضاً ولن أصل إلى أي مكان. ولكن إن استخدمتُ كلا المجذافين أستطيع أن أعبر النهر".

ويقول الناس أن هذا مثال توضيحي جميل عن حقيقة أن الخلاص بالإيمان والأعمال. لكان الأمر صحيحاً لو أننا كنا سنذهب إلى السماء بقارب، ولكن ليس الأمر هكذا. إننا نعبر بنعمة ربنا يسوع المسيح اللا محدودة، وكمثل تلك النعجة الضالة التي شردت ووجدها الراعي يحملنا المخلص إلى ديارنا في المجد، فليست مسألة أعمال نقوم بها أو طريق نشقه إلى هناك. وهكذا نعود إلى ما يقوله الكتاب المقدس: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أفسس ٢: ٨، ٩). إن كان علي أن أقوم ولو بفعل صغير كمثل أن أرفع إصبعي الصغير لكيما أخلص نفسي لكنت سأتبختر مختالاً في الشوارع الذهبية وأنا أقول: "المجد لله ولي، إذ بجهودنا المشتركة المتحدة خلُصتُ". كلا. الأمر لا يتطلب أعمالاً مني ولا جهوداً مني وهكذا سيكون ليسوع كل المجد.

"لقد دفع يسوع كل الحساب،

وله أدين بكل شيء.

لقد فقدت الخطيئةُ صبغتَها القرمزية،

إذ قد غسلها الرب فصارت ناصعة كبياض الثلج".

أأنتم في ارتباك وحيرة ويعوزكم يقين الخلاص؟ لعلكم قد صليتم وقرأتم كتابكم المقدس، وذهبتم إلى الكنيسة، واعتمدتم وشاركتم في الأسرار، وحاولتم أن تقوموا بواجباتكم الدينية، ولكن ليس لديكم الشعور بالسلام والراحة ولا تعلمون إذا ما كانت نفوسكم قد خلُصت. ابتعدوا عن الذات والانهماك بالذات وثبتوا أعينكم على مسيح الله المبارك وضعوا رجاء قلبكم فيه وكونوا على يقين "أن كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يَهْلِكُ بَلْ تَكُون لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣: ١٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل السابع
مفتدون من لعنة الناموس
(غل ٣: ١٠- ١٨)

"لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَة، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ». وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ، لأَنَّ «الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا». وَلَكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، بَلِ «الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا». اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَة». لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ. أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ أَقُولُ «لَيْسَ أَحَدٌ يُبْطِلُ عَهْداً قَدْ تَمَكَّنَ وَلَوْ مِنْ إِنْسَان، أَوْ يَزِيدُ عَلَيْه». وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي «إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِه». لاَ يَقُولُ «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِد. وَ«فِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ. وَإِنَّمَا أَقُولُ هَذَا: إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعمِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، لاَ يَنْسَخُ عَهْداً قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ اللهِ نَحْوَ الْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ الْمَوْعِدَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْوِرَاثَةُ مِنَ النَّامُوسِ فَلَمْ تَكُنْ أَيْضاً مِنْ مَوْعِد. وَلَكِنَّ اللهَ وَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ بِمَوْعِد".

من الطبيعي أن يتساءل المرء: "ما الذي نقصده عندما نتحدث عن لعنة الناموس؟" هل هي لعنة بالنسبة لله أن يعطي لشعب اسرائيل الوصايا العشر، المعيار الأخلاقي الأكثر رقياً الذي أمكن لأي بشر أن يتلقوه أو أن يُعطى لهم، إلى أن جاء ربنا يسوع المسيح وأعلن العظة على الجبل؟ هل هذه لعنة؟ بالتأكيد لا. لقد كانت بركة كبيرة لإسرائيل أن يحظى بهكذا تعليم، يظهر لهم كيف يحيون وكيف يتأدبون، وقد حفظهم من كمٍّ هائل من الخطايا التي كانت ترتكبها الأمم الوثنية حولهم. ومع ذلك لدينا هذا التعبير في الكتاب المقدس: "لعنة الناموس"، ونقرأ "لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَة، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»".

عندما أعطى لله ذلك الناموس، أعلن بركة على كل من يحفظونه، وصرّح بأنهم سينالون الحياة بذلك. "«إِنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا»" (رومية ١٠: ٥)، ولكنه قال، من جهة أخرى، وكما استشهد هنا، "«مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»". فكل من يميز الإرادة الإلهية في ذلك الناموس فيما يتعلق بحياة الإنسان هنا على الأرض ومع ذلك يخفق في الارتقاء إلى مستواه يصبح تحت لعنته. ومن هناك اليوم أمكنه أن يحفظ هذا الناموس؟ أعرف أناساً يقولون: "إن بذلنا كل ما في وسعنا، أفلن يكون هذا كافياً؟" ينفي الكتاب المقدس هكذا فكرة. ونقرأ في رسالة يعقوب: "مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَة، فَقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُلِّ" (يعقوب ٢: ١٠). إننا نعرف كم هذا الأمر حقيقي وصحيح فيما يتعلق بناموس البشر. لنفترض أنني كمواطن في الولايات المتحدة لم أخالف أياً من قوانين بلادي إلا واحدة، فبانتهاكي لذلك لقانون الوحيد أصبح خارجاً عن القانون، وبالتالي فأنا سأخضع لقصاص مخالفة القانون. عندما نتحدث عن أناس تحت "لعنة الناموس"، فإننا نعني أنهم خاضعون لعقوبة انتهاك القانون، والقصاص هو الموت، روحياً وأبدياً. "الروح التي تخطئ تموت" (حزقيال ١٨: ٢٠). لذلك حسنٌ القول بأن الناموس هو "خدمة الموت" و"خدمة الدينونة" (٢كورنثوس ٣: ٧،٩)، لأن كل من هم تحت الناموس، ولكن أخفقوا في حفظه هم تحت الدينونة، ومحكوم عليهم بالموت، ولذلك فهم تحت اللعنة. ولكن ربنا يسوع المسيح قد مات ليحررنا من لعنة الناموس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ألا نستطيع أن نحرر أنفسنا؟ رغم أننا قد أهلكناها في الماضي، أفلا نستطيع أن نقرر أننا من هذه اللحظة فصاعداً سوف "نقلب صفحة جديدة"، وأن نكون حريصين جداً على أن نحفظ كل مبدأ في ناموس الله الأخلاقي؟ في الدرجة الأولى، لم نكن نستطيع أن نفعل ذلك. فمن غير الممكن لأناس ذوي طبيعة ساقطة أن يحفظوا على نحو كامل ناموس الله المقدس. لنأخذ تلك الوصية على سبيل المثال: "لا تَشْتَه". لا يمكنكم أن تحفظوا أنفسكم من الاشتهاء رغم أنكم تعرفون أن الاشتهاء خطأ. إنك تنظر إلى شيء يمتلكه جارك، ويقول قلبك لا إرادياً: "ألا ليت ذاك الشيء كان لي". وبإعادة التفكير تقول: "إنه أمر لا يستحق. إني مسرور حقاً من أجل جاري". ولكن مع ذلك، ألم تشته؟ يقول الرسول بولس أنه طالما أن الوصايا الأخرى تتعلق بحياته فهو بلا لوم خارجياً أو ظاهرياً. لقد كان يحيا بدون الناموس إلى أن جاءت الوصية التي تقول "لا تشته". "وَلَكِنَّ الْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ" (رومية ٧: ٧، ٨). وهكذا أماته الناموس الذي لم يستطع أن يحفظه. لكن لنفترض أنك تستطيع أن تحفظه من هذا اليوم إلى اليوم الأخير من حياتك فهل ستُمحى وتُلغى كل أفعال السوء التي عملتها في الماضي؟ أبداً على الإطلاق. إن إخفاقك في الماضي سيبقى في سجل الله. "اللَّهُ يَطْلُبُ مَا قَدْ مَضَى" (الجامعة ٣: ١٥).

"وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ، لأَنَّ «الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا»". لاحظوا: لا أحد يتبرر بناموس الله. ما من أحد إطلاقاً تبرر بالناموس عند الله. ولن يتبرر أحد أبداً بناموس الله. في رومية ٣ نقرأ: "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ" (رومية ٣: ١٩، ٢٠). بمعنى آخر إن الله لم يُعْطِ الناموسَ ليخلص الإنسان، بل أعطى الناموس للإنسان ليختبره، وليظهر حالة الإنسان الحقيقية. وهذا يشرح مقطعاً يحير البعض: "قَدْ زِيدَ النامُوسُ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ" (غلاطية ٣: ١٩). لقد أُعطي في الحقيقية لكي يمنح الخطيئة صفة التعدي المحددة.

كنت أتمشى في المنتزه في ذلك اليوم وفجأة نظرت إلى الأسفل ورأيت قرب قدمي لافتة تقول: "ابتعد عن الأعشاب". لقد كنت على العشب، ولكن في اللحظة التي رأيت فيها العلامة هرعت للانتقال إلى الممر. لو تابعت سيري على العشب بعد رؤية اللافتة لكنت متعدياً. قبل ذلك لم أكن متعد، لأني لم أعرف أني كنت أعمل الخطأ. رأيت أناساً آخرين يسيرون على العشب، ولم يدركوا أن هناك أقساماً محددة لا يُسمح فيها بذلك. لم أعرف أن ذلك كان ممنوعاً في ذلك المكان المحدد. إلى أن جاء الناموس كانت الخطية في العالم، وكان الناس يخطأون في الطريق الذي يختارونه، ولكن "حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضاً تَعَدٍّ" (رومية ٤: ١٥). لقد وضع الله ناموسه ليقول: "ابتعدوا عن الأعشاب". فإن ساروا الآن على العشب يكونون متعدِّين. إذا عصى الناس الله فإنهم يتعدون. تتبدى الخطيئة في قلب الإنسان من حقيقة أن الناس يعصونه عمداً وطواعية وبكامل إرادتهم. من غير الممكن أن تتبرر بالناموس، لأن التبرير يعني أن تكون خلواً من أي تهمة أو ذنب. الناموس يكشف التهمة، الناموس يجرّمني بالذنب، والناموس يدينني بسبب ذلك الإثم.

لقد كُتب في الأنبياء: "البار بالإيمان يحيا" (حبقوق ٢: ٤)، ولذلك فقد صار معروفاً حتى في زمن العهد القديم أن على الناس أن يتبرروا، ليس بجهود بشرية بل بالإيمان. هذه الكلمات نجد أنها مقتبسة ثلاث مرات في العهد الجديد. في الرسالة إلى رومية يقول الرسول (بولس): "لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لأَنَّهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. مِنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ لإِيمَانٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا»" (رومية ١: ١٦، ١٧). وفي الرسالة إلى العبرانيين نجد بولس يقتبس نفس الكلمات: "الْبَارُّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا" (عب ١٠: ٣٨). ونجد نفس القول في رسالة غلاطية. لقد كان ذلك القول حقاً أن هذه الرسائل الثلاث تبسطها أو تعرضها الكلمات الثلاث: "الْبَارُّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا".

كيف يصبح الناس أبراراً أمام الله؟ كما نوَّهنا للتو، تجيب رسالة رومية على هذا السؤال وتشرح الكلمة الأولى، "البار". إنها تخبرنا من هم الأبرار، أولئك الذين يؤمنون بالرب يسوع المسيح، ولكن إن كان التبرير بالإيمان كيف يُحفظ المرء أمام الله في تلك الحالة؟ أوليس بأعمال يقوم بها؟ تجيب رسالة غلاطية على ذلك وتركز على الكلمتين التاليتين: "بالإيمان يحيا". وما هي تلك القوة التي تثبت وتؤازر وتقوي وتمكّن الأبرار من السير مع الله في هذا العالم، فيحيون حياة غير دُنيوية، تماماً كما "سَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ" (تكوين ٥: ٢٤)؟ ومن جديد نجد الجواب يأتينا في الرسالة إلى العبرانيين حيث يتم عرض الكلمتين الأخيرتين من القول "البار بالإيمان يحيا". لقد استغرق الأمر ثلاثة رسائل في العهد الجديد لبسط نص واحد من العهد القديم مؤلف من ثلاث كلمات: "البار بالإيمان يحيا". وهذا يعطينا فكرة عن مدى غنى وامتلاء كلمة الله.

ولكن إن كان "البار بالإيمان يحيا" فلا يمكن للبشر إذاً أن يتبرروا بأي جهود أو محاولات يقومون بها، لأن الآية ١٢ تقول: "النَّامُوسُ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، بَلِ «الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا»". لم يقل الناموس: "الإنسان الذي يؤمن يحيا"، بل: "الإنسان الذي يفعلها سيحيا". لعل القول الأخير يبدو لنا الأمر الصحيح. فإن فعل الإنسان الصواب فإنه لا بد أن يحيا. المشكلة هي أن الإنسان لا يفعل الأمر الصواب. ونقرأ: "الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية ٣: ٢٣). إن انتُهكت إحدى الوصايا العشر فذلك الإنسان يخسر كل حق أو مطلب له بالحياة. لنفترض أن رجلاً سقط من جرف أو شفا حفرة ومدّ يده وهو يقع هابطاً وأمسك بسلسلة مثبتة إلى أصل شجرة باقية في الجرف وتعلق هناك بالسلسلة. إن للسلسلة عشر حلقات. فكم يلزم لقطع السلسلة وإيقاع الرجل إلى الهاوية في الأسفل؟ واحدة فقط. إن الناموس هو مثل تلك السلسلة. فعندما تخطئ لأول مرة تكسر الحلقة وتسقط إلى الأسفل وتصبح في موضع دينونة إن لم تخلص. لا يمكنك أن تُعد نفسك لحضور الله بأية أعمال بر يمكن أن تقوم بها. يقول الناموس: "الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا"، ولكن الناس أخفقوا في ذلك، ولذلك حُكمَ عليهم بالموت.

والآن انظروا إلى رسالة المصالحة المجيدة: "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ". كيف فعل ذلك؟ "إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»". فها هنا رجل لم ينتهك أبداً ناموس الله، ها هنا ابن الله القدوس الابدي، مسّرة قلب الآب من الأزل وإلى الأبد، الذي جاء إلى العالم، وصار إنساناً، وذلك لأجل الهدف الواضح المحدد ألا وهو افتداء أولئك الذين كانوا تحت لعنة الناموس. لقد قال هو نفسه: "كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (متى ٢٠: ٢٨). ولكن إن كان هو نفسه قد انتهك ذلك الناموس، فهو خاضع لضرورة دفع القصاص ولا يمكنه أن يفتدينا أبداً، ولكن كم كان حريصاً كلمةُ الله في أن يظهر لنا أنه لم يأت تحت ذلك القصاص. لقد كان قدوساً في الطبيعة من اللحظة التي جاء بها إلى العالم. لقد قال الملاك لمريم، أمه: "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لوقا ١: ٣٥). لقد كانت حياته نقية على نحو مطلق وهويعيش هنا على الأرض. لقد عظَّمَ الناموس وجعله مبجلاً وجديراً بالاحترام من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خلال حياة التكرس لإرادة الله التي عاشها. "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ" (عب ٤: ١٥). بِلاَ خَطِيَّةٍ، رغم أنه تعرض للتجربة. وأخيراً فإن الله "جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (٢ كورنثوس ٥: ١٥). لم يكن لدى الله أي شيء ضده، ومع ذلك أخذ مكاننا طواعيـــة، ومضـــى إلى الصـــليب، ودفع هناك قصاصاً كان علينا نحن أن ندفعه. إن كان علي أن أدفع الثمن، فإن الأبدية كلها لن تكفي لـــذلك. أما هو الأبدي، معلقاً على الصليب، فقد تحمّل إلى النهاية تبعات أي ادعاء يطالبني به الناموس الذي انتهكتُـــه، فإن اقتبلتُه الآن، وآمنتُ به مخلصاً لي، فماذا تكون النتيجة؟ إني أتحرر من لعنة الناموس.

"محرراً من الناموس، يا لفرحتي!

نزف يسوع دماً، وهناك المغفرة

ملعوناً تحت الناموس ومجروحاً بالسقوط،

افتداني المسيح مرة وإلى الأبد.

والآن أُعتقنا– وما من دينونة.

فيسوع يقدم خلاصاً كاملاً:

اسمعوا صوته العذب يقول: "تعالوا إلي.

تعالوا وهو يخلصنا مرة وإلى الأبد".

هل دخلت نفسك في مثل هكذا حالة؟

إن كنت أنسى فلن أنسَ، بعد أن جاهدت مطولاً لأصنع براً ذاتياً، لن أنسَ الفرحة التي غمرتني عندما اقْتُدْتُ للنظر بالإيمان إلى ذاك الصليب القائم هناك، الصليب الذي غدا فارغاً الآن.

"رأيت أحداً معلقاً على الخشبة،

في رؤى نفسي،

وذاك التفتَ إلي بعينين حانيتين،

إذ تسللتُ دانياً إلى صليبه".

لقد عرفت أنه كان هناك من أجلي وعني. ذاك الذي كان بلا خطيئة، كان يتألم هناك عني، أنا الخاطئ الأثيم، ورفعت بصري إليه. وأمكنني أن أقول له بإيمان: "أيها الرب يسوع، أنا خطيئتك، أنا فجورك. إنك بلا خطيئة ذاتية، وإنما تحتمل تبعات خطاياي". وإذ نظرت من جديد، كان ذلك الصليب فارغاً ووضع جسد ربي في القبر. "أُسلِم لأجل معاصينا" و وُرِيَ عن الأنظار المدفونة. ولكنني نظرت من جديد وكان ذاك القبر فارغاً، ونهض قائماً في انتصار، "أُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رومية ٤: ٢٥). والآن لم أنظر إلى الصليب بل إلى عرش الله، وبالإيمان رأيته (المسيح) جالساً هناك، إنسان ممجد إلى يمين الله، وهو نفس الإنسان الذي وقف صامتاً في قاعة محكمة بيلاطس ولم ينطقْ بكلمة ليبرّئ نفسه. إذ ما كان ليمكنني أن أتطهر ما لم يمت من أجلي.

من ليرغب في أن يصنع براً ذاتياً له في حين أنه يستطيع أن ينال واحداً أفضل من ذلك بكثير بالإيمان بالرب يسوع المسيح؟ "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»". والآن وبسبب ذلك يمكن لبركة ابراهيم أن تأتي إلى الأمميين في المسيح يسوع. يمكننا أن نتلقى وعد الروح بالإيمان. "لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ". ما هي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

"بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ"؟ قبل زمان طويل قال الله: "فيك وفي نسلكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ أُمَمِ الأرض". ولكن توالت السنين والقرون وبقيت شعوب الأمميين خارجاً. لقد كانوا خارج الحظيرة، غرباء عن عهد الموعد، ولم يعرفوا شيئاً من بركة إبراهيم أو ما وعدَ به الله بنسله. أما الآن فقد مات المسيح، ليس من أجل اليهود وحسب، بل من أجل الأمميين أيضاً، وبفضل ما قام به تذهب الرسالة إلى العالم بأكمله بأن الله يمكن أن يخلّص كل من يؤمن بالرب يسوع، ويصبح جميعُ المؤمنين أبناءً لإبراهيم بالإيمان ويُختَمونَ بروح قدس الله. إن بَرَكَة إبراهيم هي التبرير بالإيمان لكل من يؤمن، كما "«آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً»" (رومية ٤: ٣). يلفت بولس انتباهنا إلى حقيقة أن الله عندما قال لإبراهيم: "في نسلك تتبارك جميعُ الأمم"، لم يكن يشير فقط إلى تلك الأمة التي ستخرج من نسله، بل إلى شخص وحيد معين، إذ كان في مخطط الله السرمدي أن يُولَدَ المسيح من نسل إبراهيم.

"أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ أَقُولُ «لَيْسَ أَحَدٌ يُبْطِلُ عَهْداً قَدْ تَمَكَّنَ وَلَوْ مِنْ إِنْسَانٍ، أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ»". عندما يبرم الناس عقوداً أو يقطعون عهوداً فمن المفروض أن يلتزموا بها. لقد أقام الله عهداً بنعمة غير مشروطة مع إبراهيم قبل سنين طويلة. وفيما بعد جاء الناموس، فهل أبطلَ ذلكَ العهد بالنعمة النقية المقام مع إبراهيم؟ "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي «إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ». لاَ يَقُولُ «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ. وَ«فِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ". فمن خلال الرب يسوع، إذاً، تذهب بركة العهد لكل خاطئ أثيم بائس يؤمن به. "وَإِنَّمَا أَقُولُ هَذَا: إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعمِئَة وَثَلاَثِينَ سَنَةً، لاَ يَنْسَخُ عَهْداً قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ اللهِ نَحْوَ الْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ الْمَوْعِدَ". لم يكن الله متسرعاً أو متراخياً عندما أعطاه عهد النعمة هذا غير المشروط. لم يقل: "إن فعلت كذا وكذا وإن لم تفعل أشياء معينة، فإن العالم برمته سيكون مباركاً بنسلك". بل قال وعلى نحو غير مشروط: "بك وبنسلك تتبارك جميع أمم الأرض" فهي ليست أبداً مسألة جهود بشرية وليست مسألة شيء يمكننا أن نكتسبه.

عندما يناقش الرسول بولس هذا الموضوع نفسه في رومية ٤ يقول في الآيات الافتتاحية: "فَمَاذَا نَقُولُ إِنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَدِ؟ لأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ – وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللهِ. لأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً». أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ" (رومية ٤: ١– ٤). ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أنك إذا ماكان عليك أن تفعل شيئاً ما لتكسب خلاصك فإنك لن تَخلص بالنعمة. لنفرض أنك تعمل ستة أيام لصالح مستخدم (رب عمل)، وفي نهاية ذلك الوقت يأتي إليك بموقف شامخ متكبر ويسلّمك مغلفاً ويقول: "لقد كنتَ تعمل بشكل جيد خلال الأيام الست الأخيرة، وها هنا هدية صغيرة لك، أريد أن أعطيك هذه كعلامة أو تذكار عن نعمتي". فتنظر إلى المغلف وتجد أنه يحتوي على أجرك، وتقول: "يا سيدي لست أفهم. هذه ليست تقدمة أو هدية. فقد استحقيت وكسبت هذا المبلغ". ولكن الرجل يقول: "أريدك أن تشعر بأنه تقدير لجهودك". فتجيب قائلاً: "لا. أنت تدين لي بذلك. أنت مدين لي بذلك. لأني كسبت هذا المال". إن كنتُ أستطيع أن أفعل شيئاً لخلاص نفسي فإني سأجعل الله مديناً لي بذلك، إلا أن كل ما يعمله الله من أجلي، إنما يعمله بنعمة صافية نقية. ولذلك نقرأ: "وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرّاً" (رومية ٤: ٥). ورغم أن الناموس قد جاء بعد أربعمئة وثلاثين سنة من الوعد بالنعمة لكل الأمم من خلال نسل إبراهيم إلا أنه لم يغير

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هدف الله. لقد أُعطي فقط لزيادة إحساس الإنسان بعوزه ولجعله يدرك إثمه وعجزه ولكي يقوده لأن يرمي بذاته على نعمة الله غير المحدودة.

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْوِرَاثَةُ مِنَ النَّامُوسِ فَلَمْ تَكُنْ أَيْضاً مِنْ مَوْعِدٍ. وَلَكِنَّ اللهَ وَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ بِمَوْعِدٍ". إن كان يأتي بجهود ذاتية فليس هو مسألة وعد على الإطلاق. ولكن الله أعطاه لابراهيم بالوعد و"لأَنَّ الْمَوْعِدَ"، كما يقول بطرس، "هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا" (أع ٢: ٣٩). لعلك، عزيزي القارئ، كنت تجاهد لسنين لتعدَّ نفسك لحضور الله، لقد كنت تحاول جاهداً أن تصنع براً ذاتياً، "وتحاول أن تكون مسيحياً". أرجو منك أن تكف عن ذلك وأن تتوقف عن المحاولة. لا يمكنك أن تصبح مسيحياً بالمحاولة أو بأي شيء آخر حتى لو استطعت أن تصبح أمير ويلز. أنت ما أنت بالولادة. أنت ما أنت كخاطئ بولادة طبيعية، وأنت تصبح ابناً لله بولادة ثانية جديدة، من خلال الإيمان بالرب يسوع المسيح. وإن بركة إبراهيم هي لك عندما تقتبلها بالإيمان.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الثامن

النَّامُوسُ مُؤَدِّبُنَا إِلَى الْمَسِيح

(غل ٣: ١٩- ٢٩)

"فَلِمَاذَا النَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَات، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، مُرَتَّباً بِمَلاَئِكَةٍ فِي يَدِ وَسِيطٍ. وَأَمَّا الْوَسِيطُ فَلاَ يَكُونُ لِوَاحِد. وَلَكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ. فَهَلِ النَّامُوسُ ضِدَّ مَوَاعِيد الله؟ حَاشَا! لأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبِرُّ بِالنَّامُوس. لَكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّة، لِيُعْطَى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَان يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. وَلَكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ النَّامُوس، مُغْلَقاً عَلَيْنَا إِلَى الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ. إِذاً قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَان. وَلَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّب. لأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ الله بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ. لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ إِذاً نَسْلُ إبراهيم، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ".

لقد كنا نتأمل في دراستنا بالجزء الأول من هذا الإصحاح بعلاقة الناموس، الناموس الذي أُعطي على جبل سيناء، وصولاً إلى وعد النعمة غير المشروط الذي قطعه الله لإبراهيم قبل ٤٣٠ سنة، ورأينا أن الناموس الذي جاء فيما بعد لم يكن ليزيد أو يُنقص من العهد الذي كان قد أُقيم. وهذا يقودنا بشكل طبيعي إلى السؤال الوارد في الآية ١٩: "فلماذا الناموس؟" إن كان الناموس لم يُزد أي شيء إلى ما أعطاه الله بالوعد لإبراهيم وبالتأكيد ما كان ليمكن أن يأخذ شيئاً منه فماذا كان هدفه؟ ولماذا أعطاه الله أصلاً؟ يجيب الرسول بولس قائلاً: "قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَات، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، مُرَتَّباً بِمَلاَئِكَةٍ فِي يَدِ وَسِيطٍ". أعتقد أننا قد نفهم أفضل إن قرأنا: "قد زيد نظراً للتعديات"، لكي يحمل الناس على رؤية صفة التعدي المعينة، وهكذا يعمق في كل نفس إحساساً بالإثم وبالعوز. إننا على أهبة الاستعداد جميعاً لأن نبرر لأنفسنا، وأن نقول أننا ما كنا لنرتكب خطأً لو أننا نعرف بشكل أفضل. لطالما نسمع الناس يقولون: "إني أبذل اقصى ما أعرف، وأسعى لأن أقوم بأفضل ما بوسعي". ولكن هل وُجد أي رجل أو امرأة يمكن لهم بصدق أن ينطقوا بهكذا كلمات؟ هل حاولتم دائماً أن تفعلوا كل ما بوسعكم حسب معرفتكم؟ هل فعلتم دائماً أفضل ما أمكنكم؟ إن كنتم صادقين أمام الله، فإنكم تعلمون أنكم لستم كذلك. وأيضاً وأيضاً نجد أننا جميعاً قد أخطأنا بحق نور الحق والمعرفة، وكنا نعرف أكثر بكثير مما فعلنا. وهكذا فشلنا في تمجيد الله، وإذ نذهب بعكس إرادته المعلنة فإننا نثبت بالتجربة أننا لسنا خطأة وحسب بل متعدِّين أيضاً.

في كلا اللغتين الأصليتين للعهد القديم والعهد الجديد هناك كلمة تستخدم من أجل خطيئة والتي تعني حرفياً "يَضِلُّ المَعْلَم". أتذكّر هذا التعبير مرّ معي عندما كنت أعمل وسط هنود لاغونا في نيو مكسيكو. في أحد الأيام قال لي مترجمي، وهو هندي لامع متقد الذكاء: "سأمضي النهار في الصيد. هل ترغب في مرافقتي؟"

لست صياداً، ولكنني ذهبت معه بغاية التمرين. كانت لديه بندقية جديدة دقيقة، وكان يتوق لأن يستخدمها. لقد أبدى دليلاً على براعته الفائقة بذلك السلاح. إذ وقف على أحد جانبي وادٍ، قال لي: "أترى ذلك المخلوق الذي يتحرك بعيداً هناك؟"

لم أستطع أن أراه في البداية، ولكن إذ أشار نحوه، رأيتُ شيئاً كمثل كتلة متحركة على الجدار المقابل لنا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فقال: "انتظر لحظة". وسدد بندقيته، وما هي إلا برهة حتى رأيت ذلك المخلوق الذي بدا مثل كتلة صغيرة يثب في الهواء ويسقط أرضاً ميتاً. لقد كان رامياً بارعاً بالبندقية، ولكن عندما وصلنا إلى المنزل قال لي: "أريد أن أريك ما أستطيع أن أفعله بأسلحتنا القديمة، إذ أني قد احتفظت بالقوس والسهم. فهذا له معنى رمزي جداً لشعبنا ولذلك أردت أن أحتفظ به".

وهكذا مضينا إلى الحقل، ونصب الصياد الهندي غصناً صغيراً جداً من شجرة صفصاف، ومثّل مشهداً يشبه نوعاً ما تلك المشاهد الموصوفة في رواية "إيفانهو" للسير سكوت. وضع السهم إلى القوس وشده إلى النهاية وقال: "الآن سأقلع الغصن إلى شطرين". وأطلق العنان لسهمه فمرَّ السهم إلى يمين الغصن ولكن لم يمسه. فقال: "آه، لقد خطئت".

وقتها لم أسأله لماذا استخدم ذلك التعبير.

ثم قال: "لم آخذ الريح بعين الاعتبار، كما كان يجب أن أفعل". وأعد سهماً آخر إلى وتر القوس، وأطلقه، فشق ذلك الغصنَ إلى قسمين. ما كنت لأصدق أن شخصاً يمكن أن يفعل ذلك الأمر.

قال: "هه. لم أخطئ هذه المرة".

فقلت له: "لماذا استخدمت هذا التعبير "خطيئة"؟ لم تكن تفعل أي شيء خطأ عندما لم تصب الغصن. فلماذا قلت: "لقد خطئت" ثم عندما لم تصبه قلت: "لم أخطئ هذه المرة؟".

فقال: "آه. لقد كنت أفكر بالغُوَيْك (ألا وهي لغة هنود لاغونا) وأتحدث بالإنكليزية. ففي لغتنا إن كلمة "أخطئ" تعني "أن أخطئ المرمى"." هذا ما يعنيه التعبير الوارد في الكتاب المقدس أن:"الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية ٣: ٢٣). ولكن في الناموس لدينا شيء أكثر من ذلك. فالله قد وضع معياراً للبر. والناموس بأوامره العشر المحددة، "لاتشتَهْ" يعرِّف الناس بما يطلبه الله منهم. والآن إن أخطأ إنسان، وهو يعرف إرادة الله المعلنة، إن أخفق في طاعة ذلك الناموس، فمن الواضح أنه ليس خاطئ وحسب بل متعدٍّ أيضاً. لقد انتهك أمراً إلهياً محدداً بالتأكيد، لقد تجاوز الحد، و"تصير الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدّاً بِالْوَصِيَّةِ" (رومية ٧: ١٣). كان هذا أحد الأسباب التي جعلت الله يعطي الناموس– ألا وهو أن يصير لدى الناس إحساس أعمق بخطورة اتباع إرادتهم الذاتية التي هي جوهر الخطيئة، والتمرد على الله. عندما أعطى الله الناموس، أعطاه بيد وسيط، ونضح موسى كتابَ العهد وأيضاً الشعبَ بدم العهد، شاهداً بذلك على حقيقة أنه إذا أخفق الإنسان بحفظ البنود المتعلقة به من العهد لا بد أن يموت، ولكنه يرمز أيضاً إلى أن الله سوف يؤمّن مخلصاً، فادياً.

"أَمَّا الْوَسِيطُ فَلاَ يَكُونُ لِوَاحِدٍ. وَلَكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ". وجود فريقين متضادين يوحي بفكرة الحاجة إلى وسيط ولكن عندما أعطى الله وعده لإبراهيم فقد كان هناك واحد فقط. لقد أعطى الله الكلمة، ولم يكن هناك شيء ليفعله إبراهيم من طرفه إلا أن يتلقاها. هو لم يعاهد الله بأنه سيفعل كذا وكذا من أجل أن يتحقق وعد الله، بل الله تحدث مباشرة إليه وتعاهد معه عندما قال: "«فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ»" (غل ٣: ٨). وهنا يُطرح السؤال: هل الناموس ضد وعود الله بإدخال شروط معينة لم تكن في الوعد الأصلي؟ هل يجعل الناموس الوعود من طرف واحد فقط؟ حاشى لله. لكن مبدأ معيناً وُضع في الناموس أوضح أن "«الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا»" (الآية ١٢). وإن وجد أي إنسان يفعل تلك الأشياء على نحو كامل لأمكنه أن يحظَ بالحياة على أساس الناموس. ولكن الناموس قال للإنسان: "النفس التي تخطئ تموت" (حزقيال ١٨: ١٤) ولم يوجد إنسان على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الإطلاق أمكنه أن يحفظه. "لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبِرُّ بِالنَّامُوسِ".

قال لي رجلٌ جنتلمان في إحدى الليالي في كاليفورنيا: لا تروق لي فكرة أن أخلص عن طريق شخص آخر. لم أرد طوال حياتي أبداً أن أشعر بأني مدين لأي أحد على أي شيء. لا أريد إحساناً أو محبة من أحد، وعندما نأتي إلى الأمور الروحية فإني لا أريد أن أخلص بفضل حسنات شخص آخر بحسب ما قلت الليلة، إن حفظت الناموس على نحو كامل سأحيا ولن أكون مديناً لأحد. أهذا صحيح؟"

قلت: "حسناً نعم. هذا صحيح".

فقال: "سأبدأ إذاً معولاً على ذلك".

قلت: "كم عمرك؟"

أجاب: "حوالي الأربعين".

قلت: "لنفترض أنك جئت إلى سن الوعي والقدرة على الفهم والإدراك وأنت في حوالي الثانية عشرة من عمرك. هذا يعني أنك متأخر حوالي ثلاثين سنة على البدء، والكتاب المقدس يقول: "«مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»" (الآية ١٠). ولذلك، ولأن الناموس لا يمكن أن يعطي الحياة، فإنك لن تستطيع أن تكسب أي شيء على هذا الأساس". فمضى وكان مستاءً.

"لَكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ". إن كان الله قد قرر أن يعتبر الجميع تحت الخطيئة، فهل يجب على جميع الناس أن يعتبروا ضالين؟ لا. لَكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، "لِيُعْطَى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ". إن الله يريد من كل الناس أن يدركوا إثمهم وخطيئتهم لكي يدرك الجميع عوزهم وحاجتهم ويأتوا إليه فينهلون من نعمته، إنه يضع جميع البشر على مستو واحد. تقول رسالة رومية: "لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية ٣: ٢٢، ٢٣). يتخيل الناس أن هناك فروقاً كثيرة جداً. ويقول أحدهم: "هل تقصد أن تقول أنه ما من فرق بين رجل خلوق وفاسد شرير بائس في الحمأة؟" بالطبع هناك فروق كثيرة، ليس فقط من ناحية المعيار الذي يأخذه المجتمع بالاعتبار بل أيضاً بالنسبة إلى سعادتهم الذاتية وتقديرهم لاقربائهم. ولكن عندما نأتي إلى موضوع البر نجد القول: "لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا". لعل الجميع لم يخطئوا بنفس الطريقة، ولعلهم لم يرتكبوا نفس التعديات والانتهاكات بالضبط، ولكن "الجميع أخطأوا"، والجميع انتهكوا ناموس الله.

قال شاب مرةً لابنة عمه: "لا أحب تلك الفكرة في أنه ليس هناك من فرق، إنها فكرة بغيضة بالنسبة لي. هل تريدين أن تقولي لي بأن محاولتي طوال عمري أن أحيا حياة مهذبة لائقة ومحترمة، لا تجعل الله يرى أن هناك فارقاً بيني وبين أناس يعيشون حياة الخطيئة والإثم؟"

فقالت له: "لنفترض أني كنت أنا وأنت نسير في الشارع معاً، ومررنا على مكان مهم، متحف مثلاً، كنّا نتشوق لرؤيته. وذهبنا إلى الكوة واستعلمنا عن أجرة الدخول، وقيل لنا أنها بدولار. فنظرت إلى جزداني وقلت: "آه. لقد تركت نقودي في المنزل. وليس لدي الآن سوى ٢٥ سنتاً". ونظرت أنت إلى نقودك ووجدت أن معك ٧٠ سنتاً فقط. فأي منّا سيدخل أولاً؟"

فقال: "حسناً. في مثل هكذا ظروف لن يدخل أي منّا إلى المتحف".

– "سوف لن يكون هناك فرق، ومع ذلك سيكون لديك نقود أكثر مني بكثير، ولكن بما انه ليس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لدينا ما يكفي للدخول، فلن يكون هناك فرق".

إن الله يطلب براً مطلقاً من الخطأة قبل أن يدخلوا إلى السماء. "لَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِساً وَكَذِباً" (رؤيا ٢١: ٢٧). لعل لديك ما يعادل ٩٥ سنتاً من البر بينما ليس لدي ٥ سنتات منه، ولكن لا يستطيع أي منا أن يدخل ما لم يكن لديه مئة سنت، وليس هناك من فرق. "لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ" (رومية ٣: ١٠). تذكروا أن الله قال ذلك، وليس كارز أو مبشِّر غيور أو جديّ، بل (إنما الله نفسه بالروح القدس). وقد أُعطي الناموس ليُظهر تلك الحقيقة بوضوح. ولكن إن اتخذ الناس موقف الفجور أمام الله، إن اتخذوا موقف الخطأة الضالين، المثقلين بخطاياهم وذنوبهم، فماذا يكون عليه الأمر عندئذ؟ "لَكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، لِيُعْطَى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ". بمعنى آخر، عندما يأتي الناس إلى إدراك حقيقة أنه لا يمكنهم أن يحصلوا على الحياة الأبدية اعتماداً على أية جهود ذاتية ويكونون على استعداد أن يتلقوها كهبة مجانية (من الله)، ففي تلك اللحظة تكون لهم. "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ" (يوحنا ٣: ٣٦). "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يوحنا ٥: ٢٤).

أما الآن فالرسول بولس يرينا استخداماً آخر للناموس. يقول بولس في الآية ٢٣: "وَلَكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ"، أي "قبل الإيمان"، لأنه قد عُرِفَ بشكل واضح ومحدد أن الله كان يبرر الناس بمجرد الإيمان بابنه المبارك، "كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ"– إنه يتحدث الآن عن نفسه كيهودي (سابقاً)– مُغْلَقاً عَلَيْنَا إِلَى الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ". لم يكن لدى الأمميين في ذلك الوقت ناموس، بل اليهود هم الذين كان لديهم الناموس. فقد أعطى الله ذلك الناموس لليهود، وكان ينظر إليهم كأطفال قاصرين تحت القوانين والتشريعات. "إِذاً قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ". هذه الكلمة المترجمة هنا بـــ "مُؤَدِّب" قد ترجمها الإنكليز إلى لغتهم بـــ "مدرِّس" أو "معلم مدرسة". ولكن الكلمة الأصلية لا تحمل هذا المعنى. بل إنها تعني "مرشد للأطفال" أو "موجّه للأطفال"، وكانت الأسر اليونانية العريقة تُطلقُ هذا الاسم على العبد الذي كانت تُوكل إليه مهمة العناية بطفل قاصر. فكان عليه الانتباه إلى أخلاق الطفل، وحمايته من الاحتكاك بمن ليس أهلاً لرفقته، وأن يأخذه يوماً فيوماً من المنزل إلى حجرة الدرس. وهناك يتركه في عهدة المعلم أو الناظر، وفي نهاية النهار يعود فيأخذه إلى البيت من جديد. يقول بولس هنا، وعلى نحو جميل، على ما أعتقد: "كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ". أي أن الله لم يترك شعبَه بلا دستور أخلاقي إلى أن جاء المسيح فنرى فيه أروع دستور أخلاقي قد عرفه العالم على الإطلاق، وكان الناموس قد قدم خدمة في أنه حمى الشعب وحفظه من الكثير من الفجور والخلاعة والإثم والفحشاء والفساد التي كانت متفشية في حياة الوثنيين حولهم. فطالما عاش الناس في طاعة، بأي مقياس، لذلك الناموس، فبذلك كانوا يحفظون أنفسهم من الكثير من الإثم والشر.

"كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا"، ربما ليس لأجل أن يأتي بنا إلى المسيح، بل "كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَـــا إلى مجـــيء المسيح". "النَّامُوسُ بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يوحنا ١: ١٧). أمـــا الآن وقـــد جاء المسيح فقد أتينا إلى باب حجرة الدرس للنعمة وتعلَّمْنا الحقيقة المباركة التي تقول بالتبرير بالإيمان فقط فيه، ذاك الذي أقامه الله كفَّارةً عن خطايانا. لم نعدْ تحت مؤدبٍ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

نعلم هنا أننا لسنا محررين فقط من الناموس كوسيلة لمحاولة ضمان التبرير، بل أيضاً محررين من ذلك الناموس كوسيلة للتقديس، لأن لنا مقاماً أرفع بكثير في المسيح القائم من بين الأموات، ولنا أن نمتلئ به. وإذ نحن منشغلون به، يعلّمنا الله بالنعمة أن "نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ" (تيطس ٢: ١٢). لنفترض مثلاً أنني كمسيحي ولحظ عاثر لم أسمع أبداً بالوصايا العشر، ولنفترض أني لم أعرف بها أبداً، ولكن من ناحية أخرى عرفت قصة الإنجيل الرائعة وعُهِدَ إلي ببعض الأسفار من العهد الجديد تُظهر كيف ينبغي على المسيحي أن يحيا. إن سرت في طاعتي لهذا الإعلان، أعيش على مستوى أعلى وأكثر قداسة من ذاك الذي كانت لديه الوصايا العشر فقط. إن كل من لديه التعليم الرائع الذي أتى من شفاه الرب يسوع المسيح، والكشف العجيب في الرسائل التي تُظهر ما ينبغي على المسيحي أن يكونه، لديه هذا المعيار الجديد للقداسة، والذي ليس هو الناموس المُعطى على جبل سيناء بل المسيح القائم الجالس عن يمين الله، وإذ أسلك في الطاعة له ستكون حياتي بارةً، وهكذا، "بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ". ثم يضيف (بولس) قائلاً: "إِنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ"، الذي منه نتلقى الحياة. لمن يهب الله الحياة الأبدية؟ لجميع الذين يتكلون على ابنه المبارك. "مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ" (١ يوحنا ٥: ١٢). ومن هنا نفهم تأكيد ربنا يسوع بقوله: "«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ»" (يوحنا ٣: ٣). لا بد أن يكون هناك منح للحياة الإلهية. وهذا يجعلنا أعضاء في عائلة الله– علاقة جديدة ورائعة.

"لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ". على الأرجح أنه كانت لديه فكرتان في فكره هنا. فظاهرياً نحن نلبس المسيح باعتمادنا. هذا الطقس يشير إلى أننا باعتراف قد اقتبلنا الرب يسوع المسيح. لكني أعتقد أيضاً أنه كان يرى أيضاً معمودية الروح القدس، وبتلك نصبح فعلياً أعضاء في المسيح، وبمعنى أعمق وأكمل، نلبس المسيح. والآن كأعضاء في هذه الخليقة الجديدة، "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ". فما عاد للفروقات القومية أي وجود (في المسيح). وفي هذا الترابط (بين المؤمنين) "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". إنه لا يتجاهل التمايزات الطبيعية. بالطبع نبقى محتفظين بمكاننا الطبيعي في المجتمع، ونبقى خداماً أو سادة، نبقى ذكوراً أو إناثاً، أما بالنسبة لمكاننا في الخليقة الجديدة، فإن الله لا يأخذ أي من هذه الفروقات بالاعتبار. فكل من يؤمن بالرب يسوع المسيح يصير واحداً فيه، "لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ" (أفسس ٥: ٣٠). كم نحتاج إلى تذكر ذلك!

"فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ إِذاً نَسْلُ إبراهيم، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ". أن تكونوا "في المسيح" وأن تكونوا "للمسيح"، تأتي بنفس المعنى تماماً "لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". "فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ (أي تنتمون إليه أو تخصّونه) فَأَنْتُمْ إِذاً نَسْلُ إبراهيم، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ" لأنكم أنتم أيضاً قد آمنتم بالله مثل إبراهيم (إذ أن إبراهيم "آمَنَ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً"– رومية ٤: ٣)، وبالتالي إيمانُكم يُحسَبُ براً لكم. وهكذا يُعتبَرُ كُلُّ مؤمن من نسل إبراهيم الروحي. فهناك النسل الطبيعي والنسل الروحي لإبراهيم. "إِذاً الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إبراهيم الْمُؤْمِنِ" (غل ٣: ٩). آملُ أن يكون واضحاً لنا الفرق بين الناموس والنعمة.

قبل بضعة سنوات خلت أخذت معي إلى أوكلاند، في كاليفورنيا، هندياً من قبيلة نافاهو. وفي أمسية يوم أحد مضى إلى اجتماع شبيبتنا. كانوا يتحدثون عن هذه الرسالة إلى غلاطية، وعن الناموس والنعمة، ولكن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لم تكن الأمور واضحة جداً بالنسبة لهم، وفي خاتمة المطاف التفت أحدهم إلى الهندي وقال: "أتساءل إذا ما كان صديقنا الهندي لديه شيء ليقوله بخصوص ذلك".

هبّ صاحبنا واقفاً على قدميه وقال: "حسناً يا أصدقائي. لقد كنت أصغي بانتباه شديد، لأني هنا لكي أتعلم كل ما في وسعي لأستفيد مما أتعلمه عندما أعود إلى أُناسي. لست أفهم عما تتحدثون عنه، ولا أعتقد أنكم أنتم أيضاً تفهمون. ولكن فيما يتعلق بالناموس والنعمة الوارد ذكرهما، فدعوني أرى إذا ما كنت أستطيع أن أوضحها لكم. أعتقد أن الأمر هو كما يلي. عندما أحضرني السيد آيرونسايد من موطني انطلقنا في أطول رحلة قمت بها بالسكة الحديدية. ترجّلنا في بارستاو، ورأيت هناك أجمل محطة قطار على الإطلاق وفوقها فندق. تجولتُ في المكان ورأيت في ركن لافتة تقول: "لا تبصق هنا". نظرت إلى تلك اللافتة ثم نظرت إلى الأرض في الأسفل ورأيت أن كثيرين كانوا قد بصقوا هناك، وقبل أن أفكّر بما أفعل وجدتُني أبصق. أليس هذا الأمر غريباً عندما أرى هذه اللافتة التي تقول "لا تبصق هنا"؟ وأتيت إلى أوكلاند وذهبت إلى منزل السيدة التي دعتني إلى العشاء اليوم، ووجدْتُني في أجمل منزل قد رأيتُه في حياتي على الإطلاق. ذاك الأثاث الجميل والسجاد الذي وجدتني كارهاً لأن أطأ عليه. غصتُ في كرسي مريح، وقالت السيدة: "هلا جلسْتَ هنا الآن يا جون ريثما أخرج وأرى إذا ما كانت الخادمة قد أعدَّت العشاء". نظرتُ حولي إلى اللوحات الجميلة وإلى البيانو الكبير، وتجولتُ في كل تلك الغرف. لقد كنتُ أبحثُ عن لافتة. اللافتة التي كنت أبحث عنها كان يجب أن تقول: "لا تبصق هنا". جلتُ بنظري على تينك قاعتي الاستقبال الجميلتين، ولم أجد مثل هكذا لافتة. أعتقد أنه من المغث جداً أن يأتي إلى هذا المنزل الجميل أناسٌ يبصقون في أرجائه– وللأسف بأنهم لم يلصقوا لافتة فيه. فنظرتُ إلى ذلك السجاد ولكني لم أجد أن أحداً قد بصق هناك. حيث كانت اللافتة تقول "لا تبصق هنا" بصق أناسٌ كثيرون، وأما هنا وحيث لا توجد أية لافتة فلم يبصق أحد. لقد فهمت الآن.تلك اللافتة هي الناموس، أما في ذلك البيت فهناك النعمة. إنهم يحبون منزلهم الجميل ويريدون أن يحافظوا عليه نظيفاً. أعتقد أن ذلك يوضح موضوع الناموس والنعمة". قال صاحبنا ذلك ثم عاود الجلوس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل التاسع

تبنّي الأولاد

(غل ٤: ١- ٧)

"وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِراً لاَ يَفْرِقُ شَيْئاً عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ. بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلاَءَ إِلَى الْوَقْتِ الْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ. هَكَذَا نَحْنُ أَيْضاً: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ. ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ». إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فَوَارِثٌ لِلّهِ بِالْمَسِيحِ".

في هذا الجزء من الرسالة يقوم الرسول بولس بإيضاح ممتع جداً، إذا فهمناه بشكل كامل، فهذا سيساعد للغاية في تمكيننا من رؤية المكانة النسبية لمؤمني العهد القديم وتلك التي للمؤمنين في هذا التدبير الحالي المجيد لنعمة الله. علينا أن نتذكر أنه كان ضرورياً في كل الحقبات التدبيرية أن يولد الناس من جديد ليصبحوا أبناء الله، والولادة الجديدة كانت دائماً، على الأقل من ناحية الراشدين، بالإيمان بالإعلان الإلهي. نعلم من (يعقوب ١: ١٨) أنه: "شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ". ما هو حقيقي بالنسبة لنا في هذا الدهر كان حقيقياً للمؤمنين في كل الأدهار. فكل واحد وُلد بكلمة الحق بالطبع، في حالة الأطفال الذين لم يصلوا إلى سن الوعي أو البلوغ، يتصرف الله بجلال مجده وقوته، فيولدهم بقوته الإلهية بمعزل عن الإيمان الشخصي بالكلمة عندما يكونون صغاراً جداً على معرفتها. قال يسوع: "هَكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةً أَمَامَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ هَؤُلاَءِ الصِّغَارِ". ولكن من الضروري تماماً للأطفال أن يولدوا من جديد كما الكبار الراشدين، لأن "المولود من الجسد هو جسد، والمولود من الروح هو روح". يجب أن يكون هناك ولادة جديدة عند كل إنسان يدخل ملكوت الله.ولكن هناك فروقات تدبيرية كبيرة واضحة في الكتاب المقدس ففي عصور العهد القديم كان جميع المؤمنين أولاداً لله، ولكن ما كانوا يعتبرون أبناءه تماماً. في هذا الدهر الأمر مختلف فكل أولاد الله هم أيضاً أبناءه. هل تسألون عن الفرق؟ حسناً، إن الفرق قد لا نأخذه حالياً بعين الاعتبار، ولكن عندما كتب بولس الرسالة إلى غلاطية كان كل قراءه سيفهمون الأمر بشكل واضح جداً. ففي ذلك العصر، ما كان الأطفال القاصرون يُعترف بهم كورثة لآبائهم إلى أن يبلغوا السن، فيأخذهم إلى المحكمة، ويجيب على أسئلة هيئة المحكمة، وكان يُعلن أبوته لهم رسمياً هناك. ومنذ ذلك الحين فصاعداً لا يعودون يعتبرون أطفالاً قاصرين، بل يعتبرون ورثة. المؤمنون في العهد القديم، كما يرينا بولس كانوا في مكانة الأولاد. أما المؤمنون في العهد الجديد، فمنذ مجيء الروح القدس في العنصرة، يعترف بهم الله كأبناء له بالتبني. والروح القدس نفسه هو روح تبني. عندما نقتبله بالإيمان، في لحظة اهتداءنا نعين كأبناء وورثة لله. هذا ما تؤكده الآيات (رومية ٨: ١٤– ١٧): "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ!». اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضاً يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ".

إن الجدال المنطقي الذي يسوقه الرسول بولس بتوجيه إلهي في هذه الآيات السبعة الأولى من الإصحاح ٤ من رسالة غلاطية مذهل جداً وجميل في طريقة العرض المرتبة للفكرة. فيقول: "وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِراً لاَ يَفْرِقُ شَيْئاً عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ". والعبد هنا تعني الرقيق، "مع كونه صاحب الجميع". لنأخذ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

على سبيل المثال طفلاً صغيراً في المنزل قبل أن يصل إلى سن البلوغ قد يكون وارثاً بالفعل لثروة طائلة، ولكن ليس مسموحاً له أن يتصرف بها على هواه، ولا أن يمتلك ميراثه على نحو كامل. يجب أن يحافظ عليه في حالة خضوع للتعليم والتدريب. وإن مكانته في المنزل لا تختلف عملياً عن مكانة الخادم. وبالواقع عليه أن يكون هو نفسه خاضعاً للخادم، كما تقول الآية ٢؛ فهو تحت إمرة حرس وقهرمان، أو مدرسين خصوصيين إلى أن يحين الوقت الذي يكون والده قد حدده. هذا واضح تماماً ولا يحتاج على عقل واسع المعرفة ليفهمه. ثم لنلاحظ التطبيق. يرينا الرسول بولس أن إسرائيل شعب الله الأرضي، كانوا في هذه الحالة من سن القصور. ويطابق الرسول بولس مع هؤلاء كيهودي ويقول: "هَكَذَا نَحْنُ أَيْضاً: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ (مبادئ أو عناصر) الْعَالَمِ". أي كانوا تحت الناموس، والناموس يخاطبُ الإنسانَ بالجسد. لقد أُعطي (الناموس) من قبل الله لإجباره على ممارسة واجباته ومسؤولياته. لم يكن لديه قوة في حد ذاته ليؤتي بحياة جديدة، رغم أنه كان بإمكانه أن يُرشد أولاد الله وأن يريهم الطريق التي يجب أن يسلكوها عبر العالم. لقد كانت عبودية تكاد لا تُحتمل حقاً بالنسبة لأولئك الذين لم يدخلوا إلى الجانب الروحي منه. أما الآن وإذ جاء الدهر الجديد، دهر النعمة فإن تغيراً رائعاً قد طرأ. ونقرأ: "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ". "ملء الزمان" كان، بالطبع اكتمال الفترات النبوية التي وردت في العهد القديم. وهنا يفكر المرء بشكل خاص بالنبوءة العظيمة عن الأسابيع السبعين في دانيال. عندما آن الأوان أخيراً لمجيء ذلك المسيا كما كان مقدراً له، وأوفى الله بوعده بأن أرسل ابنه إلى العالم ليولد من امرأة، وتلك المرأة كانت إسرائيلية تحت الناموس.

والآن لاحظوا أمراً هنا. إننا نلتقي بمسيحيين معينين معترفين اليوم الذين ينكرون ما يسمى نبوة المسيح الأبدية. فيقولون أنه لم يكن ابناً سرمدياً. ويقرون بأنه كان الكلمة كما جاء في (يوحنا ١: ١)، إلا أنهم يقولون أنه قد صار الابن عندما ولد على الأرض. ولكن الآية٤ تدحض أي تعليم كهذا. "أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ". لقد كان الابن قبل أن ينزل من أعالي المجد إلى رحم العذراء. لقد كان الابن الذي جاء بالنعمة ليصبح إنساناً وهكذا يخلصنا. هذه الحقيقة نفسها تُعززها الآيات في ١ يوحنا ٤: ٩، ١٠: "بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا". ليس أوضح من تينك التصريحين المحددين في هذه الآيات. لقد أرسل الله ابناً، أرسله إلى العالم، أرسله من السماء، تماماً كما تقول الآية في يوحنا ٣: ١٦: "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ". إننا نهين الرب يسوع المسيح إن أنكرنا بنوته السرمدية الأبدية. فلو لم يكن الابن السرمدي، فإن الله لا يكون الآب السرمدي. قد يتساءل أحدهم قائلاً: "ألم يكن للآب حضن إلى أن ولد المسيح في بيت لحم؟". لقد أتى من حضن الآب لكي يولد في هذا العالم، لأجل أن يكون قريبنا الفادي.

لقد وُلد تحت الناموس. واتخذ موقفاً أمام الله هنا على الارض كإسرائيلي، خاضع لناموس الله. ولقد حفظ ذلك الناموس على نحو كامل. فهو الخلو من الخطيئة، ما كان ليمكن أن يأتي لعنة الناموس بسبب إخفاق ذاتي من طرفه. ولذلك فقد كان قاصراً أن يمضي إلى الصليب وأن يسلم ذاته حتى الموت لكي يحمل لعنة الناموس المنتهك، ولكي يفدي أولئك الذين تحت الناموس، وذلك، على حد قول الرسول بولس، "لِنَنَالَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

التَّبَنِّيَ". لقد احتمل كل التبعات المفروضة على شعبه وأتى بهم إلى مكان فيه الحرية الكاملة حيث أمكن لله أن يعتبرهم أبناء له علانيةً، وليسوا بعد أولاداً في مكانة الخادم، بل ورثة لله، ورثة مشاركين ليسوع المسيح. والشهادة على هذا كانت إعطاء الروح القدس. ولذلك نقرأ في الآية ٦: "بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ»". هذا ينطبق على جميع المؤمنين، لأننا في حاجة لأن نتذكر أنه منذ إدخال التدبير الجديد بكل امتلائه، يسكن الروح القدس كل مؤمن، وهكذا يُختم ويُمسح. "من ليس لديه روح المسيح، فهو ليس له". ولذلك فليس من إنسان في العالم اليوم يعتبر مسيحياً حقيقياً لا يسكن فيه روح قدس الله. فلدينا روح الابن، ولأنه يسكن في قلوبنا فإننا نرفع ابصارنا الآن بمحبة عبادته إلى وجه الله ونصرخ " يا أبا الأب". وإن كلمة "أبّا" (Abba) هي الكلمة العبرية المقابلة "أب أو بابا". وفي الأصل اليوناني هي كلمة "Pateer"، وهكذا لدينا اليهود والأمميين متحدون بالنعمة ويخاطبون الله كأعضاء في عائلة واحدة، كأولاد بالولادة وأبناء له بالتبني، ويصرخون "يا أبا الآب".

ويأتي الرسول بولس بشكل طبيعي إلى الاستنتاج بأنه: "إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فَوَارِثٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ". الحالة القديمة التي كانت سائدة طوال قرون قبل مجيء المسيح إلى العالم وموته عن خطايانا على الصليب، وقيامته ثانيا لتبريرنا، وصعوده إلى السماء، وإرساله الروح القدس باتحاده مع الآب، تلك الحالة زالت وانتهت. فما عاد المؤمنون في مكانة الخدام، بل بتلقيهم الروح القدس صاروا أبناء لله، وبذلك ورثة لكل مقتنياته بالمسيح يسوع ربنا.

في هذا السياق من الممتع أن نلاحظ أن الرب يسوع، بعد قيامته من بين الأموات، قال لمريم: "اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ" (يوحنا ٢٠: ١٧). وبهذا حقق النبوءة التي كُتبت قبل زمان بعيد: "سأُخْبِرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي" (مز ٢٢: ٢٢). رغم أن الروح القدس ما كان قد أتى بعد، إلا أن الرب يستبق المجد الكامل للتدبير الجديد بأن يعتبر جميع المفتدين إخوة له، ولذلك فإنه يتكلم قائلاً "أبي وأبيكم إلهي وإلهكم". لاحظ أنه لا يقول: "أبانا وإلهنا". وكان لديه سبب وجيه لذلك فالله كان بمعنى فريد. لقد كان أباه منذ الأزل. وهذا لا ينطبق علينا. إنه أبانا عندما نقتبل المسيح بالإيمان كمخلص لنا. ومن هنا، وبالنسبة إلى التعبير الآخر، "إلهي"، نجد أنه مكتوبٌ: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ". فإن الله كان إلهه بمعنى آخر عن كونه إلهنا. إنه إلهنا لأنه خالقنا. فنحن مجرد مخلوقات، بينما هو نفسه خلق جميع الأشياء. وهكذا وفي حين لا يمكن أن يكون لدينا نفس العلاقة تماماً، إلا أن نفس الأقنوم الذي هو أبوه وإلهه هو الآن أبونا وإلهنا، لأننا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع . ألا ليت قلوبنا تدرك أكثر عظمة هذا الأمر، وإذ ندرك شيئاً من وقار هذه المكانة الرائعة التي أعطانا الله إياها، لعلنا نطلب النعمة لنعيش هكذا في هذا العالم بحيث نمجد اسمه.

تذكروا، هناك معنى محدد فيه ائْتَمَننا على كرامة اسمه لقد قال لإسرائيل القديم: "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً" وهذا لم يكن يشير إلى ما نسميه الحلف أو التجديف بل كانوا يدعون باسم الرب وكانوا مسؤولين عن تبجيل اسمه. وبدلاً من ذلك، يقول الرسول بولس عنهم: "وبسببكم يُجدَّفُ على اسم الله بين الأمم". أي أن الأمميين قد رأوا الكثير من الشر والفساد في سلوك شعب الله الأرضي حتى قالوا: "إن كان هؤلاء الناس مثل إلههم، فلا بد أن يكون إذاً أبعد ما يكون عن القداسة". فيا إخوتي هل نسلك بتأدب لكيما الناس "يروا أعمالنا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الصالحة، ويمجدوا أبانا الذي في السماء؟" هل يقولون إذ يرون نعمة الله في حياتنا: "يالمحبة والقداسة التي لا بد أن تكون عند ذلك الإله الذي ينتمي إليه هؤلاء الناس والذين يقرون بأنهم أبناءه!" إن لأمر كأننا نسلك بالطاعة لكلمته طالما نبجل النعمة التي خلصتنا ووضعتنا في هذه المكانة المباركة كأبناء وورثة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل العاشر

أرْكَان الْعَالَم

(غل ٤: ٨- ٢٠)

"لَكِنْ حِينَئِذٍ إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اللهَ اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً. وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضاً إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟ أَتَحْفَظُونَ أَيَّاماً وَشُهُوراً وَأَوْقَاتاً وَسِنِينَ؟ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَكُونَ قَدْ تَعِبْتُ فِيكُمْ عَبَثاً! أَتَضَرَّعُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، كُونُوا كَمَا أَنَا لأَنِّي أَنَا أَيْضاً كَمَا أَنْتُمْ. لَمْ تَظْلِمُونِي شَيْئاً. وَلَكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي بِضَعْفِ الْجَسَدِ بَشَّرْتُكُمْ فِي الأَوَّلِ. وَتَجْرِبَتِي الَّتِي فِي جَسَدِي لَمْ تَرْذُلُوا بِهَا وَلاَ كَرِهْتُمُوهَا، بَلْ كَمَلاَكِ مِنَ اللهِ قَبِلْتُمُونِي، كَالْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَمَاذَا كَانَ إِذاً تَطْوِيبُكُمْ؟ لأَنِّي أَشْهَدُ لَكُمْ أَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ لَقَلَعْتُمْ عُيُونَكُمْ وَأَعْطَيْتُمُونِي. أَفَقَدْ صِرْتُ إِذاً عَدُوّاً لَكُمْ لأَنِّي أَصْدُقُ لَكُمْ؟ يَغَارُونَ لَكُمْ لَيْسَ حَسَناً، بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوكُمْ لِكَيْ تَغَارُوا لَهُمْ. حَسَنَةٌ هِيَ الْغَيْرَةُ فِي الْحُسْنَى كُلَّ حِينٍ، وَلَيْسَ حِينَ حُضُورِي عِنْدَكُمْ فَقَطْ. يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ. وَلَكِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَاضِراً عِنْدَكُمُ الآنَ وَأُغَيِّرَ صَوْتِي، لأَنِّي مُتَحَيِّرٌ فِيكُمْ!"

"لَكِنْ حِينَئِذٍ إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اللهَ اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً". لقد رأينا في هذه الرسالة أن الغلاطيين، الذين كانوا قد أُخرجوا من عتمة الوثنية إلى نور وحرية الإنجيل عن طريق خدمة الرسول بولس، قد وقعوا– إن أمكنني القول– تحت سحر معلمين متهودين معينين كانوا يحملونهم على الخضوع إلى ناموس موسى، قائلين لهم أنهم ما لم يختتنوا ويحفظوا ناموس موسى لا يمكن أن يخلصوا، فبينما كانوا قد بدأوا بالإيمان، صار لزاماً عليهم أن يكملوا خلاصهم بأعمالهم الذاتية، فيستحقون الأهلية بطاعة أوامر الناموس. كان الرسول بولس قد أظهر لهم أن الناموس كان بمقدوره أن يدين وحسب، أن يقتل وحسب لا أن يبرر ويعطي الحياة ولا أن يقدس، وأن تقديسنا بالإيمان هو أمر حقيقي كما هو حال تبريرنا.

والآن يقنعهم بالحجة والمنطق، محاولاً أن يُظهر حماقة سلوكهم في تخليهم عن المسيحية بكل حريتها ونورها من أجل الضوء المنتقص والعبودية التي في اليهودية. فيقول: "ما بالكم؟ لقد كنتم وثنيين عندما أتيت إليكم. لقد كنتم مستعبدين للعادات الوثنية، وكنتم تخدمون أولئك لذين تعتبرونهم آلهة وليسوا هم هكذا، وكنتم تعبدون الأصنام، وتعلمون أنه في تلك الأيام كانت الكاهنة الوثنية تضللكم. وأماكن معينة ماكنتم تستطيعون الذهاب إليها، وأشياء ما كنتم تستطيعون أن تلمسوها. كانت هناك أنوع مختلفة من التقدمات كان عليكم أن تحضروها، وكان هناك تعويذات ضد الأرواح الشريرة، وتمائم، وطلاسم. كنتم عبيداً لعادات دنيوية في أيام وثنيتكم تلك. إن ما يذهلني ويحيرني هو استعدادكم للدخول في عبودية أخرى بعد أن عرفتم واختبرتم حرية النعمة".

"وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضاً إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟" لاحظوا هذه العبارة: "إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ". هناك جانبان لهذا القول. غالباً ما نقول للناس: "هل تعرفون يسوع؟" ولكن يتطلب الأمر أشياء أخرى لندرك بأن يسوع يعرفكم لتكونوا قادرين على القول: "الحمد لله، هو يعرفني. وكن يعرف عن خطيئتي وقد أحبني وسلم ذاته لأجلي". ونقول أحياناً: "هل وجدت يسوع؟" بالطبع إن كلمة الله يقول: "اطلبوا تجدوا". ويطلب منا الرب أن "ادعوه فهو قريب"، ولكنها حقيقة أكثر روعة هي أنه هو من يبحث عنا ويسعى إلينا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ويطلبنا. لقد سمعنا قصة الصبي الصغير الذي كان عامل مسيحي قد بادره بالحديث قائلاً له: "يابني، هل وجدت يسوع؟" فرفع صاحبنا الصغير بصره إليه بنظرة حيرة وقلق وقال له: "لماذا يا سيدي. فأنا لم أكن أعرف أنه كن ضالاً. بل أنا من كان ضائعاً، وهو وجدني". هذه هي المسألة.

"كنت ضائعاً، إلا أن يسوع وجدني
وجد الخروف الذي ضلّ الطريق.
ألقى بذراعيه الحانيتين وأحاط بي،
وأعادني إلى سبيله".

لقد عرفني مطولاً قبل أن أعرفه. وهو يعرفني الآن مذ آمنت بالمسيح، كابن له، ويقول بولس: "أليس من العار أنكم بعد أن عرفتم الله، أو عرفتم عن الله، وبعد أن أتيتم إلى هذه العلاقة المباركة معه كأب لكم، إن كنتم تعرفون حقاً معنى أن تكونوا قد ولدتم من جديد، أوليس من الغريب أيضاً أنكم انتقلتم الآن إلى نظام تشريعي يشابه ذاك الذي تحررتم منه عندما أتيتم أولاً إلى المعرفة التي تُخلِّص، إلى معرفة الرب يسوع المسيح؟" "فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضاً إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟" قد يسأل أحدهم: "ولكن ما الذي تقصده؟ لقد كانوا ينعطفون نحو الناموس، إلى التقيد بالأعياد اليهودية والسبوت اليهودية، والطقوس اليهودية. ولكنهم لم يعرفوا هذه الأشياء في أيام وثنيتهم. لماذا يقول: "كيف ترجعون ايضاً؟" لقد كان المبدأ هو نفسه تماماً. لماذا يتبع الوثنيون طقوسهم والشكليات المتعلقة بهم؟ لأنهم يأملون أن ينالوا الاستحسان والجدارة وأن يخلصوا أنفسهم. ولماذا كان اليهود يمارسون كل شعائرهم وطقوسهم؟ ذلك لكي يرضوا الله بتلك الطريقة، وهكذا ينالون لجدارة وأخيراً يخلصون نفوسهم. فالمبدأ هو نفسه تماماً سواء كنت تحاول أن تخلص نفسك بتقديم ابنك ذاته قرباناً أو أعز شيء تملكه على مذبح وثني، أو كنت تحفظ السبت– اليوم السابع، كما يفعل بعض الناس اليوم، ويرجون بذلك أن يخلصوا أنفسهم، أو كنت تلتزم بأيام الأعياد الوثنية وترجو أن تسر الآلهة الوثنية بهذا الشكل. لقد تحققت الاحتفالات اليهودية في المسيح، وسوف لن نرجع إليها، على رجاء أن نرضي الله بالالتزام بها. لقد كان لها دورٌ يوماً. وكان على رجال الإيمان أن يتقيدوا بها طاعة لكلمة الله. ولكن لم يعد لهذه دور بعد، لأنَّ "غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ" (رومية ١٠: ٤). كل تلك الطقوس كانت مجرد رموز أو ظلال للأشياء التي ستأتي. وبما أن الحق قد أتى. فلماذا نعود إلى الرموز، لن ننشغل بالرمز طالما أن لدينا المرموز إليه. سوف لن ننشغل بالصور في حين أن لدينا الواقع الحقيقي. إن مبدأ العالم، بالطبع، هو أن نحاول نيل الخلاص بالأعمال التي نقوم بها ذاتياً.

هناك ديانتان وحسب في العالم، ديانة حقيقية وأخرى زائفة. كل أشكال الديانة الزائفة تتشابه مع بعضها، وهي جميعاً تقول: "آتي بشيء في يدي". والفرق الوحيد هو ماهية هذا الشيء. أما الديانة الحقيقية الإعلان الذي من السماء، فيقود الإنسان إلى أن يرنم قائلاً: "لم آتي بشيء معي". تقول المسيحية: "لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ –خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (تيطس ٣: ٥). نرى المسيحيين اليوم قد التجئوا إلى الرموز والصور كوسيلة تساعدهم روحياً، ولكنهم بذلك إنما يرجعون إلى أركان العالم. لو سألت وثنياً: "هل هذا الصنم إلهك؟". لكان سيقول لك: "نعم". ولكن الوثني الذكي سيجيب قائلاً: "لا. لست أعتبر هذا الصنم إلهي تماماً. بل إنه يمثل إلهي. إنه يساعدني على الدخول في صلة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حميميّة مع إلهي". وإننا نرى نفس الشيء تماماً في العالم المسيحي حيث تمتلئ بعض الكنائس بالصور. هي ليست صور الإله مارس، وجوبيتر، وفينوس، وإيزيس، أو زيريس، بل صور مشابهة– صور للقديس يوسف، والقديس برنابا، والقديس بولس، والرسل الاثني عشر، والعذراء مريم المباركة، بل وحتى المسيح، وتشعل الشموع أمامهم وينحني الناس أمامهم. فإن سألنا: "لماذا لا تعبدون الله؟ لماذا تعبدون هذه الصور؟" لأجابوا: "إننا لا نعبدها؛ بل نبجلها، وهي عبارة عن وسائل مساعدة للعبادة. فهذه الصور تساعد في تحريض أرواحنا وتساعدنا على العبادة".

سمعت يوماً قساً بروتستانتياً يتحدث إلى مجموعة من القسوس فقال: "أجد أنه من المفيد جداً أن يكون أمامي صورة جميلة جداً للمسيح المتوج بإكليل الشوك". وذكر لوحة لفنان معين وقال: "لدي تلك اللوحة ذات الإطار، وعندما أريد أن آتي إلى الرب أود أن أزيل من فكري كل شيء آخر وأن أجلس وأتأمل في تلك الصورة لبرهة، فأبدأ بالإدراك أكثر فأكثر لما فعله الله من أجلي. وهذا يشد قلبي إلى العبادة والتوقير". "كَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضاً إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟". ليس من رسام على وجه الأرض يمكنه أن يرسم مسيحي. عليك أن تذهب إلى الكتاب المقدس لتحصل على تلك الصورة. إن أردتم أن تُحرضوا روحياً وأن تدخلوا في روح تعبدية، فانكبوا على كتابكم المقدس واقرأوا الأصحاح ٥٣ من أشعياء، أو السرد الوارد في الأناجيل عما أنجزه المسيح، وإذ أنتم منشغلين بحقيقة الله، سينسكب قلبكم في العبادة. لستم بحاجة إلى صور لتساعدكم في العبادة. فما هذه إلا "أركان ضعيفة فقيرة" للعالم. في تدبير النعمة لربنا يسوع المسيح علينا أن نعبد "بالروح والحق".

ولذلك يقول الرسول بولس: "يؤسفني أن أراكم قد رجعتم على هذه الأشياء"– "إِنكُمْ تَحْفَظُونَ أَيَّاماً وَشُهُوراً وَأَوْقَاتاً وَسِنِينَ". أي أنهم كانوا يرجعون على السبوت اليهودية وأيام الأعياد، والاحتفالات الأخرى، والسنة اليهودية السبتية، وسنة اليوبيل. ولكن، كما ترون، هذه الأشياء لا تخصنا ولا تنطبق علينا اليوم. لماذا؟ لأن يوم السبت اليهودي قد وجد تحقيقه فيه ذاك الذي قال: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (متى ١١: ٢٨). "تبقى بقية (من يحفظون السبت الحقيقي) من شعب الله" لقد وجدنا سبتنا في المسيح، ولذلك فإنا نقدس اليوم الأول في الأسبوع، يوم قيامته، لا لكي نستحق الأهليةً بل لأنه يسرنا أن يكون لدينا امتياز أن نأتي معاً كجماعة من المؤمنين المتعبدين وأن نستفيد من فرصة الكرازة بإنجيل نعمة الله. ذلك السبت– اليوم السابع كان ذكرى تحرر إسرائيل من مصر. وهذا لا ينطبق علينا، ووجدنا تحقيقه في المسيح. قد يسأل أحدهم: "هل أنت على تمام اليقين بأن السبت الناموسي هو ضمن الرموز؟". نعم، لنفتح الكتاب المقدس على الآية (كولوسي ٢: ١٦، ١٧): "فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَلٍ أَوْ سَبْتٍ، الَّتِي هِيَ ظِلُّ الأُمُورِ الْعَتِيدَةِ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ". ألا ترون؟– لقد كان سبت العهد القديم، استراحة يوم من أصل سبعة أيام. والآن لدي يسوع، ولدي استراحة سبعة أيام من أصل سبعة أيام. لدي استراحة فيه على الدوام، وقد تحررت من سبت الناموس.

ثم كانت هناك الأشهر المقدسة، كان هناك الشهر الذي كانوا يقيمون فيه عيد الفصح وعيد البواكير (عيد الحصاد). ثم الشهر السابع، والذي فيه كان يوم الكفارة العظيم وعيد المظال. ولكن دلالات كل تلك الاشهر والأعياد تحققت في المسيح. فهو الفصح الحقيقي: "إِنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا. إِذاً لِنُعَيِّدْ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ" (١ كو ٥: ٧، ٨). إن عيد الحصاد قد وجد تحقيقه في قيامة المسيح، وهو الذي قال: "إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ" (يوحنا ١٢: ٢٤). لقد وقع المسيح إلى الأرض بالموت، وصار الآن باكورة أولئك الذين رقدوا، وإننا نعبده بعرفان بالجميل على كل ما يعنيه هذا لنا. لقد وجد يوم الكفارة العظيم تحقيقه أيضاً على الصليب. فكان الرب يسوع المسيح هو الأضحية المقدمة قرباناً والتي صنع دمه الثمين كفارة مصالحة للنفس.نقرأ في الكتاب: "لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ" (لاويين ١٧: ١١). هذا كله تحقق في يسوع. وهو التحقيق الحقيقي لعيد المظال، العيد الذي يحملنا على انتظار عودته ثانية عندما سيأتينا بالبر الأبدي. لقد أُعطيت جميعها لتشير مسبقاً إلى مجيء ابن الله المبارك وعمله الرائع العجيب.

"إنكم تَحْفَظُونَ أَيَّاماً وَشُهُوراً وَأَوْقَاتاً وَسِنِينَ". لقد دفع كثيرون من الإسرائيليين في العادة السيئة بأن يستشيروا منجمين وآخرين وهكذا عُرفوا كمراقبين للأوقات، ولكن هذا كان مخالفاً لفكر الله بشكل واضح، ويربطه بالشياطين. ليس للمسيحيين أية علاقة بأي شيء من هذا القبيل ثم كانوا يراقبون ويلتزمون بالسنوات المقدسة. فكانت هناك السنة السبتية وكل سابع سنة كان يجب أن تُخصص أو تكرس كسبت للرب. لا يمكنك أن تنتقي أشياء معينة من الناموس وأن تحفظها وحدها وحسب. إن كنت ملزماً بحفظ يوم السبت السابع، فإنك ملزم بأن تحفظ سنة السبت السابعة أيضاً. ولكن بولس يقول بأننا كمسيحيين قد تحررنا من كل ذلك. لقد كانت مجرد عبودية وقد تحررنا منها.

"أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَكُونَ قَدْ تَعِبْتُ فِيكُمْ عَبَثاً!". لقد شك فعلاً فيما إذا كانوا قد اهتدوا حقاً. لقد تذكر كيف أنهم قد اعترفوا بخطاياهم والفرحة التي كانت تغمرهم. والآن يقول لهم: "ألم يكن ذلك حقيقياً؟" قد يشعر الإنسان في أغلب الأحيان. فالبعض يبدأون بداية جيدة ويبدو ظاهرياً أنهم مسيحيون حقيقيون، ولكن سرعان ما تجد أنهم يؤخذون بأمر غير كتابي، وتتساءل فيما إذا كان ذلك كله خطأً. إن خلُص الناس، فإن الروح القدس يختمهم. إنه روح الحق وهو يأتي ليرشدهم إلى الحق الكامل. الحمدلله، فأحياناً يتعافون، ومن ثم نعرف بأنهم كانوا حقيقيين. ولكن إن لم يتعافوا فإننا نقرأ: "مِنَّا خَرَجُوا، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لَكِنْ لِيُظْهَرُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مِنَّا" (١ يوحنا ٢: ١٩).

والآن يتوجه مباشرة إلى أولئك المهتدين على يده، وبأجمل أسلوب مليء بالحب والحنان يقول: "أَتَضَرَّعُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، كُونُوا كَمَا أَنَا لأَنِّي أَنَا أَيْضاً كَمَا أَنْتُمْ. لَمْ تَظْلِمُونِي شَيْئاً". ما الذي يقصده بذلك؟ إنه يقول لهم عملياً: "كان هناك وقت في حياتي كنت فيه أتقيد بكل هذه الأمور التي تدخلون فيها الآن. وذلك عندما كان كل رجائي بالسماء يستند على أن أصنع براً بذاتي. وكنت دقيقاً في إتباع الشكليات بكل هذه الأشياء التي تتبنونها الآن. لقد تقيدت واحتفلت بعيد الفصح، وحفظت عيد الحصاد، وطقوس يوم التكفير، وحفظت عيد المظال. لقد قمت بكل تلك الأشياء التي تعنون بالقيام بها الآن. وكنت حريصاً منتبهاً إلى أمور اللحوم والمشروبات، وكنت أرى بعض الأطعمة بخسة وليس لي علاقة بها، ولكني أتيت إليكم كواحد منكم. أنتم لم تعرفوا شيئاً عن الناموس، وأنا جئت إليكم كإنسان تحرر كلياً من ناموس موسى، وأعتقد تماماً منه. أتمنى لو أنكم توافوا إلى حيث أنا. كونوا معي الآن كما أنا. فأنا لست تحت الناموس بل تحت النعمة. وأريدكم أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تكونوا تحت النعمة لا تحت الناموس". أمام الله. كانوا فعلياً هكذا، بالطبع، إن كانوا قد خلصوا حقاً، ولكنه كان ليرغب أن يكونوا هكذا بالروح.

ويقول لنا في مكان آخر كيف كان موقفه: "اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ. فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ – مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ لِلَّهِ بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ (إذ أني لستُ بدون ناموس الله، بل تحت الناموس للمسيح) – لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ" (١ كو ٩: ٢٠، ٢١).

دعوني أوضح موقع بولس. لنعتبر أن هذه المنضدة تشير إليه. إنه يقف في الوسط بين الطرفين. فإلى اليمين هناك أولئك الذين تحت الناموس، أي اليهود؛ وإلى اليسار هناك تحت الناموس ليس لديهم الناموس، أي الأمميين الذين لم يعرفوا شيئاً عن ناموس موسى. والآن يقول: "أنا لست أنتمي إلى أي من الفريقين لأني خلصت بالنعمة، ولكني أقف هنا بين الطرفين، وإذ قد تجددت فإني خاضع للمسيح، لكي أصل إلى اليهودي فإني أُمضي إلى هناك حيث يكون، وإني على استعداد أن أجالسه وأشاركه نوع الطعام الذي يأكله، وأن أذهب معه إلى مجمعه، لكي تسمح لي الفرصة لأكرز له بالإنجيل. وسأستخدم ناموس موسى لأريه خطيئته، والأنبياء لأريه المخلص. ثم أذهب إلى الأمميين، ولكني لا أكرز بناموس موسى لهم". كان ليقول: "عندما أتيت بينكم اتخذت مكاني كإنسان ليس تحت الناموس، بل في حرية النعمة، وكرزت بالمسيح لكم كمخلص لكل الذين يؤمنون. أود لو تقدِّرون ذلك لكيما تقفوا معي. إنكم تتركوني وتذهبون إلى المكان الذي أخرجني منه الله قبل أن خلّصني. ألا ترون الخطأ الذي ترتكبونه؟ إنكم تتخلون عن النعمة من أجل الناموس".

"وَلَكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي بِضَعْفِ الْجَسَدِ بَشَّرْتُكُمْ فِي الأَوَّلِ. وَتَجْرِبَتِي الَّتِي فِي جَسَدِي لَمْ تَرْذُلُوا بِهَا وَلاَ كَرِهْتُمُوهَا، بَلْ كَمَلاَكِ مِنَ اللهِ قَبِلْتُمُونِي، كَالْمَسِيحِ يَسُوعَ". لقد كان يسعى لأن يلامس قلوبهم بتذكيرهم بالأيام الأولى التي جاء فيها إلى أنطاكيّة في بيسيديّة، إيقونيَّة، ولسْترَة، ودَربَة، وكرز بالكلمة بينهم. كل هذه كانتمدن غلاطية. هل جاء في موكب أبهة عظيم ومراسم و وتشريفات وألبسة فاخرة فخمة، وشموع وصور؟ لا. ليس شيء من هذا القبيل. لم يأتي ككاهن عظيم ومقتدر أو كشخص يعلن أن لديه سلطة عليهم، بل كإنسان متواضع يكرز بالمسيح وإياه مصلوباً. "تَعْلَمُونَ أَنِّي بِضَعْفِ الْجَسَدِ بَشَّرْتُكُمْ فِي الأَوَّلِ".

لقد استخدم الله بولس ليشفي العديد من المرضى، ولكنه لم يشف نفسه، ولم يطلب من أحد إلا الله أن يشفيه. لقد صلّى إلى الله ثلاث مرات لكي يُعتقه من المرض، لكن الله قال له: "سوف لن أحررك ولكن– تكفيك نعمتي". ويجيب بولس قائلاً: "فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ" (٢ كو ١٢: ٩). لقد كان مريضاً لسنين وهو يكرز بالإنجيل. كان ليأتي وسط الناس ضعيفاً ومتعباً ومرهقاً، وعندما لا يكون هناك ما يكفي من المال ليَعول نفسه كان يذهب إلى العمل ويصنع الخيام لكي يكسب نقوداً ليقتات، ومن ثم كان يذهب ليلاً ويبحث عن أناس ليكرز لهم بالمسيح. لقد استودع الإنجيل عند أولئك الغلاطيين بخدمته التي تميزت نكران الذات واستعداده لأن يتألم. وإذ كانوا (وهم الوثنيون البؤساء في تلك الأيام) ينظرون إليه كانوا يتعجبون من أنه كان ولا بد يحبهم كثيراً، وكانوا يعجبون برسالته ويؤمنون بها ويخلصون. والآن هو يقول: "لقد أضعتم كل ذلك. وما عدتم تهتمون بي أبداً. لقد سرتم خلف أولئك المعلمين الكذبة، وخسرتم الفرح الذي كان لكم:" "فَمَاذَا كَانَ إِذاً تَطْوِيبُكُمْ؟ لأَنِّي أَشْهَدُ لَكُمْ أَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ لَقَلَعْتُمْ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عُيُونَكُمْ وَأَعْطَيْتُمُونِي". أعتقد أن الألم الذي احتمله كان له علاقة بعينيه. فعلى الأرجح أنه كان لديه مرض أو علة ما في عينيه جعلت إمكانية القراءة أو رؤية الجمهور صعبة بالنسبة له، وجعلت حضوره خجولاً عندما كان يقف على المنصة. ومن الممكن أنهم قالوا: "يا لبولس المسكين! لو أمكننا أن نقدم له أعيننا لفعلنا ذلك مسرورين". هذا ما كانوا يشعرون به لفترة ما. "أَفَقَدْ صِرْتُ إِذاً عَدُوّاً لَكُمْ لأَنِّي أَصْدُقُ لَكُمْ؟" هؤلاء المعلمون الأشرار هم الذين أزعجوهم.

"يَغَارُونَ لَكُمْ لَيْسَ حَسَناً، بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوكُمْ لِكَيْ تَغَارُوا لَهُمْ". بمعنى آخر، لقد جعلوا منكم فريسة بتعاليمهم المزيفة الكاذبة، محاولين أن يؤثروا عليكم على نحو معاكس لكي تحتشدوا حولهم، لأنهم يريدون أن يقيموا لهم حزباً صغيراً خاصاً بهم. إنهم لا يسعون إلى خيركم، بل يحاولون أن يمدوا تأثيرهم. "حَسَنَةٌ هِيَ الْغَيْرَةُ فِي الْحُسْنَى كُلَّ حِينٍ، وَلَيْسَ حِينَ حُضُورِي عِنْدَكُمْ فَقَطْ". أي حسنٌ للإنسان أن يكون غيوراً فيما هو حق، حسنٌ أن يمضي وراء الناس بالحقيقة وأن يأتي بهم إلى النور، وأولئك الذين يبدأون في الحقيقة عليهم أن يستمروا فيها.

والآن يقول في بلواه وألمه العميق: "يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ". بمعنى آخر، أتذكر عندما خلصتم، لقد مررت بنفس آلام مخاض الولادة في روحي، والآن أمر بها من جديد لأني في حالة قلق عليكم. "كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَاضِراً عِنْدَكُمُ الآنَ وَأُغَيِّرَ صَوْتِي، لأَنِّي مُتَحَيِّرٌ فِيكُمْ!". أي "أكتب لكم أشياء قاسية شديدة اللهجة، ولكني كنت أود لو أتكلم بحنوٍّ ومحبة إليكم لو كنت معكم. ولكني لست مطمئناً إلى حالتكم". الدين الزائف لا يمكن أبداً أن يعطي يقيناً، ولكن الإنجيل المجيد المبارك لنعمة الله يفعل ذلك. إنه يضمن لنا بشكل كامل الخلاص المكتمل والنهائي إذا ما آمنا بالله. فمن سيتنحى إذاً عمداً عن الحرية التي لنا في المسيح يسوع إلى عبودية نظام زائف؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الحادي عشر

رمزٌ إلهي

(غل ٤: ٢١- ٣١)

"قُولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ، أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإبراهيم ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ. لَكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ. وَكُلُّ ذَلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعاً، فَهِيَ حُرَّةٌ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اهْتِفِي وَاصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ». وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ. وَلَكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ الَّذِي وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ يَضْطَهِدُ الَّذِي حَسَبَ الرُّوحِ، هَكَذَا الآنَ أَيْضاً. لَكِنْ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «اطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ». إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلاَدَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلاَدُ الْحُرَّةِ".

"قُولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ، أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟"

لقد لاحظنا للتو أنه بينما كان الغلاطيون شعب أممي خلصوا بالنعمة، فإنه قد وقعوا تحت تأثير معلمين متهودين معينين كانوا يحاولون أن يضعوهم تحت الناموس. لقد قالوا: "«إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا»" (أع ١٥: ١). وهكذا في هذه الرسالة تناول بولس مسألة الناموس والنعمة الهامة جداً وراح يبسطها، موضحاً إياها، ومبيناً أن الخلاص ليس بأعمال الناموس بل كلياً بسماع الإيمان.

لا شك أن هؤلاء المعلمين المتهودين الذين انسلوا إلى داخل الجماعة المسيحية كانوا يستشهدون بالعهد القديم خلال حديثهم إلى المؤمنين، وكان يمكنهم أن يقدموا نصاً كتابياً تلو الآخر يبدو فيه دليل على أن الناموس كان الامتحان الأهم والأعظم وأن الله كان قد قال: "«إِنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا»" (رومية ١٠: ٥) و"«مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»" (غل ٣: ١٠). وهكذا كانوا يسعون للتأثير على هؤلاء المؤمنين من ناحية إعطاء أهمية لمحاولة استرضاء الله، ونيل حظوة في عينيه عن طريق المساعي البشرية.

والآن يقول: "إنكم ترغبون أن تكونوا تحت الناموس؛ أليس كذلك؟ أتريدون أن تضعوا أنفسكم تحت ناموس موسى؟ لماذا لا تسمعون الناموس؟ لماذا لا تقرأون بعناية كتب الناموس وترون ما قاله الله تماماً؟" إنه يستخدم الكلمة "الناموس" هنا بشكلين مختلفين. ففي المثال الأول يشير إلى ناموس موسى، وهو الناموس الذي أُعطي على جبل سيناء مع ما رافقه من قوانين وتشريعات وتنظيمات ومحاكمات كانت مرتبطة به، أما في المثال الثاني فيشير إلى كتب الناموس. "قُولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ (أي العهد القانوني)، أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ (أي كتب الناموس التي يخبرنا فيها الله عن العهود)؟" ثم ينتقل بهم إلى سفر التكوين ويقول: "فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإبراهيم ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ". نحن نعرف هذه القصة. فزوجة إبراهيم كانت ساره، وكان الله قد وعد بأن يكون إبراهيموساره والذين لابنه سيكون بشيراً بالنسل الآتي الذي ستتبارك به كل الأمم، ولكن السنون انقضت وبدا وكأنه لن يكون هناك تحقيق لذلك الوعد. وأخيراً، وإذا فقد الأمل، اقترحت ساره نفسها أن يترلا إلى العادة المتدنية عند الناس في الأمم المحيطة بهم، وأن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يتخذ إبراهيم لنفسه زوجة أخرى، ليس لكي تشغل تماماً مكانة زوجة، بل كإمرأة يأتي بها إلى المنزل كمحظية. ووافق إبراهيم بحماقة على ذلك وأخذ هاجر. ونتيجة ذلك الاقتران وُلد ابن و دُعي اسماعيل، وكان إبراهيم يرجو بشدة أن يصير هذا الولد الموعود الذي منه سيأتي المسيا إلى العالم. ولكن الله قال: "لا. ليس هذا هو الموعود. قلت لك ينبغي أن يأتيك طفل من ساره، وليس هذا هو النسل الموعود". فالتمس إبراهيم من الله أن: "«لَيْتَ اسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!»" (تك ١٧: ١٨). إلا أن الله قال له: "يمكن أن يكون له ميراث معين، ولكن لا يمكن أن يكون طفل الوعد. وفي الوقت المناسب فإن ساره نفسها ستنجب طفلاً وفي ذلك الطفل سيكون عهدي راسخاً محكماً".

ويرينا بولس الآن أن هذه الأحداث كان لها معنى رمزي. إنه لا يقصد القول أن تلك الأحداث لم تجرِ فعلياً كما هو مكتوب. بل حدثت بالفعل. يقول الكتاب المقدس في ١ كورنثوس ١٠: ١١، مشيراً إلى مدونات العهد القديم: "فَهَذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالاً وَكُتِبَتْ لِإِنْذَارِنَا نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ". لاحظ القول: "هَذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ". بعض الناس يقولون أنها لم تحدث، وأنها كانت مجرد أساطير، أو فلوكلور شعبي. أو شيء من هذا القبيل. ولكن الروح القدس يقول: "كل هذه الأمور قد حدثت". وهكذا فما تقرأه بالكلمة فيما يتعلق بشخصيات العهد القديم المختلفة، والشعوب، والمدن، وهلم جر، كل هذه نقتبلها كحقائق تاريخية خلال المئة سنة الأخيرة، عندما صرخ صوت علم الآثار بشكل واضح وعالي، لم يكتشف ولو شيء واحد يدحض أي شيء مكتوب في الكتاب المقدس، في حين أن آلاف المكتشفات قد ساعدت على الشهادة على صحة مدونات الكتاب المقدس. ليس من داع إلى المصادقة، بالطبع، فيما يخص الإيمان، لأننا نؤمن بما قاله الله. ولكن هذه المكتشفات الهامة قد ساعدت كثيراً على إسكات أفواه الشكوكين الذين ما كانوا يصدقون أقوال الكتاب المقدس. فإبراهيم عاش وساره عاشت، وهاجر كانت شخصية حقيقية وكذلك الأمر الابنان. من اسماعيل جاء العرب، ومن اسحق جاء العبرانيون. منذ البدء لم يتعايش البلدان، ولم يكن هذان الشعبان على علاقة ودية. ولعل هذا ما يفسر المشكلة في فلسطين اليوم. لم يبستطيعوا أن يتعايشوا منذ البداية، ولا يمكنهم ذلك الآن. إلا أن الرسول بولس يشرع بتبيان أن هاتين الوالدتين وابنيهما كان لهم مغزى رمزي.

"لَكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ (وبهذا يتحدث عن كل المولودين حسب الجسد)، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ (فاسحق كان ابن الموعد)". لقد كان من غير الممكن تماماً من وجهة نظر طبيعية أن يصبح إبراهيم وساره أبوين في الوقت الذي وُلد فيه اسحق. لقد كان تجلياً إلهياً، معجزةً، كان اسحق ابن الموعد، وبالتالي ابن النعمة. يخبرنا الرسول بولس أن هذه الأمور هي رمز. لقد استخدم الجميع الرموز بكلمة الله لكي نتلقى دروساً أخلاقيةً روحيةً ورمزيةً هامة من هذه الأحداث، وهنا نجد روح الله نفسه يكشف إحداها لنا.

"وَكُلُّ ذَلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعاً، فَهِيَ حُرَّةٌ". هاتان المرأتان تمثلان العهدين، فساره تمثل العهد الإبراهيمي، وهاجر تمثل العهد الموسوي. ما الفرق الذي كان بين هذين العهدين؟ إن العهد الإبراهيمي كان عهد النعمة المطلقة فعندما قال الله لإبراهيم: "بك وبنسلك تتبارك جميع أمم الأرض". لم يضع عليه اي شروط من أي نوع. لقد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كان وعداً إلهياً.قال الله: "سوف أفعل ذلك. أنا لا أطلب شيئاً منك يا إبراهيم. بل فقط أخبرك بما سأفعل" هذه النعمة. فالنعمة لا تجعل شروطاً أو بنوداً مع الناس. فالنعمة لا تطلب أن نفعل أي شيء لكي نستحق الأهلية أو الجدارة. كثير من الناس يتحدثون عن الخلاص بالنعمة ولايبدو أن لديهم ادنى إدراك لمفهوم النعمة. إنهم يعتقدون أن الله يعطيهم النعمة التي تجعلهم يفعلون اشياء بها يستحقون الخلاص. ولكن هذا ليس صحيحاً على الإطلاق. إذ نقرأ: "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ" (رو ٣: ٢٤)، وتلك الكلمة "مجاناً" تعني حرفياً "بدون مقابل". إن نفس الكلمة تترجم ب "بدون سبب" في مكان آخر من الكتاب المقدس.فقيلت مع الرب يسوع المسيح في أن الكتاب المقدس قد أُكمل فيما يتعلق به: "إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ" (يوحنا ١٥: ٢٥). لم يفعل يسوع أي شيء يستحق تلك المعاملة السيئة التي عامله بها الناس وأنت وأنا لا نستطيع أن نفعل أي شيء لنستحق المعاملة الجيدة التي يقدمها الله لنا. لقد عالم الناس يسوع بشكل شيء بدون سبب. ونحن الذين نخلص يعاملنا الله بشكل جيد مجاناً. وبلا سبب. آمل أن تفهموا هذه الحقيقة الرائعة، وأن تهتز روحكم طرباً من جراء ذلك. ما أروع أن نخلص بالنعمة! إن أحد الأسباب التي يخلص لأجلها الإنسان بالنعمة هو أن "العطاء أعظم غبطة من الأخذ"، وبالتأكيد فإنه يحظى بأكبر مقدار من الغبطة.

قبل سنوات، بنت سيدة مترفة كنيسة جميلة في نيويورك. وفي يوم التكريس جاء وكيلها من بين الجمهور وصعد إلى المنصة وسلم صك الملكية للأسقف البروتستانتي في نيويورك. وبموجب الصك قدم الأسقف مبلغ دولار للوكيل، وبفضل هذا الدولار الذي كان تعبيراً عن الشكر انتقلت الملكية إلى الكنيسة الأسقفية البروتستانتية. لعلك تقول يالها من تقدمة رائعة! "نعم. إنها كذلك بمعنى من المعاني، لأن دفع مبلغ الدولار كان مجرد التزام أو عرف قانوني. ولكن في نهاية الأمر، وبالمعنى الكتابي الكامل لم تكن تلك تقدمة، لأنها كلفت دولاراً.ولذلك فإن الصك قدكتب ليس كصك تقدمة بل كصك بيع فقد بيع المبنى إلى الكنيسة الأسقفية البروتستانتية لقاء دولار.إن كان عليك أن تفعل ولو أمراً واحداً لكي تخلص ولو أن ترفع يدك، أو تقف على قدميك، أو قول كلمة واحدة، فلن يكون الامر تقدمة. يمكنك أن تقول في هذه الحالة: "لقد فعلت كذا وكذا، وبهذه الطريقة نلت خلاصي". ولكن هذه الغبطة التي لا تقدر بثمن هي مجانية تماماً. "فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلاً" (رو ١١: ٦). هذا ما يقوله روح الله لنا بالكلمة.

وهكذا نرى عهد النعمة متمثلاً في ساره.فقد قال الله لساره: "ستلدين ابناً، وذلك الولد سيكون وسيلة بركة للعالم بأسره". لقد كان يبدو أن ذلك الأمر من غير الممكن أن يتحقق، ولكن في زمن الله الخيِّر تحققت كلمته، فأخيراً ومن خلال اسحق جاء ربنا يسوع المسيح الذي أتى بالبركة إلى كل البشر. من جهة أخرى كانت هاجر جارية، وهي تمثل عهد الناموس، العهد الموسوي، الذي أُقيم على جبل سيناء، إذ قال الله هناك: "الإنسان الذي يفعل هذه يحيا بها"، ولكن لم يوجد إنسان قط أمكنه أن يحفظ ذلك بشكل كامل، ولذلك وعلى أساس الناموس ما كان أحد ابداً لينال الحياة. وأصبحت ساره، التي ترمز إلى النعمة أماً لطفل الموعد. في حين أن هاجر التي كانت ترمز إلى الناموس قد أصبحت أماً لطفل الجسد.إن الناموس يخص الجسد وحسب،في حين أن المؤمن هو ابن الموعد وقد وُلد بقوة إليهة. "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

اللّه" (يوحنا ٣: ٣). فما السر في أن الناس على استعداد كبير ليتبنوا الناموسية التشريعية ويخشون النعمة؟ إن السبب هو أن الناموسية التشريعية تروق للفكر الطبيعي.

أذكر أني مررت على مجموعة ترجمات ماكس مولر للأدب الشرقي المقدس، الموضوعة في ٣٨ مجلد ضخم. لقد اطلعت عليها لأحصل على بعض الفهم حول أنظمة الأديان المختلفة في المشرق، وجدت أنه رغم اختلافها في عشرة آلاف أمرٍ، إلا أنها كلها كانت تتفق على أمر واحد، ألا وهي أن الخلاص يمكن أن يُنال بالسعي الذاتي، والفرق الوحيد كان في ماهية هذه المساعي. جميعها كانت تُعلِّم أن الخلاص بالأعمال، وكل دين ما عدا ذلك الموحى به من السماء يفرض على الناس أن يفعلوا أشياء أو يدفعوا أشياء لكي يكسبوا رضى الله. وهذا يروق للإنسان الطبيعي. إنه يشعر بشكل بديهي أن الله يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم، وأنه إذا ما قام بأفضل ما بوسعه، فلا بد أن الله عندئذ سيكون مهتماً لأن يفعل شيئاً من أجله ولكن أفضل ما يمكن أن نقدمه هو عديم القيمة تماماً: "وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا" (أشعياء ٦٤: ٦). وكلما أسرعنا في معرفة انه ليس لنا صلاح في ذاتنا، وأنه ليس لدينا أي شيء نقدمه لله به نكسب خلاصنا، وكلما كان ذلك أفضل بالنسبة لنا.وعندما نتعلم ذلك، نكون على استعداد لأن نخلص بالنعمة وحدها. إننا نأتي إلى الله كخطاة بؤساء معزين عاجزين، ومن خلال العمل الذي أنجزه الرب يسوع المسيح من أجل خلاصنا فإننا نحن المؤمنين به نصبح أولاد الموعد.

لقد كانت هاجر تمثل أورشليم التي كانت على الارض لأن أورشليم في ذلك الوقت كانت مركز الدين الشريعي الناموسي. أما ساره فتمثل أورشليم العلوية، "االتي هي أمنا جميعاً"، أو حرفياً "أمنا". إن الناموس هوالنظام الأرضي، وهو يخص أناساً أرضيين، وضع لأجل أناس بحسب الجسد، في حين أن النعمة هي نظام سماوي يفيد أولاد الموعد. واورشليم العلوية هي أمنا لماذا؟ لأن المسيح هو في العلاء فوق. لقد صعد المسيح إلى هناك، وإذ صنع بنفسه تطهيراً للخطايا، فقد اتخذ مجلسه على يمين جلال الله في السماوات وهو يجلس ممجداً هناك، أميراً ومخلصاً، ومن ذلك العرش تتدفق النعمة نازلة على الخطأة.

"تتدفق النعمة كنهر،
ملايين هناك قد تزودوا من ماءه؛
ولايزال ينبع نقياً كما دائماً،
من جنب المخلص المجروح:
لن يهلك أحدٌ، بل الكل مسيحياً لأن
المسيح مات عنهم".

هل آمنت بهذا المخلص؟هل اقتبلت تلك النعمة؟ أيمكنك أن تقول: "نعم، أنا مواطن في السماء؛ أورشليم العلوية هي أمي"؟ حتى إبراهيم كان يبحث عن تلك المدينة السماوية. لقد وعده الله بميراث على الأرض، ويوماً ما سيمتلك أولاده ذاك الإرث. إنهم يحاولون أن يحصلوا عليه الآن بحسب الجسد، ويمرون بأوقات عصيبة جداً. يوماً ما وبحسب الموعد، سيمتلكونه، وعندها يكون بركة للجميع. سيكون ذلك بعد أن تنفتح أعينهم لرؤية الرب يسوع المسيح كمسيا الذي ينتظرونه. أناس كثيرون مهتمون ومتزعجون بشأن فلسطين أنا مهتم جداً بما يجري هناك. وارى ان ما يحدث هو ماتحدثت عنه الكلمة. أما السبب في سبي اليهود

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من تلك الارض قبل ١٩٠٠ سنة كان هو أنهم "لم يعرفوا وقت افتقادهم"، وعندما جاء مخلصهم رفضوه. قالوا: "«لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرُ»". وعندما سألهم بيلاطس: "ماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟"، قالوا: "«خُذْهُ! خُذْهُ اصْلِبْهُ!»" (يوحنا ١٩: ١٥)، "«دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا»" (متى ٢٧: ٢٥). يالفظاعة تلك اللعنة التي دفعوا ثمنها عبر قرون. فذلك لم يمنع أذى الاضطهاد عن اليهود بل كان دليلاً على الدينونة الإلهية. سوف لن يكون لهم المخلص، وسيقبعون تحت كعب حذاء قيصر الحديدي منذ ذلك الحين. وهاهم الآن يحاولون العودة إلى فلسطين. هل غيروا موقفهم او افكارهم؟ هل عادوا إلى الله واعترفوا بخطيئة صلب رب المجد؟ لا. إذاً أنّ لهم أن يتوقعوا بركة إذ يرجعون إلى تلك الأرض؟ لا عجب ان هناك مشكلة إذاً. مشكلة ستستمر وتزداد إلى أن تأتي أيام الضيقة العظيمة المظلمة والمخيفة. ليسوا إلا أولاد هاجر، ولكن يوماً ما وعندما تختطف الكنيسة لتكون مع الرب، يلتفت الله من جديد إلى شعب اسرائيل، فإن بقية منهم ستخلص. "فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ" (زكريا ١٢: ١٠). وعندما يعترفون به كمخلص ورب، هو الذي كانوا قد رفضوه مرة، سيطهرهم من خطاياهم سيعيدهم إلى دياره. سوف يأتي بهم إلى البركة والغبطة. ويدمر من يعاديهم، وسيكونون هم أنفسهم وسيلة بركة للأرض كلها. ذاك هو البرنامج الإلهي الذي وضعه كلمة الله.

إني لأود أن أحث أي صديق يهودي على أن يبحث ويسبر أغوار كتابه المقدس. أفلا تعودون إلى كتابكم المقدس وتقرأون الإصحاح ٥٣ من سفر اشعياء، والمزمور ٢٢، والمزمور ٦٩ والإصحاحات الثلاثة الأخيرة من سفر زكريا، ثم إن كان لديكم عهد جديد، اقرأوا الرسالة على العبرانيين وإنجيل متى، وانظروا إذا كان روح الله لن يريكم السبب الأساسي لما يعانيه الشعب اليهودي اليوم؟ إن كل ما عانوه من مشاكل كان بسبب سعيهم وراء البركة ليس بحسب الروح فحسب بل بحسب الجسد، وهكذا رفضوا النسل الموعود عندما جاء. وأنتم أيها الأمميون إن كنتم تبحثون عن الخلاص من خلال عضوية الكنيسة، أو التقيد بالطقوس، أو الإحسان والمحبة، أو صالح الأعمال، أو الصلوات، أو أعمال العقاب الذاتي، أفلا تستطيعون أن تروا أنكم أنتم أيضاً تسعون وراء البركة بحسب الجسد في حين أن الله ليمنحكم إياها على أساس النعمة وحسب؟ ألا ليتكم تستطيعون أن تصبحوا أولاد ساره، أولاد عهد النعمة، الذين يمكنهم أن يقولوا: "الحمد لله، فإن أورشليم العلوية هي أمنا". "فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ"، على حد قول الرسول بولس، "هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضاً نَنْتَظِرُ مُخَلِّصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (فيلمون ٣: ٢٠). ونعلم أن إبراهيم" كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ" (عب ١١: ١٠). إن إبراهيم في السماء وكل أولاده الروحيين الذين ماتوا في الماضي هم معه هناك. يخبرنا الرب يسوع عن الفقير المتسول، ابن إبراهيم، الذي مات وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. إن كل المفتدين الذين توفوا هم في نفس الفردوس المجيد حيث إبراهيم، وفي المستقبل وعندما يأتي يسوع، سننضم كلنا إلى ذلك الحشد السعيد.

وعندئذ، ليس الآن وحسب بل خلال الألفية، كم سيكون عدد أولاد الله! ولذلك فإن الرسول بولس يقتبس من أشعياء ٥٤: ١ ويقول: "تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ قَالَ الرَّبُّ". يا له من نص كتابي عجيب! لاحظوا أولاً الشخصية التي يتحدث عنها. إن الإصحاح الذي يسبق ذلك هو أشعياء ٥٣. وهناك نجد النبوءة الكاملة والتامة عن مجيء الرب يسوع إلى العالم، ومعاناته وموته وقيامته، التي نجدها في كل مكان في الكتاب المقدس. إن أشعياء يبدو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كأنه يراه يتألم ويترف ويموت على الصليب. ويقول: "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (أشعياء ٥٣: ٥، ٦). وينهي النبي ذلك الأصحاح بالكلمات الرائعة: "وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (الآية ١٢). ثم تأتي الكلمة التالية مباشرة، في الأصحاح ٥٤، وهي "ترنمي". هناك الكثير مما يجعلك تترنّم: "فَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ. فترنّمي...". بماذا سنترنم؟ بالنعمة التي لا نظير لها والتي أظهرها الله في المسيح. لقد ترجم بولس تلك الكلمة "ابتهجي" بالكلمة "ترنمي". لماذا؟ لأن يسوع قد مات، وسُوِّيَتْ مسألةُ الخطية، والآن بمقدور الله أن يترك النعمة المجانية تتدفق إلى الخطأة البائسين. لقد كانت النعمة في الماضي كمثل امرأة مهجورة متروكة ولوحدها وكانت تتوق لأن تصبح أمَّ أولاد، لكنها كانت تبكي وتنتحب وحيدةً. ومن جهة أخرى هناك الناموسية التشريعية التي ترمز إليها امرأة أخرى وهذه لها آلاف الأولاد، أناس يعترفون بأنهم مخلّصون بمساعي بشرية، مخلصون بحسناتهم وفضائلهم الذاتية. نعم إن الناموسية هي أمّ رائعة، لها عائلة كبيرة، والنعمة البائسة لا يبدو أن لها أولاد على الإطلاق. أما الآن فها هو الإنجيل ينتشر، وماذا يحدث؟ إن النعمة المرأة المتروكة، المهملة، تصبح أم أولاد أكثر من الناموسية. "لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اهْتِفِي وَاصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ»". وهكذا فالنعمة لها ملايين لا تحصى من الأولاد الآن، وسيكون هناك ملايين أُخر في الدهر المجيد العتيد.

"ملايين قد وصلوا إلى ذاك الشاطئ السعيد،

انتهت محاولاتهم وكدحهم،

ولايزال هناك متسع لملايين آخرين.

فهلا ذهبت إلى هناك؟"

"وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ". هل أنت متأكد أن هذا ينطبق عليك؟ هل آمنت بوعد الله؟ لقد وعد بخلاص كامل مجاني أبدي لكل من يؤمن بابنه. ونحن الذين آمنا قد صرنا أولاد الموعد. أما أولاد الناموسية فلا يمكنهم أن يفهموا ذلك. ما من أحد يبغض النعمة بقدر الإنسان الذي يحاول أن يخلّص نفسه بجهوده الذاتية.

"وَلَكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ الَّذِي وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ يَضْطَهِدُ الَّذِي حَسَبَ الرُّوحِ، هَكَذَا الآنَ أَيْضاً". خلال الدهور المظلمة، ولأكثر من ألف سنة، كانت عقائد النعمة ضائعة وغير مقبولة في الكنيسة، وكثيرون كانوا يحاولون أن يخلّصوا أنفسهم من خلال أعمال كفّارة عن الخطيئة، ورحلات مرهقة، وبآلاف وآلاف الصلوات التي يرددونها مراراً وتكراراً، وبتقديم الأموال من ثرواتهم يهبونها للكنائس ويبنون أديرةً. لقد كان عدد أولاد الناموسية كبيراً جداً، وفتح الله أعين مارتن لوثر، وجون كنوكس، وجون كالفن، ووليم فاريل، وجمهرة من أناس آخرين، واكتشفوا أنه بينما كان يحاول الناس أن يخلصوا أنفسهم بمساعي بشرية، كانت إرادة الله أن يخلص الخطأة البائسين بالنعمة. تمسك لوثر بالنص الذي يقول: "البار بالإيمان يحيا"، وبدأت الحقيقة تنتشر بكل أرجاء ألمانيا وأوروبا ثم انتشرت في بريطانيا، وسرعان ما اندلع اضطهاد قاسٍ وراح الناس يصرخون: "اقتلوهم، أولئك الناس الذين يؤمنون أن الخلاص بالنعمة، فمن لا يؤمنون بأنه يمكنهم الخلاص بأعمال التكفير والفضائل البشرية، احرقوهم، أميتوهم جوعاً، اقتلوهم بالرصاص، افصلوا رؤوسهم، افعلوا كل ما يمكنكم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لتخلّصوا العالم منهم". إنهم لا يتخلصون منهم بتلك الطرق اليوم، إلا أن العالم لا يزال يبغض ويمقت الناس الذين يخلصون بالنعمة. إذا أتيتم إلى مجتمع حيث الناس لا يزالون يستمرون في موقف الاعتداد بالنفس بفضل برّهم الذاتي، ويتخيلون أنهم سيذهبون إلى السماء من خلال حضور الكنيسة، لأنهم اعتمدوا وهم أطفال صغار، ونالوا التثبيت وهم في الثانية عشر من العمر، وقدموا بعضاً من أموالهم، والتزموا بواجباتهم الدينية، وسألتموهم: "هل نلتم الخلاص؟" فسيكون جوابهم أن: "لا يمكن لأحد أبداً أن يعرف إلى أن نأتي إلى كرسي الدينونة، ولكني أحاول أن أكون كذلك". فتقولون: "حسناً. يمكنكم أن تكونوا متأكدين". وتخبرونهم أن الخلاص بالنعمة، فيهتفون صارخين: "ماذا تقصد؟ ماهذا التعصب البغيض!" وحالاً سيبدأون باضطهادكم. إن أولاد الجسد لا يمكنهم أن يحتملوا أو يطيقوا أولاد الروح.

"لَكِنْ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «اطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ»"، يقول الله: "إن أولادي هم أولاد الموعد. أولادي هم أولئك الذين يخلصون بالنعمة" هل عرفتم غبطة وسعادة واقعية هذه الحقيقة في أنفسهم؟

ويختم الرسول بولس الحديث قائلاً: "إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلاَدَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلاَدُ الْحُرَّةِ". بمعنى آخر، ليس لنا علاقة بالعهد الناموسي التشريعي بل إننا أولاد عهد النعمة.

"النعمة هي أعذب صوت،
قد بلغت أسماعنا أبداً.
عندما ثقل ضميرنا وعبست العدالة،
النعمة هي من أزال مخاوفنا".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الثاني عشر
السقوط مِنَ النِّعْمَةِ
(غل ٥: ١- ٦)

"فَاثْبُتُوا إِذاً فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضاً بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ. هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً! لَكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَتِنٍ أَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوسِ. قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ. فَإِنَّنَا بِالرُّوحِ مِنَ الإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بِرٍّ. لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ".

في الإصحاح الخامس والسادس لدينا القسم الثالث من الرسالة، وهو القسم العملي. إنه يرينا ما يحدث في حياتنا إذا ما ثبتنا في الحقيقة المباركة بأن الخلاص هو كلياً بالنعمة بالإيمان بالمسيح يسوع، ولذلك يبدأ على هذا النحو: "اثبتوا إذاً". لماذا؟ بسبب العمل الذي أنجزه المسيح والذي من خلاله كل من يؤمن ليس فقط يتحرر من الدينونة الناجمة عن خطاياه، وليس فقط يتحرر من قصاص انتهاك الناموس، بل يتحرر من الناموس نفسه ويدخل في ناموس المسيح. فالمؤمن يسلك الآن في مكان لم يكن معروفاً قبلاً أبداً. إنه في الأسفل هنا في هذا العالم، نعم هذا صحيح، ولكنه ليس بدون ناموس، ليس تحت الناموس، بل هو خاضع للرب يسوع المسيح، وهكذا يؤتى به إلى الحرية المجيدة– الحرية، بالطبع، في ألا يفعل إرادة الإنسان الطبيعي، وألا يطيع إملاءات الجسد، بل الحرية التي تمجد الله، وتُحلّي عقائد المسيح بحياة مقدسة منتصرة إذ يعبر هذا العالم. هذه هي الحرية التي أتى بنا المسيح إليها، والآن أن نعود إلى نظام تشريعي ما كمثل ذاك الذي في اليهودية أو ذلك المنتشر في العالم المسيحي اليوم يعني أن نصبح "مُرْتَبِكِين أَيْضاً بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ".

خلال القرون التي كان اليهود فيها تحت الناموس، ما من أحد منهم وجد الخلاص بممارسة الناموس الطقسي أو إطاعة الناموس المُعطى على جبل سيناء، لأن الجميع أخفقوا وهذا جعلهم جميعاً تحت الدينونة. لكن المسيح جاء بنا إلى الحرية. فكم هي حماقة منّا إذاً أن نعود تحت الناموس الذي يولّد العبودية وحسب. أمكن لبولس أن يقول: "لقد كنت في تلك العبودية مرةً، ولكني تحررتُ منها، وأنتم أيها الوثنيون لم تعرفوا أبداً تلك العبودية، ولكنكم تعرفون شيئاً من الحرية التي في المسيح. أستعودون الآن إلى تلك العبودية التي أعتق الله كل يهودي يخلّصه منها؟ إنها لحماقة أن تتخذوا خطوة كهذه. ولكن إن أردتم أن تفعلوا ذلك فمن الأفضل لكم أن تذهبوا إلى نهاية المطاف، لأنه لا يمكنكم أن تتخذوا أوامر معينة وتقولون: "سأطيع تلك الأشياء" لأن الله يقول: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»" (غل ٣: ١٠).

"هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً!". هذا يعني، إذا اعتمدوا على طقس الختان من أجل خلاص نفوسهم فإنهم يتجاهلون المسيح. إنه يقول أنه إذا ضل أحدهم لوهلة وقَبِلَ تعليمَ هؤلاء المهودين، يخسر المسيح، بل إنه كان اعتمادهم على هذه الأشياء، فإنهم يستخفون بالمسيح. "لَكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَتِنٍ أَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوسِ". إذا اتخذتم الخطوة الأولى، فاذهبوا إلى نهاية الطريق، لأن الناموس هو واحد. لا يمكنكم أن تأخذوا منه ما يسرّكم وترفضون الباقي. "قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ". بالطبع إن المعنى الحقيقي هو أنه إذا كان أحد يسعى وراء التدبير بالناموس، فإنه يطلب أن يكون مستقيماً في عيني الرب على أساس جهوده البشرية الذاتية. إنك تقول: "حسناً. لقد أمر الله شعبه أن يقوم بها". نعم، في العهد القديم، ولكننا نقرأ أن: "الناموس كان مؤدبنا (معلم طفولتنا) إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسيح". أما الآن وقد جاء المسيح فما عدنا تحت مؤدبٍ. إن عدتم للناموس فإنكم تضعون المسيح جانباً. لا يمكنكم أن تربطوا بين مبدأي الناموس والنعمة.

في رومية نعلم أنه إن كان الخلاص "بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلاً" (رو ١١: ٦). يجب أن يكون الأمر على أحد الشكلين، إما أن تنال خلاصك بجهودك الذاتية، أو تقبله كعطية أو هبة مجانية من الله. إن آمنتَ بالمسيح مخلصاً لك تكون قد اقتبلته عطيةً. وإن فعلتَ أي شيء لتستحقه، أو عملتَ من أجله، أو اتبعته، فسوف لن يكون عطيةً. ولذلك نقرأ: "أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرّاً" (رو ٤: ٤، ٥). ولذلك، وإن عدت إلى الناموس بعد أن عرفت المسيح، فإنك تنحّي مخلصك جانباً عن عمدٍ. "وتسقط من النعمة".

هذا تعبير يجده كثيرون مهماً جداً. جاء رجل إلى صديق لي، وهو قسٌ ميثودي، وقال: "إني أفهم أنكم أنتم الميثوديين تؤمنون بالسقوط من النعمة، أهذا صحيح؟"

فقال: "أفهم أنكم أنتم المشيخيون تؤمنون بسرقة الخيول".

- "كلا. لسنا كذلك".
- "حسناً. أفلا تؤمنون بأنه يمكن لرجل أن يسرق خيولاً؟"
- "نعم، لكننا لن نفعل ذلك".
- "حسناً. إننا نؤمن أنه من الممكن للناس لأن يسقطوا من النعمة ولكننا لا نؤمن بفعل ذلك".

ولكن ما الذي تقصده بالقول "السقوط من النعمة"؟ هنا لدينا تعبير من الكتاب المقدس: "سقطتم من النعمة". في الواقع كان من الأفضل أن تُترجم على الشكل التالي: "لقد سقطتم بعيدين عن النعمة"– لقد تنحيتم عن النعمة. هل يعني هذا أنه إذا ما كان إنسان مرة مسيحياً ولكن سقط في نوع ما من الخطيئة أنه يفقد خلاصه ولا يعود مسيحياً؟ إن كانتْ تعني ذلك يكفُّ عن أن يكون مسيحياً كل يوم. لأنه ما من إنسان في اي مكان لا يرتكب خطيئة من نوع ما كل يوم، خطايا الفكر، أو القول، أو الفعل. لكن السقوط من النعمة لا يعني الغوص في الخطيئة، والغوص في الفجور أو أي أعمال شريرة أخرى، بل يعني تحول عن المعيار المسيحي الكامل والواضح والسامي بأن الخلاص هو بالنعمة فقط نزولاً إلى المستوى المتدني في محاولة أن يحافظ المرء على خلاصه بجهود بشرية. ولذلك فإن رجلاً يقول: "لقد خلصت بالنعمة. ولكن استمراري الآن يعتمد على مساعي الذايتة"، يكون قد سقط من النعمة. هذا هو معنى العبارة "يسقط من النعمة".

لا يهمني ما تتخيلون أن تفعلوه لكي تبقوا مخلصين. فأياً كان الأمر إنكم تضعون أنفسكم على أساس شرعي إذا ما كنتم، وبعد إيمانكم بالرب يسوع المسيح، تفكرون أن خلاصكم يصير مضموناً أكثر بالمعمودية وبالمشاركة في عشاء الرب، وبتقديم الأموال، وبالانضمام إلى الكنيسة. إن فعلتم هذه الأشياء لكي تساعدكم على خلاص نفوسكم، فإنكم بذلك تسقطون من النعمة. إنكم تخفقون في إدراك أن الخلاص هو بالنعمة وحدها، بعطية الله ومنّته التي لستم مضطرين لعمل شيء لأجل استحقاقها. قد يسأل سائل: "ألا تعتقد بضرورة القيام بهذه الأشياء؟" في الواقع، نعم. ولكن ليس لكي أخلّص نفسي، بل بدافع المحبة للمسيح.

"سوف لن أَسْعَ لأستحق،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذلك العمل الذي قام به الرب،

بل سأعمل كمثل أي خادم،

بدافع الحب لابن الله العزيز".

إن الطاعة المسيحية لا تقوم على أساس الناموس بل الحب للمسيح.

إنها نعمة الله العاملة في النفس هي التي تجعل المؤمن يبتهج في القداسة، وفي البر، وفي طاعة مشيئة الله، لأن الفرح الحقيقي يوجد في خدمة الرب يسوع المسيح. أذكر إنساناً عاش حياة حافلة بالخطيئة. بعد اهتدائه قال له أحد أصدقائه القدامى: "يا بيل، إني أشفق عليك أنت الرجل الذي عاش مغامراً محلّقاً في الأعالي إلى ذاك الحد، والآن قد ركنْتَ، وتذهب إلى الكنيسة أو تبقى في المنزل وتقرأ الكتاب المقدس وتصلي. فلم تَعُدْ تمضي أوقات طيبة كما في السابق".

فقال الرجل: "ولكن يا بوب. إنك تفهم. فأنا أستطيع أن أشرب (أسكر) في أي وقت أشاء. واذهب إلى المسرح أنما شئت. وأرفض عندما أريد. وألعب الورق وأقامر في أي وقت أرغب".

فقال صديقه: "أحقاً يا بيل؟ لم أكن أعتقد ذلك. لقد ظننت أنه عليك أن تتخلى عن كل هذه الأشياء لكي تكون مسيحياً".

قال بيل: "لا يا بوب. لقد أخذ الرب كل رغباتي (أي "أريد") عندما خلص نفسي، وجعلني خليقة جديدة في المسيح يسوع".

إننا لا نضع شروطاً على الرب ونقول له: "إن كنت ستخلصني فلن أفعل كذا، بل سأفعل كذا". بل إننا نأتي إليه وأيدينا فارغة ونقول: "يارب، لا أستطيع أن أفعل أي شيء لأخلص نفسي. لك أن تفعل ذلك بنعمتك المجانية الخاصة. وإلا فإني خاسر ضالٌ إلى الأبد". والآن إن كنا، كمسيحيين، نترل إلى مستوى أدنى من ذلك المستوى الرفيع ونبقى نحاول أن نجعل من أنفسنا مقبولين لدى الله ببعض المساعي والجهود البشرية فإننا بذلك نسقط من النعمة. نعم إننا نؤمن حقاً أنه من الممكن أن نسقط من النعمة، ونؤمن أيضاً أن حوالي ثلاثة أرباع العالم المسيحي قد سقطوا من النعمة. لا أقصد القول أنهم لن يذهبوا إلى السماء بل أقصد أن كثير من المسيحيين الحقيقيين انحطوا إلى مستوى متدن للغاية. إنهم منشغلون جداً بمساعيهم الذاتية الخاصة بدلاً من الانشغال بعمل ربنا يسوع المسيح المنجز المجيد.

"فإننا بالروح". إن كل شيء بالنسبة للمؤمن هو بالروح. الروح القدس جاء ليسكن فينا، والله يعمل عمله فينا بالروح. ولذلك فبدلاً من الجهود البشرية، وبدلاً من محاولة أن نفعل شيئاً لكي ننال حظوة إلهية، فإننا نسلم ذواتنا لروح قدس الله لكي يعمل فينا ومن خلالنا نجد ربنا يسوع المسيح. "فَإِنَّنَا بِالرُّوحِ مِنَ الإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بِرٍّ". ما هو رجاء البر؟ إنه المجيء الثاني لربنا يسوع المسيح واحتشادنا معاً للقاءه. لقد جُعلنا الآن بر الله في المسيح، ومع ذلك ففي كل يوم نندب إخفاقاتنا. إننا لا نرتقي إلى القمم التي نرغب بها. وفي كل ليلة نركع أمام الله ونعترف بخطايانا. إلا أننا نتوق بأمل سعيد إلى الوقت الذي يأتي فيه يسوع ثانية ويحول أجساد مذلّتنا هذه، وعندها سنكون مثله تماماً.

"سريعاً أجتاز الصحراء الموحشة،

قريباً سأودع الألم،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا حزن أو قلق بعد اليوم.

لا خطيئة ثانية أبداً أبداً"

"إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (١ يوحنا ٣: ٢).

"لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ". سواء كان الإنسان يهودياً أم أممياً فلا فرق بينهما، سواء كان حافظاً للناموس متصلباً أو عابد أوثان، فليس من فرق. "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رو ٣: ٢٣). عندما يضع الناس رجاء إيمانهم على الرب يسوع المسيح فإن الروح القدس يأتي ويسكن فيهم، ونقول أنهم "في المسيح" و"إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (رو ٨: ١). ذلك لأننا وإلى الأبد مرتبطون بابنه، الرب يسوع المسيح. إن أعمالنا البشرية وطقوسنا الدينية لا تفيد من ناحية تبرير النفس. ما الذي ينفع إذاً؟ "الإيمان العامل في المحبة". وإذ نسلك في صحبة الرب يسوع المسيح، وإذ أن قلوبنا مأخوذة به، والإيمان يجعل المسيح حقيقياً "وَأَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى" (عب ١١: ١). سوف نجد الثقة بالأشياء التي نرجوها، والاقتناع الأكيد بحقيقة الأشياء التي لم ترها أعيننا قط. بالإيمان نعلم أن يسوع حي وبالإيمان نعلم أن مسألة الخطيئة قد سُويت، وأننا في المسيح. وإذ نمضي بإيمانٍ ناظرين إليه، ومستمدين منه موارد جديدة من النعمة يوماً فيوماً، يعمل الإيمان بالمحبة. والمحبة هي تحقيق الناموس، ولذلك لسنا في حاجة لأن نكون تحت الناموس لكي نحيا على نحو قويم صحيح. إن الأمر الطبيعي الوحيد الآن للمسيحيين هو أن يسعوا ليعيشوا لمجد ربنا يسوع المسيح.

دخل طبيب إلى غرفة حيث كنت أزور عائلة كانت لديهم طفلة عزيزة مريضة جداً. لقد كانت قُرّة عين والدها. وقال الطبيب: "والآن يا سيدة كذا، هناك شيء أود أن أقترحه. بسبب حالة الفتاة الصغيرة أود ألا يُعنى أي أحد غيرك بها. وإن اهتمامك بها وبالطفلة سيعني الكثير الكثير لها. فهي في حالة عصبية شديدة". هل تعتقدون أن تلك الأم قد وجدت في هذا ناموساً تصعب إطاعته؟ إن قلبها الأمومي قادها لأن تجيب على الفور قائلة: "نعم أيها الطبيب، سأحرص على ألا يعتني بها أي أحد غيري. وسأفعل كل ما بوسعي من أجلها". أكانت تلك ناموسية؟ لا بل كانت "إيماناً عاملاً بالمحبة". وهكذا الحال عند المسيحيين. إن كل طاعتنا تنبع من تكرس القلب للرب يسوع المسيح. إننا نُسّرُ بفعل الصلاح، ونُسَرُ بمساعدة الآخرين، ونسر بالكرازة بكلمته، وبخدمة أولئك الذين هم في حاجة أو محنة أو كرب، نسر بما يسميه يسوع نفسه "الأعمال الصالحة". ذلك لأننا نحب المسيح ونريد أن نعمل تلك الأشياء التي يستحسنها. وكل ما عدا ذلك هو "سقوط من النعمة".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الثالث عشر

الإيمان العامل بالمحبة

(غل ٥: ٧- ١٥)

"كُنْتُمْ تَسْعَوْنَ حَسَناً. فَمَنْ صَدَّكُمْ حَتَّى لاَ تُطَاوِعُوا لِلْحَقِّ؟ هَذِهِ الْمُطَاوَعَةُ لَيْسَتْ مِنَ الَّذِي دَعَاكُمْ. خَمِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ. وَلَكِنَّنِي أَثِقُ بِكُمْ فِي الرَّبِّ أَنَّكُمْ لاَ تَفْتَكِرُونَ شَيْئاً آخَرَ. وَلَكِنَّ الَّذِي يُزْعِجُكُمْ سَيَحْمِلُ الدَّيْنُونَةَ أَيَّ مَنْ كَانَ. وَأَمَّا أَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَإِنْ كُنْتُ بَعْدُ أَكْرِزُ بِالْخِتَانِ فَلِمَاذَا أُضْطَهَدُ بَعْدُ؟ إِذاً عَثْرَةُ الصَّلِيبِ قَدْ بَطَلَتْ. يَا لَيْتَ الَّذِينَ يُقْلِقُونَكُمْ يَقْطَعُونَ أَيْضاً! فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَانْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً".

يتابع بولس حديثه فيرينا أن الحرية المسيحية ليست إذناً أو حرية لنعيش بحسب الجسد، بل إنها حرية لنمجد الله. لاحظ كيف يسكب قلبه أمامهم، إذ يفكر في ارتداهم. يقول: "كنتم تسعون حسناً". أي أنه ينظر إلى الماضي إلى تلك السنوات الأولى ويذكّرهم بتكرّسهم وفرحهم الأول، وكم كانوا مثابرين وكم كانوا يسعون إلى تمجيد الرب. لكن شهادتهم تشوهت، وحبهم الأول ضاع، وما عادوا مخلصين إلى ذاك الحد، وخداماً فاعلين للرب يسوع المسيح كما كانوا قبلاً. لقد ضلّلتهم التعاليم الخاطئة.

"كُنْتُمْ تَسْعَوْنَ حَسَناً. فَمَنْ صَدَّكُمْ حَتَّى لاَ تُطَاوِعُوا لِلْحَقِّ؟" ما الذي جعلهم ينحرفون عن الطريق القويم؟ كان ذلك بسبب قبولهم فكرة أنهم، ورغم أنهم تبرروا بالإيمان، كان ليمكنهم، بحسب اعتقادهم، بالناموس فقط أن يتقدسوا، وهذا خطأ شائع اليوم. يعتقد كثيرون أنه في حين أن الناموس لا يمكن أن يبرر، فمع ذلك، فعندما يتبرر المرء، فإن طاعة الناموس هي التي تقدس. ولكن الناموس أعجز ما يكون عن التقديس كما عن التبرير. ولا يفيد أن نحاول وضع الطبيعة القديمة تحت الناموس. إن لديك طبيعتان، القديمة، الجسدانية، والجديدة، الروحية. تلك الطبيعة القديمة مظلمة جداً، والجديدة مشرقة للغاية. الطبيعة القديمة فاسدة، والجديدة صالحة. فليس من المفيد أن تقول للطبيعة القديمة "عليك طاعة الناموس"، لأن الفكر الجسداني لا يخضع لناموس الله، من جهة أخرى، لست في حاجة لتقول ذلك للطبيعة الجديدة لأنها تبتهج بناموس الله. ولذلك فإن تقديسنا ليس من الناموس. ولقد عجز الغلاطيون عن إدراك هذه الحقيقة.

وهكذا يقول بولس في الآية ٨: "هَذِهِ الْمُطَاوَعَةُ لَيْسَتْ مِنَ الَّذِي دَعَاكُمْ". إن الكلمة المترجمة بـ "مطاوعة" كان من الأفضل ترجمتها بـ "إمكانية الإقناع". هذه القابلية للإقتناع، وهذا الاستعداد من جهتك لتقتنع بتعاليم هؤلاء المعلمين الكذبة، "لَيْسَتْ مِنَ الَّذِي دَعَاكُمْ". إن الناس يغيرون وجهات نظرهم الدينية بسهولة كما يغيرون مواقفهم السياسية. ففي يوم يكونون على رأي معين، ثم على رأي آخر في اليوم التالي. إنهم يبدأون على نحو معين سليم، ثم يأتي أول معلم كاذب مضلل فيلفت انتباههم، وإذا ما استند إلى استشهادات كتابية يقولون: "يبدو الأمر معقولاً. وهو يستند إلى الكتاب المقدس في ذلك". وهكذا ينتقلون من معلم إلى آخر ولا يستقرون على رأي أو أمر أينما ذهبوا، يقول الرسول بولس أن هذا الاستعداد للاقتناع برأي معلمين من البشر هو ليس من الله. إن كنت تسلك مع الله فإنك ستصغي إلى صوته وتسمع كلمته، وتُحفظ من سهولة الاقتناع الزائدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

"خَمِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ". هكذا تقول الآية ٩. هذه الجملة نفسها نجدها في ١ كو ٥: ٦، حيث يحذّر بولس القديسين من التسامح والتساهل في اللا أخلاقيات في وسطهم. لقد كان بينهم إنسان فاسد. كان يعيش في الخطيئة، وبدوا عاجزين عن معالجة أمره، كما تفعل بعض الكنائس اليوم الذين لم تكن لديهم حالة تأديب منذ سنوات، بل هناك تسامح وتساهل في كل أنواع الشرور. إنهم لا يجرأون على أن ينبروا لمعالجة تلك المسائل. هؤلاء الكورنثيون كانوا يتفاخرون بحقيقة أنهم ذووا أفق واسع في التفكير بما يكفي ليغفلوا عن الزنى وسفاح القربى الذي يرتكبه هذا الإنسان، فيقول بولس لهم: "إن كنتم ستفعلون ذلك، فعليكم مواجهة حقيقة أن "خَمِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ". وآخرون ينظرون إلى المشيئة فيقولون: "إذا كانت كنيسة الله لا تتخذ موقفاً ضد هذه الأشياء، فلماذا سنبالي نحن؟"

هنا في غلاطية، لا يتحدث الرسول بولس عن الفساد في الحياة بل عن عقيدة مزيفة غير صحيحة، ويقول أنه إذا لم يعالجوها على ضوء كلمة الله فسيجدون أنها أيضاً مثل الخميرة "خميرة صغيرة تخمر العجين كله"، وسيأتي الوقت عندما سيضلون كلياً معنى نعمة الله. من الجدير بالانتباه أن نلاحظ أن الخميرة في كلمة الله هي دائماً صورة للشر كثيرون من الناس لا يرونها هكذا. إنهم يتحدثون عن "خميرة الإنجيل" في متى حيث يقول الرب يسوع: "«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ»" (متى ١٣: ٣٣). إن فكرتهم هي أن الأكيال الثلاثة من الدقيق تمثل العالم، وأن المرأة هي الكنيسة التي تضع الخمير، ألا وهو الإنجيل في العالم، وفي المستقبل سيهتدي العالم بأكمله. إننا في تلك الحالة منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة، وبدلاً من أن يكون العالم قد اهتدى، نجد أن الكنيسة المعترفة تتراجع عن اهتدائها.

فكروا في استصدار مرسوم لمحو اسم الله من كل النصوص التي كتبت على جدران أي كنيسة في ألمانيا– ألمانيا موطن الإصلاح. ألمانيا حيث قاد لوثر الناس بعيداً عن طلمة الفساد– وفكروا في ذلك البلد الذي يحاول أن يمسح اسم الله اليوم، إننا لا نعمل على اهتداء العالم بسرعة كافية. فكروا في روسيا حيث تم التعريف بالإنجيل منذ أكثر من ١٥٠٠ سنة، ونجد اليوم كل المحاولات المبذولة لتدمير الشهادة التي بقيت في تلك الأرض. إن الأمر يستغرق ألفية تلو الألفية ليخلص العالم بشهادتنا، إذا ما خلص، ولكن ذلك ليس برنامجنا. إذ نقرأ: "مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟ (لوقا ١٨: ٨). "كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً فِي أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ" (لوقا ١٧: ٢٧). لقد كان الفساد والشر يملآن العالم في أيام نوح، وهكذا اليوم يملأ الفساد والشر العالمَ. "كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ نُوحٌ الْفُلْكَ وَجَاءَ الطُّوفَانُ وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ" (لوقا ١٧: ٢٧). إننا نرى نفس الأشياء تحدث اليوم، ففي يوم ما سيذهب شعب الله، ليس في فلك، بل سيُختطفون لملاقاة الرب في الهواء، وثم سيأتي طوفان الدينونة المريع فينسكب على هذا العالم البائس. إن المثل لا يعني أن الإنجيل سيستمر إلى أن يهتدي العالم بمجمله. بل يعني العكس تماماً. أكيال الدقيق الثلاثة كانت تمثل تقدمة الدقيق، وتقدمة الدقيق كانت طعام شعب الله وكان يرمز إلى المسيح، مخلصنا المبارك والمقدس. لم يكن هناك خميرة في تقدمة الدقيق، لأن ذلك كان رمز الشر. الخمير هو التعليم المغلوط الذي يفسد الحقيقة. لقد أشار يسوع إلى ثلاث أنواع من الخمير فقال: "«انْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ هِيرُودُسَ وَخَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَخَمِيرِ الصَّدُّوقِيِّينَ". خمير هيرودس كان الفساد والشر السياسي، وخمير الفريسيين كان البر الذاتي والنفاق، وخمير الصدوقيين كان المادية، كان يمكن القول على أي من هذه على أنها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

"خميرة صغيرة تخمر العجين كله". إن الأمر الذي يوقف عملها هو أن نعرّضها لتأثير النار، وعندما نتمحص هذه الأشياء على ضوء إنجيل المسيح فلا يعود لها أي فعل أو أثر.

ولكن رغم أن بولس يحذر هؤلاء الغلاطيين إلا أنه لا يتخلى عنهم. إنه يشعر بأنهم سيخرجون من الأمر على نحو سليم، لأنه يعرف كم كانوا صادقين في البداية. "وَلَكِنَّنِي أَثِقُ بِكُمْ فِي الرَّبِّ أَنَّكُمْ لاَ تَفْتَكِرُونَ شَيْئاً آخَرَ. وَلَكِنَّ الَّذِي يُزْعِجُكُمْ سَيَحْمِلُ الدَّيْنُونَةَ أَيَّ مَنْ كَانَ". يا له من قول رزين مهيب! لقد قال الله: "لاَ تَضِلُّوا! اللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً" (غل ٦: ٧). ونعلم أن: "لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ" (رومية ٢: ١١). كم ينبغي لهذا أن يحفظ قلوبنا عندما نرى رجالاً في مراكز مرموقة اليوم وهم مذنبون مدانون بجرائم شائنة شنيعة بحق المدنية. إننا نرتعد إذ نرى مدى عجز الأمم في مكافحة هكذا رجال ومبادئهم الشريرة. عجيب أن طغاة الأرض لا يزالون يتحدون الله. ولكنه سوف يطبق قبضته على كل هذه الأشياء يوماً ما، والدينونة آتية لا محالة طالما أن هناك إلهاً في السماء. لأن الله قد قال، فيما يتعلق بنسل ابراهيم: "لِيَكُنْ لاعِنُوكَ مَلْعُونِينَ وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ»" (تك ٢٧: ٢٩). الإنسان الذي سيعامل نسل ابراهيم بقساوة وفظاظة هو تحت لعنة الله. ستقع تلك الدينونة يوماً ما. يمكننا أن نكون على يقين من ذلك. ليس من مهرب من ذلك، لأن الله أصدر حكماً قضائياً بذلك. قد يعبث الناس مع الله لبرهة وقد يشكّون لأنه يبدو ذا صبر طويل، ولكن اليونانيين اعتادوا أن يقولوا: "إن طواحين الآلهة تطحن على مهل، إلا أنها تطحن إلى ذرات بالغة الصغر". في كل جانب من جوانب الحياة تبقى الحقيقة في أن الله هو إله دينونة، و"به تُوزَنُ الأَعْمَالُ" (١ صموئيل ٢: ٣).

ثم يقول بولس: "وَأَمَّا أَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَإِنْ كُنْتُ بَعْدُ أَكْرِزُ بِالْخِتَانِ"– لنفترض أني كرزتُ بكل هذه الأمور التشريعية الناموسية، فهل تظنون أني كنتُ سأُضطهدُ كما أنا الآن؟ بالتأكيد لا. ولكن إن فعلتُ ذلك لما كنتُ مخلصاً لرسالتي العظيمة الموكلة إليّ. "فَلِمَاذَا أُضْطَهَدُ بَعْدُ؟ إِذاً عَثْرَةُ (عار) الصَّلِيبِ قَدْ بَطَلَتْ". ما الذي يقصده بقوله: "عَثْرَةُ الصليب"؟ لقد كانت نهاية مخزية وخيمة للإنسان أن يموت مرغماً على الصليب. لقد كان الصليب كمثل المشنقة اليوم. قال سيسيرو: "الصليب، إنه مخزٌ جداً، حتى أنه ينبغي ألا يذكر في المجتمع الرفيع". كما أن الشخص الذي لديه قريب قد ارتكب جريمة قتل وشنق من جراء ذلك، فإنه لن يرغب في أن يتحدث عن هذا الأمر، هكذا كان الناس يشعرون بخصوص الصليب في تلك الأيام. ومع ذلك فإن ابن الله مات على الصليب. آه يالعاره! فالقدوس، الخالق السرمدي، الذي أتى بكل الأشياء إلى الوجود، قد مضى إلى ذلك الصليب ومات عن خطايانا. يقول بولس عملياً: إنكم تعتبرون ذلك الصليب بلا قيمة إن أدخلتم أية وسيلة خلاص ظاهرة أخرى بدلاً من موت يسوع الذي خلصنا به الرب من الخطايا" ثم يصرخ قائلاً: "يَا لَيْتَ الَّذِينَ يُقْلِقُونَكُمْ يَقْطَعُونَ أَيْضاً!" أو حرفياً: "أود لو يَقطع أولئك الذين يزعجونكم أنفسهم". هؤلاء الرجال الذين يحرِّفون إنجيل المسيح.

في الآية ١٣ يعود إلى موضوع الحرية: "فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ"– لقد تحررتم وما عدتم عبيداً، بل إنكم أحرار– "لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ". لا تقولوا : "حسناً. الآن قد خلصت بالنعمة ولذلك فأنا حرٌ أن أفعل ما يحلو لي". لا بل قولوا لقد خلصت بالنعمة ولذلك أنا حر لأمجد الله، إله كل نعمة! لدي الحرية لأحيا لله، لدي الحرية لأُعظِّم وأُبَجِّل المسيح الذي مات عني، ولدي الحرية لأن أسلك في المحبة نحو جميع إخوتي. إنها حرية مجيدة، حرية القداسة، حرية البر. "بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً". إذ قد دُعينا إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذه الحرية فلنكن مستعدين لأن نكون خداماً. إن ربنا المبارك يضرب لنا مثلاً فقد أخذ ذلك الدور على الأرض: "فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ" (يوحنا ١٣: ١٤). بالمحبة نُسَرُّ بأن نخدم. انظروا إلى تلك الأمّ التي تُعنى بطفلتها الصغيرة. إن عليها أن تقوم بأشياء كثيرة لا يُسَرُّ قلبُها بها بشكل طبيعي. فهل خدمتها عبودية إذ تُعنى بابنتها الطفلة؟ لا. إنها تُسَرُّ بأن تقوم بما يمليه عليها الحب، وهكذا في علاقتنا مع بعضنا البعض، كم سنكون مسرورين إن كانت لنا الفرصة بأن نخدم إخوتنا المؤمنين. "بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً".

"لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ". لكأنه يقول: "إنكُم تتحدثون عن الناموس، وتصرُّون على أنه على المؤمنين أن يأتوا تحت الناموس. لماذا لا تتوقفون من أجل أن تفكروا بما يعلمه الناموس حقاً؟ "لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»". إن الإنسان الذي يحب سوف لن يخالف أي وصية. إن كنت أحب الله كما ينبغي، فلن أُخطئ تجاهه. انظروا إلى يوسف، الذي تعرض لإغواء شديد، لعله كان أكبر مما يتعرض له كثيرون، ومع ذلك فقد كان رده على المغوية أن: "أنىّ لي أن أفعل هذا الشر العظيم وأن أُخطئ نحو الله؟" لقد أحب الله وهذا ما حفظه في ساعة الإغواء والتجربة. وعندما نأتي إلى تعاملنا مع رفاقنا وأصحابنا، إن كنا نحب قريبنا كأنفسنا، فإننا لن نخالف الوصايا. فلن نكذب أحدنا على الآخر، ولن نشهد زوراً، ولن يزني أحد، ولن يكون هناك انتهاك لناموس الله، وسوف لن نقتل. لن يسيء أحد إلى الآخر إن كنا نسلك في المحبة. "لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»". إن الروح القدس الذي يسكن في كل مؤمن هو روح محبة، وإن الطبيعة الجديدة هي طبيعة قد غرسها الله بنفسه، فالله محبة وبذلك فمن الطبيعي للطبيعة الجديدة أن تحب. عندما تجد مؤمناً يسلك بطريقة لا محبة فيها، ولا يكون لطيفاً في تعامله، فإن في مقدورك أن تتيقن أن تلك هي الطبيعة القديمة وليست الطبيعة الجديدة، وهي التي تتسلط عليه في تلك اللحظة. ليتنا نسلك في المحبة لكي يتمجد المسيح في جميع طرقنا! لقد قيل عن المسيحيين الأوائل، حتى على لسان الوثنيين أنفسهم،: "انظروا كيف يحبون بعضهم بعضاً!" هل يمكن أن تقول هذا عنّا دائماً؟ أم يجب أن نقول: "انظروا كيف يتشاجرون. انظروا كيف يحزون أحدهم الآخر". باللعيب، إن قيلت هكذا أشياء عنّا. "لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»".

والآن من جهة أخرى، إن أخفق أحد في ذلك: "فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَانْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً". إن كنتم تسيئون إلى سمعة بعضكم البعض، وتنتقدون بعضكم، وتتشاجرون، فانتبهوا، لأن النتيجة الطبيعية هي أنكم سوف تفنون بعضكم بعضاً. أتعلمون لماذا آلت إلى دمارٍ تلك الشهاداتُ الكثيرة التي كانت يوماً ما لامعة في عيني الله؟ ذلك بسبب روحٍ نزاعةٍ إلى الخلاف، والانتقادت والنميمة، تتسلل إلى وسط شعب الله، والله لا يمكنه أن يبارك ذلك. إن كنتم أنتم وأنا نرتكب هكذا إثمٍ، فعلينا أن نأتي إلى حضرة الله ونتفحص طرقنا أمامه. نعم ولنلتمس منه أن يسبر قلوبنا، ونعترف وندين كل أمرٍ فيه خطيئة أمام ناظريه لكيما نكون مساعدين وليس معوقين في خدمته.

"فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَانْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً". قد يقول أحدهم: "حسناً. لطالما كرهت نفسي إذا ما قلت أي شيء فظ، وأعتزم ألا أعيد الكرّة". المشكلة هي أنك لم تسلم لسانك إلى الرب يسوع المسيح. إنكم تذكرون الكلمة أن "قَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ" (رو ١٢: ١). إن عدداً كبيراً من الناس قد قدموا كل جزء من أجسادهم تقريباً ما عدا لسانهم. لقد حفظوا لسانهم لأنفسهم، ويسمحون له أن يتحرك بالقيل والقال إلى أن يتسببوا تدريجياً في إحداث الكثير من الألم والحزن وسط شعب الله. أفلا تقولون: "يارب. لساني هذا قد أعطيتنيه كي أمجدك. لطالما استخدمته لأجد عيوباً عند الآخرين، ولأسيء لسمعة أخٍ أو أختٍ، وأن أقول أشياء بدون لطفٍ وبدون لباقة بخصوص الآخرين. فيارب يسوع، إني أقدمه لك، فهذا اللسان قد ابتعته بدمك. ساعدني على أن أستخدمه من الآن فصاعداً فقط لتمجيدك. وباستخدامه في تمجيدك فإني سأستخدمه لأبارك وأساعد الآخرين بدلاً من أن أحزنهم وأعوقهم".

لعلك لم تأتِ أبداً إلى يسوع، على الأرجح أنك تقول: "هل هناك من قوة كمثل التي تتحدث عنها يمكنها أن ترفع شخصاً فوق حياة الخطيئة، وتمكّنه من أن يحيا هكذا؟" نعم. هناك طريقة. تعال إلى الرب يسوع المسيح، وآمن به، واقتبله مخلصاً لك، وتوِّجْه رباً على حياتك، وستجد أن كل شيء سيكون مختلفاً، كل شيء سيكون جديداً. ستجد فرحاً، وسروراً، ما كنت لتجدهما في كل الطرق المعوجة لهذا العالم البائس، إنه يقول: "هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤيا ٣: ٢٠). افتح باب قلبك على مصراعيه اليوم وقل:

"تعال، يارب، وادخل،
واجعل قلبي مسكناً لك.
تعال، وطهّر روحي من الخطيئة،
واسكن معي وحدي"

سيكون في غاية السرور إذ يدخل إلى قلبك، ويأخذ زمام أمورك، وكل شيء سيغدو جديداً على ضوء حضوره.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الرابع عشر

حرية وليس فجوراً

(غل ٥: ١٦- ٢٦)

"وَإِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ. لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ. وَلَكِنْ إِذَا انْقَدْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ: الَّتِي هِيَ زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضاً: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ. وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ. وَلَكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ فَلْنَسْلُكْ أَيْضاً بِحَسَبِ الرُّوحِ. لاَ نَكُنْ مُعْجِبِينَ نُغَاضِبُ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَنَحْسِدُ بَعْضُنَا بَعْضاً".

الجزء الحالي من هذه الرسالة يضع أمامنا حقيقة، بطريقة مميزة جداً، ألا وهي الطبيعتان في المؤمن. من المهم أن نتذكر أنه عندما يخلصنا الله فإنه لا يهلك الطبيعة الجسدانية التي تلقيناها في ولادتنا الطبيعية. إن الولادة الجديدة لا تقتضي ضمناً إزالة الطبيعة القديمة الجسدانية، أو إحداث تغيير فيها، بل منح طبيعة جديدة بشكل مطلق تولد بروح قدس الله، وهاتان الطبيعتان تبقيان جنباً إلى جنب في المؤمن بالرب يسوع المسيح. هذا يفسر الصراع الذي عرفه كثيرون منّا منذ أن اهتدينا. في الواقع، ليس من داع لأن أقول، "كثيرون منّا"، لأن كل المهتدين يختبرون في وقت أو آخر شيئاً من ذلك الصراع بين الجسد والروح. قال يسوع: "المولود من الجسد هو جسد"– أي، الطبيعة القديمة– "والمولود من الروح هو روح"– أي الطبيعة الجديدة، وهاتان الطبيعتان تقيمان جنباً إلى جنب إلى أن نتلقى افتداء الجسد الذي سيكون في المجيء الثاني لربنا يسوع المسيح، عندما سيحول جسد إذلالنا هذا ويجعله على شبه جسد مجده. وعندها سنتحرر إلى الأبد من كل النزعة الداخلية إلى الخطيئة. والآن وحتى ذلك الوقت علينا أن نتعلم، وأحياناً بخبرات مؤلمة جداً، أن الطبيعة الجسدانية، تلك الطبيعة القديمة، "لَيْسَت خَاضِعةً لِنَامُوسِ اللهِ لأَنَّهاُ أَيْضاً لاَ تَسْتَطِيعُ" (رو ٨: ٧).

إن الطبيعة القديمة فاسدة جداً، وضيعة جداً، لدرجة أنها لا تستطيع أبداً أن تتقدس، والطبيعة الجديدة نقية جداً ومقدسة جداً، حتى أنها لا تحتاج لأن تتقدس. لذلك ليس من ذكر في الكتاب المقدس لتقديس الطبيعة القديمة. ما الذي يحتاج إذاً لأن يتقدس؟ إنه الإنسان نفسه. وهو يتقدس إذ يسلك وفق إملاءات الطبيعة الجديدة. إن روح قدس الله يقوده، لأن المؤمن لا يولد بالروح وحسب بل يسكن فيه الروح القدس.

يجب ألا نخلط بين الولادة الجديدة بالروح واقتبال الروح. الولادة الجديدة هي عمل روح الله. فهو الذي يُحدث الولادة الجديدة بالكلمة. ونحن نقتبل الكلمة بالإيمان. ونؤمن بالكلمة، وروح قدس الله من خلال الكلمة يأتينا بالولادة الجديدة. يقول الرسول يعقوب: "شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ" (يعقوب ١: ١٨). ويقول الرسول بطرس: "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ ..... وَهَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا" (١ بطرس ١: ٢٣، ٢٥). وعندما أومن بتلك الكلمة أولد ثانية؛ وذلك تغيير داخلي. إنه منح حياة جديدة؛ إنها حياة أبدية. ولكن هناك شيء أكثر من ذلك. لقد كان صحيحاً وحقيقاً دائماً في كل التدابير من آدم إلى يوم العنصرة، أنه أينما كان الناس يؤمنون بكلمة الله

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فإنهم كانوا يولدون ثانية، ولكن الروح القدس نفسه كأقنوم إلهي ما كان يأتي عندها ليسكن فيهم. والآن ومنذ العنصرة، وعند الإيمان، فإننا نُختم بروح قدس الله. فهو يخلق الطبيعة الجديدة، ثم يأتي ليسكن في المرء الذي يولد ثانية، وإذ يتعلم المؤمن أن يدرك حقيقة أن روح قدس الله يسكن فيه، وإذ يضع كل شيء تحت سيطرته، فإنه يجد الانعتاق من قوة الخطيئة الطبيعية الفطرية.

لاحظوا كيف يورد الرسول بولس القول هنا: "وَإِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ (أو رغبة) الْجَسَدِ". إنه لأمر في غاية السهولة أن نشبع رغبة الجسد. علينا ألا نربط كلمة "شهوة" دائماً في ذهننا بمعنى رديء أو نجس. فالكلمة بحد ذاتها تعني "رغبة" بكل بساطة، وأياً كانت رغبة الجسد فإنها دائماً بغيضة في نظر الله. ها هنا امرئ يرغب بكل أنواع الإنغماس في الشهوات والأهواء الجسدانية، وليس من الصعب علينا أن ندرك خسة ذلك. ولكن هنا لدينا آخر يرغب بالشهرة العالمية والمديح والتملق من رفاقه وأصحابه، وتلك أيضاً شهوة الجسد أو الفكر، وهذه يبغضها الله كما الآخر. إن كل نوع من الشهوات الجسدانية هو رغبة، وإذا أردنا أن نتحرر من السير بحسب هذه الرغبات الجسدية فما علينا سوى أن نسلك في الروح القدس.

أن يسكن الروح القدس فينا شيءٌ، وأن نسلك في الروح شيءٌ آخر تماماً. أن نسلك في الروح أي أن الروح القدس يسيرنا ويمكننا أن نسلك في الروح فقط عندما تكون حياتنا مستسلمة حقاً للمسيح. قد يقول أحدهم: "حسناً إذاً. إنني أفهم ما تقصده في أن كل المؤمنين لديهم الروح القدس، وأن كثيرين منا لم يتلقوا البركة الثانية، وليسوا ممتلئين من الروح". لست أجد التعبير "البركة الثانية". في الكتاب المقدس، رغم أني أقر بأنه توجد في حياة العديد من المسيحيين خبرة تجيب على ما يدعوه الناس "البركة الثانية". فقد عاش كثير من المسيحيين لسنوات في مستوى متدنٍ، وإلى حد ما جسداني، ودنيوي. إنهم يحبون الرب، ويحبون كلمته، ويحبون أن يحضروا الطقوس في بيته، ويستمتعون بصحبة المسيحيين، ويسعون لأن يسلكوا مستقيمين رجالاً ونساءً خلال هذا العالم، ولكنهم لم يسلموا أنفسهم حقاً أبداً ولا قدراتهم كلياً للرب. هناك شيء يقون عليه، بعض الخلاف مع الله، وطالما استمر هذا فسيكون هناك دائماً صراع وهزيمة، ولكن عندما يأتي المرء إلى حيث ينتبه إلى الكلمة، "أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا (أي تسلموا) أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ" (رومية ١٢: ١). عندما يقوم المرء بذلك التسليم فيكون هناك في الحياة ما هو رد على نوع من البركة الثانية؛ أي أن روح قدس الله يكون الآن حراً لكي يمتلك زمام أمور ذلك المؤمن، ويعمل من خلاله ويستخدمه لمجد الله بطريقة ما كان ليقوم بها ما لم يكن ذلك الرجل أو المرأة مستسلماً كلياً للرب.

إننا نتحدث كثيراً عن "التسليم الكامل"، ومع ذلك، كما أخشى، بعض منا يستخدم التعبير بلا مبالاة كبيرة. لا يفيد الحديث عن أن نكون مستسلمين بالكامل لله إن كنت لا أزال أسعى وراء اهتماماتي الذاتية. إن كنت متمحوراً على ذاتي. إن كنت متألماً لأن الناس لا يمتدحونني، أو كنت أشعر بالسمو والإطراء لأنهم يفعلون ذلك، فعندها لا يكون روح الله قد وجد طريقه إلي. إن لم يكن المسيح نفسه هو هدف روحي الوحيد، إن كنت لا أستطيع أن أقول: "بالنسبة لي الحياة هي المسيح". إن كان اهتمامي الكبير ليس في أن يتعظم المسيح فيّ سواء بحياتي أو بمماتي، فعندها لا أكون مستسلماً كليةً له. إن كنت لا أستطيع أن أقول من قلبي: "لا تكن مشيئتي بل مشيئتك"، فلا ينفع هنا الحديث عن التسليم الكامل للمسيح. المؤمن المستسلم (للمسيح) لا يعود

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يسعى إلى ما يخصه بل إلى الأشياء التي تخص المسيح يسوع. وذاك هو الإنسان الذي "يسلك في الروح". "اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ".

يتبدى الصراع في الآية ١٧: "لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي (أو يرغب) ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ (أي بخلاف) الْجَسَدِ، وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ". لا يقول بالضبط: "لكي لا تستطيعوا أن تفعلوا الأشياء التي تفعلونها، لأن الله قد جعل تدبيراً احتياطياً في أننا قد نفعل الأشياء التي نريد، ولكن يجب ترجمة النص كما يلي: "لئلا تفعلوا الأشياء التي تفعلونها". ها هنا صراع في قلب المؤمن. فالجسد يرغب في شيء والروح ترغب في شيء آخر، وطالما أنه لا يكون هناك استسلام كامل لمشيئة الله فإن هاتين الرغبتين هما في صراع دائم، ولذلك فإن المؤمن قد لا يفعل الأشياء التي يريد. أستيقظ في الصباح وأقول: "اليوم لن أسمح للساني بأن يقول أي شيء غير لطيف أو كلمة لا تتلاءم والمسيح". ولكن تحدث ظروف غير متوقعة، وحتى قبل أن أدرك أجد أني قد قلت شيئاً كنت لأقضم لساني عليه. فالأمر الذي لم أقصد أن أفعله قد فعلت. ومن جهة أخرى، فإن الأشياء التي كنت أقصد أن أفعلها لم أفعلها. ما الذي أفهمه من ذلك؟ هناك صراع. إن روح الله لا تسيّر قلبي وحياتي بشكل كامل، وبسبب هذا الصراع قد لا أفعل الأشياء التي أرغب لها. فأنا معوق، وحياتي ليست حياة استسلام كامل كما كان الله يريدها أن تكون. كم هو كثير على أولئك الذين يختبرون هكذا أمور. يا للمرارة الناجمة عن الحياة المنهزمة والحياة الخائبة، حتى لأناس ليسوا مسيحيين حقيقيين، الذين يعرفون بركة وغبطة أن تكون مخلصاً بدم الرب يسوع المسيح الثمين والذين يتوقون أن يمجدوا الله، ومع ذلك فهم مهزومون على الدوام. لماذا؟ لأن روح الله ليس لها المكان الأسمى في حياتهم.

"وَلَكِنْ إِذَا انْقَدْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ". علينا أن لا نفكر في أن طريقة الانعتاق أو الاستسلام لله هي في حفظ الناموس. لعلي أقول: "من الآن فصاعداً سأتعمد أن أكون أكثر انتباهاً وحرصاً، وسأطيع ناموس الله في كل شيء. وهذا بالتأكيد سيؤدي إلى قداستي عملياً". ولكن، لا. أجدني خائباً مخيباً من جديد. سأجد أن إرادة صنع الخير موجودة في داخلي، ولكن أن أنجز ذلك أمرٌ آخر، وهكذا على أن أتعلم أن تقديسي لا يعود بالناموس بل بالتبرير. ثم ماذا؟ إنه يخبرنا قائلاً: "إِذَا انْقَدْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ". إن استسلمتم لروح الله، وإن كانت له السيادة على حياتكم، وإن انقدتم به، فعندئذ بر الناموس يتحقق فينا نحن الذين نسلك ليس بحسب الجسد بل بحسب الروح. ولئلا نسيء الفهم، فإنه يضع نصب أعيننا شهوات الجسد، لكي نستطيع أن نخرج هذه الأشياء إلى النور، لكيما نراها على قباحتها وبشاعتها، بحيث أنه إذا كان لأي منها مكان في قلوبنا وحياتنا ندينه في حضرة الله. غالباً ما نصادف أناساً اليوم يقولون أنهم لا يؤمنون بفساد الحياة البشرية، ولكن هذه هي الأشياء التي تأتي من الإنسان الطبيعي، وحتى المؤمن إن لم يكن حريصاً منتبهاً، إن لم يسلك مع الله منقاداً بالروح، فإنه قد يسقط في إحداها.

"وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ (أي واضحة): الَّتِي هِيَ زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ". ربما يقول بعضكم أو يفكر أن: "أود لو لم يستخدم هذه الكلمات؛ فأنا لا أحبها؛ إنها كلمات مقرفة بغيضة". يا أصدقائي الأعزاء، دعوني أذكّركم، ليست المسألة مسألة كلمات؛ إن الخطايا التي تعبر عنها هذه الكلمات هي المقرفة والمغثة للغاية. كثير من الناس الذين لا يحبون هذه الكلمات يعيشون في الخطايا، والله يُخرج كل الأشياء إلى النور ويسمي الخطيئة باسمها. هناك أناس يعيشون في خطيئة الزنى. والذين لا يحبون أن يسمعوا تسمية شرهم باسمه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لنأخذ كلمات الرب يسوع "إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي" (متى ٥: ٣٢). هناك أولئك الذين يرتكبون الزنى بحسب ذلك المقطع وآخرون يفكرون به. إن سمحت لنفسك بعلاقة عشق غير مقدسة، سامحاً لنفسك بحرية جنسية غير مقدسة مع من ليس لك حق بأن تدخل معها بعلاقة زواج فإنك تكون مذنباً في عيني الله بالخطيئة المذكورة هنا. "عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ"، أي الأفكار الفاسدة الفاحشة المنغمسين فيها. لا يمكنك أن تمنع الأفكار المنحطة الفاسدة من أن تراود فكرك، ولكن يمكنك أن تتجنب الانغماس فيها. الدَعَارَة هي الانغماس في الأفكار النجسة والوضيعة والآثمة. يأتي إلي الناس أحياناً وهم في حالة كرب شديد ويقولون: "إن أفكار الشر تراودني، حتى عندما أصلي، وأتساءل أحياناً إذا ما كنت قد اهتديت حقاً أم لا". ذاك هو الجسد يدل على نفسه. هذه الأشياء قد تخطر في ذهنك، ولكن هل تنغمس فيها؟ قال رجل ويلزي: "لا أستطيع أن أمنع عصفوراً من أن يحط فوق رأسي، ولكني أستطيع أن أمنعه من أن يبني عشه في شعري". وهكذا فإنك قد لا تكون قادراً على أن تتحاشى الأفكار الشريرة عندما تندفع إلى ذهنك، ولكن يمكنك أن تتجنب الانغماس في تلك الأفكار.

"عِبَادَةُ الأَوْثَانِ"، أي أن تضع أي شيء في منزلة أو مكان الله الحقيقي الحي. "السِحْر". لعلك تقول: "آه، السحر. ولكنه طراز عتيق. فقد اعتادوا أن يحرقوا السحرة". ولكن ما هو السحر أو العرافة؟ إنها كلمة تدل على "التعامل مع الأموات"، وأعتقد أن شيكاغو فيها عدد كبير من السحرة. فغالباً ما أرى، عند اجتيازي للطريق، لافتات تقول: "وسيط روحاني"، أو شيء من هذا القبيل، إذ يدّعي أناسٌ القدرة على التواصل مع الأموات. تلك إنما هي سحرٌ أو عرافةٌ، وهي أمرٌ بغيضٌ عند الله. "عَدَاوَةٌ": تلك خطيئة علينا جميعاً أن نحذر الوقوع فيها. يقول الكتاب: "كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ" (١ يو ٣: ١٥). إن العداوة أو الكراهية تأتي من الطبيعة القديمة. "خِصَامٌ"– أي حب النزاع والخصام. هناك كثيرون منا ينكمشون من تلك الخطايا الأولى، ولكن ليس من السهل أن نتدبر أمرنا معها، فنحن شديدوا الحساسية على نحو مفزع، وهذا دليل واضح على الطبيعة القديمة، مثل "أعمال الجسد" الأخرى تلك. "الغيرة"، هي رغبة مضطردة تجعلنا نستبعد البعض لكي ننال إعجاب آخرين. ها هنا كارز لديه موهبة ضئيلة، وهو مستاء لأن كارزاً آخر لديه تقدير أكبر لدى الناس. ها هنا امرئ يغنّي قليلاً. وآخر يغنّي أيضاً ويثير إعجاباً أكبر، وهناك مشكلة بخصوص ذلك. ها هنا معلمة في مدارس الأحد، وبعض معلمين آخرين يبدون مفضلين عليها، وهي في حالة سخط وعلى استعداد تقريباً لأن تترك عملها. إذا تتبعنا هذه الأشياء إلى مصادرها فنجد أنها تأتي من الجسد، ولذلك فيجب إدانتها أمام الله. ثم يأتي "السخط" وهو الغضب، هناك غضب مقدس ولكن السخط الذي نسمح به أنت وأنا عادةً غير مقدس. الغضب المقدس الوحيد هو غضب من الخطيئة. "اغضبوا ولا تخطأوا" (أفسس ٤: ٢٦). كان البيوريتاني القديم يقول: "إني مزمع على أن أغضب لا أن أخطئ، وهكذا أغضب على الخطيئة فقط". ومن ثم لدينا "التحزب"، الذي ينشأ عن "الشقاق". إن الكلمتين مترابطتان على نحو وثيق. إن كل هذه الأشياء هي خاطئة. "البدعة"، هي مدرسة فكرية تجعلنا ضد حقيقة الله "الجسد"، كما يقول الكتاب: "كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ" (عب ١٣: ٥). لدى أحدهم منزل أفضل من منزلي، ولدى أحدهم سيارة افضل من سيارتي، وأنا أحسده. يقول العرب: "شعرت مرة بالاستياء ورحت أتذمر لأنه ليس لدي حذاء إلى أن التقيت برجل ليس له أقدام". ما من أحد فينا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إلا ولديه أكثر مما يستحق. فلماذا سنحسد الآخرين؟ لنفترض أن بعض الناس لديهم قصر فخم وليس لدي سوى كوخ.

"خيمة أو كوخ، ما يهمني؟
فهم يبنون قصراً لي فوق هناك"

"كن مكتفياً"، يقول روح الله، "بالأشياء التي لديك". عندما تصل إلى تلك الحالة، "حالة الاكتفاء"، فستصبح الحياة أكثر سعادة بكثير.

"قتلٌ". ماذا لو وضعنا القتل إلى جانب خطايا الغيرة والحسد؟ إن الكثيرين من جرائم القتل قد نتجت عن هذه الخطايا نفسها. وكما تعرفون فإن القتل ليس مجرد أن تطعن رجلاً بسكين أو أن تنسف دماغه بمسدس. يمكنك أن تقتل إنساناً عن طريق عدم اللطف أو الفظاظة. أعرف كثيراً من الناس الذين ماتوا بقلب محطم بسبب فظاظة أولئك الذين كانوا يتوقعون منهم أمراً مختلفاً. إن الله يعطينا أن نظهر الكثير من محبة المسيح، لكي نصبح بركة للناس بدلاً من أن نكون لعنة لهم. ثم لدينا "السُّكر". بالطبع ليس من حاجة لأن أتحدث عن هذا الأمر للمسيحيين. هذه أيضاً من أعمال الجسد. ثم لدينا "البطر". والعالم يسميه "قضاء وقت ممتع" بطريقة جسدانية. "وَأَمْثَالُ هَذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضاً: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ".هنا يستخدم صيغة تدل على الزمن الحاضر المستمر (المضارع): "إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ، أو الذين تتميز حياتهم بمثل هذه الأشياء، لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ". إن اتصف الناس بهذه الأمور فإنهم يثبتون أنهم ليسوا مسيحيين على الإطلاق. المسيحيون الحقيقيون قد يقعون فيها، ولكنهم يبقون بؤساء وتعساء فيها ويستمرون فيها إن لم يدينوها. هذه الأشياء تأتي من الجسد.

والآن لدينا العكس– ثمر الروح: "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ [٢٣]وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ". نلاحظ أن الكلمة المستخدمة هنا هي "ثمرة"، إذ لا نقرأ في الكتاب المقدس عن "ثمار" الروح، بل عن "ثمرة". هذه الثمرة ذات الجوانب التسعة من الطبيعة الجديدة هي ثمرة يحركها روح قدس الله. "المحبة"، وهي جوهر الطبيعة الإلهية. "الفرح"، يقول الكتاب المقدس "فَرَحُ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُكُمْ" (نحميا ٨: ١٠). "السلام"، وذاك أكثر من سعادة، إنه سرور عميق ولا يتكدر ولا يتزعج مهما تعرض للتجارب على الأرض. "طول الأناة"، وهذا يقودك لان تحتمل بدون تذمر، "اللطف"، بعضٌ منا فظ وقاس جداً، ولكن المسيحي يجب أن يصقل ذاته فيصبح كالمسيح وديعاً ولطيفاً. "الإيمان"، بمعنى الشعور بثقة الإيمان بالله. "الوداعة"، إننا لسنا ودعاء بالطبيعة. فالإنسان الطبيعي يجعل نفسه دائماً في المقدمة، أما الإنسان الروحي فيقول: "لا بأس علي، لأميزن الآخرين. إني على استعداد لأن أبقى في الخلف". أينما وجدت هذه الروح المصرة على المضي إلى الواجهة نعرف أن المرء لا يزال يسلك في الجسد. وعندما تجد رغبة بأن تعطي تقديراً ورعاً لآخرين ستجد أن المرء يسلك في الروح. ثم لدينا "التعفف"، وهوضبط النفس تماماً، فالجسد كله يكون متمالكاً لنفسه وفي حالة خضوع لروح الله. "ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ". إنك لستَ في حاجة إلى ناموس لتضبط الإنسان الذي يسلك هكذا في الروح.

"وَلَكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ". إنها لا تقول "أولئك الذين هم للمسيح ينبغي أن يصلبوا الجسد". لقد فعلوا ذلك عندما وضعوا إيمانهم في الرب يسوع المسيح. لقد آمنوا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالذي صُلب من أجلهم عوضاً عنهم. ولذلك يمكن القول: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غل ٢: ٢٠). إنه أمر محسوم. إن صلبت الجسد، إن أدركت أن حقيقة صلب المسيح هي من أجلك، إذاً فلا تعِشْ في تلك الحالة التي مُتَّ لأجلها. "إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ فَلْنَسْلُكْ أَيْضاً بِحَسَبِ الرُّوحِ". إن كانت لدينا هذه الحياة الجديدة. إن كنا مرتبطين الآن بمسيحنا القائم. فلندعه الآن يضبط طرقنا، لنستسلم له، ولنسلك في الروح، ولا نكن راغبين في الشهرة أو المجد، ودعونا ألا نسعى وراء ما يمكن أن يقودنا إلى التفاخر الكاذب، مبغضين أحدنا الآخر، قائلين وفاعلين أشياء تؤلم الآخرين بدون داع، أو نحسد بعضنا البعض.

قد يقول بعض منكم: "هذا معيار رفيع للغاية، وأخشى أني لا أستطيع أبداً أن أبلغه". لا، ولا أنا، لا أستطيع أبداً أن أحرزه بقوتي الذاتية، ولكن إن كنا أنا وأنت مستسلمين لروح قدس الله، وإن سمحنا له أن يصنع هذه الأشياء واقعياً في حياتنا، فعندها سنحقق المعيار المثالي الموضوع أمامنا ها هنا، ولكن لن نكون نحن أنفسنا، بل المسيح سيحيا فينا مظهراً حياته، حياته المقدسة، في ومن خلال أعضاء جسدنا. ليُعطنا الله أن نعرف حقيقة وواقعية هذا الأمر.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الخامس عشر

النعمة العاملة

(غل ٦: ١- ١٠)

"أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِراً إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضاً. احْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ إِنْ ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ شَيْءٌ وَهُوَ لَيْسَ شَيْئاً، فَإِنَّهُ يَغُشُّ نَفْسَهُ. وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنْ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ الْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ، لاَ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ. لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَحْمِلُ حِمْلَ نَفْسِهِ. وَلَكِنْ لِيُشَارِكِ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْكَلِمَةَ الْمُعَلِّمَ فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ. لاَ تَضِلُّوا! اللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً. لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَاداً، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً. فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ. فَإِذاً حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ".

سنتأمل الآن عدداً من النصائح والتحذيرات الخاصة التي لها علاقة بتجلي النعمة، وبموقفنا نحو إخوتنا عموماً والعالم الخارجي، إذ حيث النعمة فاعلة في النفس سيكون هناك دائماً اعتبار لطيف حسنٌ للآخرين. حيث تسود روح الميل إلى النقد القاسي، أو حيث الحقد والمكر يملأ القلب. يمكن للمرء أن يتأكد، في ذلك الوقت على الاقل، أن من تتجلى عنده هذه النزعات والميول يكون قد فقد حسَّه بالمديونية لنعمة الله.

في المثال الأول، لدينا حالة أخٍ قد أخفق رغم أن ذلك لم يكن عن عمد. يقول روح الله: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا". لم يبدأ بنيّة الخطيئة. لم يكن يحاول أو يسعى لأن يخمد صوت ضميره، ولكن إغواءً مفاجئاً ثبت أنه كان كثيراً بالنسبة له، كما هنا مثلاً، في حالة الرسول بطرس، الذي كان حقاً يحب الرب، ولكن عندما وُضع أمام تحدٍّ لأن يكون أحد تلاميذه كان ممتلئاً بالخوف جداً حتى أنه أنكر ذاك الذي كان قد قال أنه لن يتركه أبداً . من المهم أن نميز بين الخطيئة المتعمدة المقصودة، عندما يخمد المرء صوت ضميره ويباشر في نهج محدد من الشر، والإخفاق المفاجئ وغير المتوقع بسبب إغراء قاهر يُفقده احتراسه. كم من أناس وقعوا تحت هكذا ظروف. لعلها قوة الشهوة أو الشغف الجسدي. قد تكون مسألة مزاج نزق أو كبرياء وخُيلاء شديدة. إن المرء يمضي وهو غير مدرك للخطر. فيجد نفسه في ظروف غير مستعد لها. وقبل أن يدرك ما يحدث، يجد أنه قد أخطأ ضد الشخص الذي أحبه أكثر من الجميع. من السهل على الآخرين الذين لا يفهمون دوافع الفعل الخفية أن ينتقدوا هكذا شخص بشدة، خاصة إن كانت هكذا غلطة تتصف بالتشكيك نحو الشهادة للرب. إن أسهل طريقة في مثل هكذا حالة هي الإصرار على الاستئصال الفوري وقطع العلاقة مع الآثم (مرتكب الخطأ) وحرمانه من كل امتيازات الكنيسة. ولكن نجد هنا طريقة أفضل تتكشف لنا إذ يكتب بولس "أَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِراً إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضاً". ليس من دليل على الروحانية أن نفسح المجال للإدانة القاسية، بل أن نبدي حنواً نحو الذي يخفق وأن نسعى لأن نعيده إلى الصحبة والعلاقة مع الله، فقط بروح الوداعة يمكن القيام بذلك. إن الروح الناقدة القاسية سوف تدفع المخفق المرتكب إلى الخطيئة وتجعل الأمر أكثر صعوبة لاسترداده في النهاية. أما الكلمة الحانية المحبة المصحوبة بجهود مباركة لاستعادته، فهي غالباً ما تؤدي إلى نتيجة طيبة في إنقاذه من المزيد من الانحدار.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إن كنا نذكر ما نحن وكم من السهل أن نسقط نحن أيضاً، فإننا لن نتجاوز الحدود في تعاملنا مع الآخرين. هذا لا يعني أننا مدعوون لأن نتغاضى عن الخطيئة. فهذه يجب معالجتها بصدق وإخلاص، إذ يخبرنا الناموس أن "عليك أن تُوبِّخ قريبك بحكمة ولا تتركه يُخطأ". ولكن علينا أن نحدد طريقة الانعتاق. ودون أن ننسى حاجتنا أنفسنا لمعونة إلهية مضطردة لكي نُحفظ من الخطيئة، علينا أن نعرف بشكل أفضل كيف نتعامل مع أولئك الذين يُضِّلون سواء السبيل في ساعة الإغواء.

ثم نجد كلمة قيّمة تتعلق بالإهتمام المشترك بأولئك الذين يعتبرون مؤمنين: "احْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ". إن ناموس المسيح هو ناموس المحبة، والمحبة تتطلب أن نساعد الآخرين في محنتهم وأن نشاركهم الأحمال والأثقال، إن ظنّ أحدٌ أنه أسمى من هكذا خدمة وأن هذا لا يتناسب مع كرامته، فإنه إنما يُظهرُ ضآلته ذاته، "لأَنَّهُ إِنْ ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ شَيْءٌ وَهُوَ لَيْسَ شَيْئاً، فَإِنَّهُ يَغِشُّ نَفْسَهُ".

على كل امرئٍ أن يميز مسؤوليته الفردية أمام الله، ولذلك عليه أن يكون منتبهاً لأن يكون عمله متوافقاً مع فكر الله المعلن، كما تشير إليه كلمته. وإن سار هكذا بإطاعة، سيعرف أن الفرح يأتي من العلاقة الطيبة مع الله وسوف لن يعتمد على الآخرين من أجل سعادته. إنه مبدأ مميز واضح في الكتاب المقدس أن على كل إنسان أن يتحمل مسؤوليته الشخصية. وهذا هو معنى الآية ٥، حيث توحي الكلمة "أثقال" بأمر مختلف تماماً عن استخدامها في الآية ٢.

تضع الآية ٦ أساساً لمبدأ واسع التطبيق: "لِيُشَارِكِ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْكَلِمَةَ الْمُعَلِّمَ فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ". فإن استخدم الله أحداً ليعلّمني ويساعدني في طريق الحياة، فإن علي أن أكون مسروراً لأن أفعل ما أستطيع لأكون ذا نفع وعون له. لا يكفي الكارزين المكرسين لعمل الرب أن تؤازرهم المواهب الثمينة عند أولئك الذين يخدمونهم، رغم أن ذلك متضمن فيه، بل إنه عطاء وأخذ مستمرين في كل مسالك الحياة. إن من يسعى مكتفياً بأن يستفيد من الآخرين وهو ليس مهتماً بمشاركتهم، ستكون له حياة تشبه البحر الميت. يقال أنه ما من شيء يمكن أن يعيش في تلك المياه لأنه ليس فيها منفذ. ورغم أن ملايين الأطنان من المياه العذبة تصب فيه كل أسبوع، فإن التبخر والرواسب غير العضوية تجعله مراً ولاذعاً حتى تستحيل الحياة فيه. إن من يهتم بإعطاء الآخرين أكثر من أن يأخذ منهم ، سيكون مثل المياه العذبة على الدوام ومسروراً في خبرته، وسوف يتمتع على أكمل وجه بالأشياء الجيدة التي تُقدم له.

إنها لحقيقة لافتة في هذا السياق، تلك التي يمكن أن ندعوها مبدأ العطاء والأخذ، وهي أن الروح القدس يُلفت انتباهنا بوقار أكثر إلى الناموس الشقيق في "الزرع والحصاد". فالجهد أو المال الذي تبذله لا يضيع سدىً في المستقبل. من يتصرف من أجل اللحظة الحاضرة فقط هو كمثل من يكون غير مبالٍ بالحصاد القادم، وبالتالي فهو إما يفكر أن يدّخر من خلال زرع ضئيل، أو أن يبذر بذوراً بغيضة على نحو متهور في حقله، فيزرع الشوفان، كما يقول الناس، ومع ذلك فهو يرغب بأن يحصد نوعاً مختلفاً جداً من الحصاد. إننا نحصد كما نزرع. هذا مؤكد مرةً تلو الأخرى في الكتاب المقدس. فها هنا نجد القول: "لاَ تَضِلُّوا! اللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً". وفي مكان آخر نجد ربنا قد وضع نفس المبدأ. فيسأل: "هَلْ يَجْتَنُونَ (أي الناس) مِنَ الشَّوْكِ عِنَباً أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِيناً؟ هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَاراً جَيِّدَةً وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَاراً رَدِيَّةً" (متى ٧: ١٦، ١٧). لقد زرع إسرائيلُ الريحَ، كما قال النبي، وتنبأ بأنهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

سيحصدون الزوبعة (هوشع ٨: ٧). الناس الذين يزرعون الشر يحصدون المثل أيضاً، كما أكد أليفاز (أيوب ٤: ٨). في هذا دليل بحد ذاته لا يحتاج إلى تأكيد أو برهان ومع ذلك فكم ننساه بسهولة، وكم نأمل وباستعداد كبير أن يحدث، بتحول غريب وغير طبيعي، أن تتغير حماقتنا الخاطئة فتصبح تحت السيطرة لتعطي ثماراً سلميةً من البر. ولكن سواء أكانت في حالة المنغمس في شؤون الدنيا غير المخلص، أو المسيحي الذي أخفق، فإن الناموس المتصلب سوف يتحقق– إننا نحصد ما نزرع. كم من المهم إذاً أن نسلك بحذر أمام الله، في ألا نسمح لأنفسنا بأي فرصة غير لائقة عند المرء الذي يُقر ويعترف بربوبية المسيح. "لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَاداً، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً" (الآية ٨). ليس الأمر أننا "نكسب" حياةً أبديةً بسلوكنا؛ إننا نتلقاها كهبة عندما نؤمن بالرب يسوع المسيح (يوحنا ٣: ٣٦). ولكن لدينا الآن حياة أبدية في الأجساد المائتة، وفي مشهد من التناقض، حيث كل شيء حولنا مضاد لتلك الطبيعة الجديدة والتي غرسها الله والتي تُعطى لنا في التجدد. قريباً، ولدى عودة ربنا، سندخل إلى الحياة بكل ملئها، وعندها، وعند عرش الدينونة أمام المسيح سنحصد بحسب ما زرعنا. فالذين يؤمنون بالله الآن سينالون مكافأة ثمينة في ذلك اليوم. والذين يستسلمون الآن إلى نزوات الجسد والمنشغلين بالأمور التي لا تمجد الله سيعانون الخسران.

كم يأتي هذا التحذير في حينه إذاً: "فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ"، المترافق مع الوعد الأكيد "لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ" (الآية ٩). إننا ميالون جداً، بعد أن بدأنا في الروح، لأن نسعى لأن ننتهي بالجسد، كما في حالة هؤلاء الغلاطيين. ولكن فقط ذاك الذي من الروح سوف يُكافأ في يوم التجلي. فما كان من الجسد– ولو كان متديناً ظاهرياً– سيثمر فساداً ويجني خيبة في النهاية.

وكي يختم هذا الجزء من الرسالة يعود الرسول بولس إلى المبدأ العام في الآية ٦، ويسحبه الآن ليشمل كل الناس في كل مكان. الإنسان الروحي هو الذي يرى الأشياء من وجهة نظر الله، ولذلك لا يستطيع أن يكون متعصباً منعزلاً، متمحوراً على ذاته، أو غير مهتم بالنفوس المعوزة المحتاجة إليه والمحيطة به. "فَإِذاً حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ" (الآية ١٠). ولذلك فعلينا أن نحاكيه ذاك الذي بذل حياته في فعل الخير للناكرين ولغير الأتقياء، كما للقطيع الصغير الذين كانوا يرتقبون عزاء إسرائيل. وإذ نسعى بقوة الروح القدس الساكنة فينا، لكي نحافظ على نفس الموقف نحو إخوتنا البشر، خطاة كانوا أم قديسين، فإننا نحقق بر ذلك الناموس الذي يقول، "أحبب قريبك كنفسك". لسنا في حاجة لأن نضع أنفسنا تحت الناموس لنفعل ذلك. نحن في حاجة فقط لأن نميز علاقتنا بالمسيح الممجد الذي هو رئيس تلك الخليقة الجديدة التي ننتمي إليها بالنعمة.

هل نترقب أبداً هكذا فرصة لنظهر صلاح وجودة الله لأولئك الذين نحتك بهم، وهكذا نمجد الرب، الذي نحن فيه والذي نخدمه؟ أما وقد تعاملنا مع أنفسنا على نحو عجيب، فكيف لنا إلا أن نسعى لنضرب مثلاً خلال تعاملنا مع الآخرين في الرحمة واللطف المحب الذي أظهره الله لنا؟

هذا بالفعل هو معنى أن نعيش على مستوى أعلى من الناموس. إنها حرية النعمة، التي يعطيها الروح القدس لكل الذين يدركون ويؤمنون بربوبية المسيح.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل السادس عشر

الافتخارُ بالصليبِ

(غل ٦: ١١-١٨)

"اُنْظُرُوا، مَا أَكْبَرَ الأَحْرُفَ الَّتِي كَتَبْتُهَا إِلَيْكُمْ بِيَدِي! جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا مَنْظَراً حَسَناً فِي الْجَسَدِ، هَؤُلاَءِ يُلْزِمُونَكُمْ أَنْ تَخْتَتِنُوا، لِئَلاَّ يُضْطَهَدُوا لأَجْلِ صَلِيبِ الْمَسِيحِ فَقَطْ. لأَنَّ الَّذِينَ يَخْتَتِنُونَ هُمْ لاَ يَحْفَظُونَ النَّامُوسَ، بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ تَخْتَتِنُوا أَنْتُمْ لِكَيْ يَفْتَخِرُوا فِي جَسَدِكُمْ. وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ. لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ. فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هَذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلاَمٌ وَرَحْمَةٌ، وَعَلَى إِسْرَائِيلِ اللهِ. فِي مَا بَعْدُ لاَ يَجْلِبُ أَحَدٌ عَلَيَّ أَتْعَاباً، لأَنِّي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ. نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. آمِينَ".

هناك شيء في الآية ١١ أعتقد أنه يضعنا في قلب بولس الرسول. لقد كان على مبعدة قليلاً عن غلاطية عندما جاءه النبأ عن معلمين متهودين قد اندسوا وسط الجماعات (المسيحية)، وكانوا يعلّمون المؤمنين أنه ما لم يختتنوا ويحفظوا الناموس لا يمكنهم أن يخلصوا. لقد رأى أن هذا كان يعني التنازل والتخلي عن حقيقة النعمة كلياً. إنّ المؤمن لا يطيع لكي يخلص، بل لأنه خلص. إنه يُسَرُّ بأن يمجّدَ ذاك الذي افتداه، وإطاعته تنبع من قلب ممتلئ بالامتنان نحو ذاك الذي بذل حياته لأجله. إنه لا يحاول أن يجعل نفسه، أو أن يحفظ نفسه، أهلاً للسماء. لقد كان الرسول مترعجاً جداً مما سمعه لدرجة أنه جلس فوراً وخطَّ هذه الرسالةَ بنفسه. إنها تحتدم بالحرارة المتقدة الناجمة عن غيرته المتوهجة لإنجيل الله. كما قلنا تواً، إنه لم يكن من المعتاد للناس أن يكتبوا رسائلهم بأنفسهم في تلك الأيام. فكتابة الرسائل كانت مهنة منفصلة متميزة، كما لا يزال الحال عليه في بعض مدن الشرق اليوم. وإن كان لإنسانٍ أن يرسل العديد من الرسائل، فإنه كان يستخدم أحد محترفي كتابة الرسائل، وإن كانت لديه مراسلات كثيرة كان ليستخدم مختزلاً. فما كان ليقوم بكل المراسلات بنفسه. وكان الرسول (بولس) في العادة يملي رسائله على أشخاص مختلفين. وكانوا يكتبوها لأجله، ثم كان يوقّع عليه ويرسلها إلى المعنيين بها. ولكن في هذه الحالة هنا، من الواضح أنه لم يكن متوافراً لديه ناسخ أو مختزل بالقرب منه، وكان مهتاجاً جداً في داخله، لدرجة أنه لم يكن يطيق صبراً على تأجيل الرسالة، وهكذا جلس وكتبها بنفسه. ويشير إلى ذلك في الآية ١١: "اُنْظُرُوا، مَا أَكْبَرَ الأَحْرُفَ الَّتِي كَتَبْتُهَا إِلَيْكُمْ بِيَدِي!". لم تكن هذه الرسالة طويلة. فبالمقارنة مع رسالته إلى أهل رومية، نجدها قصيرةً. إنها لا تزيد عن ثلث طول الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ونصف طول الرسالة الثانية إلى كورنثوس. وبالمقارنة مع كتابات أخرى في العهد الجديد، فإنها تعتبر رسالةً قصيرةً موجزة بحق. ولكن إن لجأنا إلى ترجمة أكثر دقة نجد الفائدة أكبر. فالترجمة الأدق هي: "انظروا ما أكبر الحروف التي كتبتُ بها إليكم بيدي نفسي". وهذا لا يدل فقط على أنه لم يكن معتاداً على كتابة الرسائل بنفسه وحسب، بل أيضاً أنه كان يعاني من مرض في عينيه، وكان غير قادر على أن يرى جيداً. أتذكرون مرةً عندما كان يُحاكَمُ في أورشليم، وأمر رئيسُ الكهنة بأن يُضربَ بولس على فمه، فرد بولس عليه ساخطاً وقائلاً: "سَيَضْرِبُكَ اللهُ أَيُّهَا الْحَائِطُ الْمُبَيَّضُ!" (أع ٢٣: ٣)، وقال أحدهم: "«أَتَشْتِمُ رَئِيسَ كَهَنَةِ اللهِ؟»"، وفي الحال اعتذر وقال: "«لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّهُ رَئِيسُ كَهَنَةٍ»". كان لا بد أن يعرفه، على الأقل من خلال ثيابه الكهنوتية، ولكن بولس كان في الركن البعيد من الحجرة ببصرٍ ضعيف، فلم يستطع أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يميز الرجل. ثم هناك النص الكتابي الذي يقترح نفس الأمر. فقد قال لتوه في هذه الرسالة: "إِنِّي أَشْهَدُ لَكُمْ أَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ لَقَلَعْتُمْ عُيُونَكُمْ وَأَعْطَيْتُمُونِي" (غل ٤: ١٥). ما كانوا ليفعلون ذلك لو لم يكن بصره ضعيفاً. لذلك أعتقد أنه من الممكن أن سبب ذلك كان مرضاً في عينيه اضطر لتحمله لسنوات عديدة، ولذلك جلس ليكتب الرسالة كما لو كان نصف أعمى بأحرف كبيرة ممتدة منتشرة. وإذ كان يدرك أن المخطوطة التي كان سيرسلها لم تكن أنيقة مرتبة فإنه اعتذر عن ذلك بقوله: "اُنْظُرُوا، مَا أَكْبَرَ الأَحْرُفَ الَّتِي كَتَبْتُهَا إِلَيْكُمْ بِيَدِي!". أعتقد أن الرسالة بأحرفها الكبيرة قد لامست قلب أولئك الغلاطيين، ولا بد أنها قد جعلتهم يدركون كم كان فعلاً يحبهم، وكم كان مهتماً بهم وقلقاً عليهم، حتى أنه لم يُطِقْ صبراً على الانتظار كي يكتبها بالطريقة المعتادة، بل أرسل هذه الرسالة بأسرع ما أمكنه بعد أن كتبها.

ثم يختم بالقول: "جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا مَنْظَراً حَسَناً فِي الْجَسَدِ، هَؤُلاَءِ يُلْزِمُونَكُمْ أَنْ تَخْتَتِنُوا". لو أمكن الحفاظ على المسيحيين ضمن حظيرة اليهودية وجعلهم طائفة أخرى يهودية لأمكن تجنيبهم بذلك الكثير من الاضطهاد الذي تعرضوا له. ولذلك يقول الرسول بولس، إن هؤلاء المبعوثين من أورشليم الذين يجولون بينكم ليس لديهم خيرٌ لكم في قلوبهم، بل إنما يريدون أن يعملوا منظراً حسناً في الجسد؛ إنهم يريدون أن يحشدوا الكثير من الموالين والمشايعين للتعليم الذي ينادون به، ولكنهم لا يرون أن اسم الرب يسوع المسيح يلازمه فصل أو انفصال. كان ليمكنني أن أمضي معهم وأعمل منظراً حسناً في الجسد أيضاً، وبذلك لن يكون هناك اضطرار للتعرض للاضطهاد من أجل صليب المسيح. ذلك الصليب لم يكن فقط حيث تألم الرب يسوع المسيح من أجل خطايانا بل رمز الفصل. إنه يدل على مدى بغض العالم لابن الله، وبولس جعل تطابقاً بينه وبين ذاك الذي رفضه العالم بازدراء، ولذلك كان يفتخر بذلك الصليب.

عندما يستند الناس إلى أساس قانوني أو شرعي ويقولون لكم أن الخلاص هو بالجهود والمساعي البشرية، فإنهم أنفسهم لا يعيشون وفق اعتراف إيمانهم. لعلكم سمعتم البعض يقول: "لا أعتقد أن على الناس أن يخلصوا بدم الرب يسوع المسيح. أعتقد أنه لو فعل كل امرئ ما في وسعه فهذا كل المرجو منه". هل رأيتم إنساناً فعل كل ما في وسعه؟ هل فعلتم أفضل ما تعلمون؟ تعلمون أنكم أخفقتم مراراً وتكراراً، حتى في تلك الأشياء التي كنتم تعرفون أنها صائبة، وأشياء لم تفعلوها بينما كان يجب أن تعملوها، وأشياء فعلتموها وكنتم تعلمون أنه ما كان يجب عليكم القيام بها. لذلك، فإن الحديث عن الخلاص بأن تعمل ما في وسعك سخيفٌ ومنافٍ للعقل. ما من امرئ فعل كل ما في وسعه، بالطبع ما عدا مخلصنا القدوس الطاهر الذي لا عيب فيه، الرب يسوع المسيح.

قد يقول أحدهم: "يكفيني من الإنجيل أن أتبع ما جاء في العظة على الجبل". هذا قولٌ حسنٌ جداً. ولكن هل رأيتَ إنساناً فعل ذلك؟ أو هل عملتَ أنت هكذا؟ اختبروا أنفسكم بها. اقرأوا متى ٥، ٦، و ٧، واختبروا أنفسكم بصدق. تحققوا من أنفسكم، ولاحظوا كم تقصرون عن عيش هذه الوصايا الثمينة لهذا الخطاب الرائع الذي أدلى به الرب يسوع المسيح. علينا بلا شك أن نعيش أنا وأنتم وفقه. إنه يدل على نوع الحياة التي ينبغي على كل مؤمن أن يعيشها. ولكن إن لم تعش حسب العظة على الجبل، إما من ناحية إحراز الخلاص أو الحفاظ عليه، فإنك في الحال تضع نفسك خارج السرب. إنك لم تحيَ وفقها، وأخشى ألا تفعل ذلك، ولذلك فعليك أن تكون ممتناً وشاكراً لله بالفعل لأنه يخلص الخطأة البؤساء بالنعمة. قد يقول آخر:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

"أعتقد أنه إن حفظنا الناموس الذي أعطاه الله على جبل سيناء (والذي يقول بولس عنه أنه مقدس، وعادل، وصالح)، فإن في ذلك تحقيقٌ لكل ما يطلبه الله أو الإنسان منا". أعتقد أن هذا الكلام معقول فيما يخص العيش الحقيقي. ولكن من جديد أطرح السؤال: هل حفظتموه؟ هل تعرفون أحداً قد حفظه على الإطلاق؟ دعونا لا ننسى هذه الكلمات: "لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُلِّ" (يعقوب ٢: ١٠). ولذلك، وعلى هذا الأساس، ليس من أمل لأي أحد منا. "إن أخفقنا"، يقول البعض، "فإن الله أعطانا الأسرار". ولكن أولئك الذين يتحدثون بهذا الشكل ليسوا متأكدين أبداً من أنهم يحفظون الأسرار على نحو صحيح. أنى لك أن تعرف أنك تحافظ عليهم بشكل كامل؟ قد تخفق في نقاء الهدف وأنت تتناول عشاء الرب، أو في المعمودية. وحتى أولئك الذين يستندون إلى الجهد الذاتي كوسيلة لتحقيق الخلاص لا يحفظون الناموس بشكل كامل. إننا نخفق جميعاً، ولذلك نحن في حاجة لأن نميز حقيقة أن الخلاص هو فقط بنعمة الله المجانية والمنقطعة النظير.

إنهم يريدونكم أن تتبعوهم في تعاليمهم لكي يفتخروا بأجسادكم، على حد قول الرسول بولس. الناس يحبون التبعية، ويحبون أن ينضم إليهم الناس في أي موقف يتخذونه. إذ يخدم كبرياء القلب الطبيعي أن يكون قادراً على تزعّم مجموعة كبيرة.

إزاء كل الجهد البشري يضع بولسُ صليبَ مخلصنا المبارك: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ". عندما قال هذه الكلمات لم يكن يفكر فقط بتلك الأداة الخشبية التي مات عليها يسوع، وبالتأكيد ما كان يفكر بصليبٍ موضوعٍ على برج كنيسة، أو على مذبح كنيسة، ولا بصليبٍ يتدلى من سلسلة على صدرة أو عنقٍ، أو يرتديه أحدٌ كَحلْيةٍ و زينة. عندما كتب عن "صليب ربنا يسوع المسيح"، كان يفكّر بكل ما يتضمنه ذلك الصلب للمخلص المبارك على تلك الخشبة. إن صليب المسيح هو معيار بغض الإنسان لله. فكّروا في هذا الأمر. لقد أرسل الله ابنَه إلى العالم. ملايين من الناس تكلمت عن ذلك في موسم عيد ميلاد المسيح، والتجار اليوم يشجعون الناس على التقيد والاحتفال بمولده لكي يبيعوا بضائع أكثر. وستجد أنه حتى التاجر اليهودي سيتمنى لك عيد ميلاد مجيد إن اشتريتَ منه شيئاً ما. ولكنْ تذكروا ذلك، لقد أنبأنا العالمُ للتو بما يفكر به نحو المسيح. قد يحتفلون بمولده بالهدايا التي يقدمونها لبعضهم البعض، وقد يقيمون حفلات مهيبة واحتفالات عظيمة باسم المسيح المولود في بيت لحم، ولكن هذا العالم قد أظهر موقفَه من يسوع بأن أخذوه على عجل إلى الصليب الروماني. وعندما سأل بيلاطسُ: "ماذا تريدون أن أفعل لكم بيسوع الذي يُدعى المسيح؟" صرخوا بصوت واحد متّفق أن: "اصلبه" (متى ٢٧: ٢٢)، وذاك هو المسيح الذي يعترفون بعبادته اليوم، إنه المسيح الذي صلبوه. بل حتى إنهم ليحتفلون بعيد ميلاد المسيح في خانات المدن، ويحتفون بميلاده بالشرب والسكر والعربدة في ليلة الميلاد أو يوم الميلاد. وسوف يسمّون ذلك محافظة على عيد ميلاد يسوع. إلا أن مسيح بيت لحم هو مسيح الصليب، والعالم قد أطلق حكمه عليه. لقد قالوا: "لا نريد هذا الإنسان أن يملك علينا". ويقول بولس الرسول: "حسناً. إني أناصر هذا الرجل الذي رفضه العالم". وعندما يقول: "حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ"، فكأنه يقول بطريقة أخرى: "إن افتخاري، وفرحي، ومسرتي هي في ذاك الذي صلبه العالم".*

*- كانت هذه الخطبة قد ألقيت خلال موسم عيد الميلاد.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إذاً صليبُ المسيح كان المكان الذي أظهر الله فيه محبته بكامل امتلائها. "فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (١ يوحنا ٤: ١٠). عندما فعل الإنسانُ أسوأ ما أمكنه، بذل الله أفضل ما عنده. عندما قال الإنسانُ: "خذه بعيداً! اصلبْه!"، قبلَه الله بديلاً عن الخطاة، ووقعت عليه الدينونة التي كانت تستحقها خطايانا. ولذلك فعندما قال بولس: "أَفْتَخِرَ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ"، فإنه كان يقصد أن يقول: أفتخر بالمحبة التي أعطانيها يسوع بموته عني أنا الخاطئ.

ولكنه أظهر أن موت المسيح هو موتي وأن عليّ أن أتخذ مكاني معه، معتبراً أن موته هو موتي: في ٢: ٢٠، نقرأ: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي". عندما يقول بولس: "أَفْتَخِرَ بِصَلِيبِ المسيحِ"، فإنه يقصد أن يقول: أقبل صليبَ المسيح صليباً لي؛ أقبل موتَه موتاً لي؛ وآخذُ مكاني معه في كونه مات عن العالم، والخطيئة، وعن الذات، ومن الآن وصاعداً لستُ تحت الناموس بل تحت النعمة. لقد صلبَ الناموسُ مخلصي. لقد استوفى مطالبه عند ذلك الصليب، والآن، وقد تحققت جميعُ مطالبه، فقد تحررتُ من سلطته وأنا حرٌ لأن أسلك أمام الله في النعمة، ساعياً لأن أمجّده في حياة من الطاعة السعيدة لأني أحب ذاك الذي مات هناك ليزيل خطيئتي. كل هذه، وأكثر من ذلك بكثير، يتضمنه التعبير: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ".

أيها المسيحيون، هل اتخذتم هذا الموقف؟ هل تدركون أن صليب المسيح يعني الانفصال الكامل عن العالم الذي رفضه؟ هذا ما نعترف به باعتمادنا؛ وهذا هو ما تعنيه المعمودية المسيحية. لقد سمعتُ من كثيرين عن مؤمن فكّر مليّاً ولوقت طويل قبل أن اتخذ خطوة اقتبال المعمودية لأنه كان يخشى ألا يكون قادراً على أن يحيا وفق ما يمليه عليه هذا الطقس الجميل، وبالطبع فإننا لا نستطيع أن نفعل ذلك بمعزل عن المسيح. ولكن ما الذي يشتمله ذلك؟ تمييزاً وإدراكاً مني بأني قد دُفِنْتُ معه، وأن هذه هي نهاية حياتي كإنسانٍ يحيا بحسب الجسد. ولذلك فقد أُقِمْتُ مع المسيح لأسلك في جدّة الحياة.

أذكر بعض الأخوة الذين كانوا يتحدثون عن علاقة مسيحي بجماعات ذوي ممارسات سرية يحلفون على إبقائها طي الكتمان. [يخبرنا الكتاب المقدس عن الرب يسوع أنه قال: "فِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ" (١٨: ٢٠). ومن هنا أعرف أنه لم يكن أبداً ضمن أي جماعة أو نظام أقسم أعضاءه على كتمان أمرهم، وأنه دعاني لأكون تابعاً له]. قال أحد هؤلاء الأخوة للآخر: "إنك تنتمي إلى الجماعة كذا".

فأجاب: "لا . لستُ كذلك".

فقال الآخر: "بلى. أعرف ذلك. فقد كنتُ هناك في تلك الليلة التي أُدْخِلْتَ في عضويتهم، وعندما ينتمي شخصٌ إلى تلك الجماعة فإنه يبقى فيها حتى الموت".

– "نعم، بالضبط. وإني أقر بما تقول. ولكني قد دفنتُ وثيقة عضويتي في قاع بحيرة أونتاريو".

لقد قصد أن يقول أنه بمعموديته قد آل النظام القديم إلى زوال.

سمعتُ عن امرأة فتية عزيزة كانت مُحبة للدنيا ومنغمسة في شؤونها كلياً، ولكنها أتت في نهاية المطاف إلى المعرفة التي تخلص بالرب يسوع. وجاء أصدقاؤها إلى عيد ميلادها في مساء أحد الأيام ليقيموا حفلة مفاجئة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لها، وأرادوا أن يأخذوها معهم إلى مكان فيه تسلية دنيوية غير سليمة. فقالت: "جميلٌ منكم أن تفكروا بي، لكني لا أستطيع أن أذهب معكم. فأنا لا أذهب أبداً إلى هذه الأماكن".

– "هراء. لطالما ذهبتِ معنا إلى هناك".

– "ولكني دفنتُ الفتاة التي اعتادت أن تذهب إلى تلك الأماكن".

"لستُ أنا الذي أحيا، بل المسيح يحيا فيَّ".

المعمودية المسيحية يجب أن تدل على انفصال عن العالم الذي صلَبَ الرب يسوع المسيح. انظروا إلى إسرائيل. لقد كانوا دائمً مستعبَدين لفرعون، وهناك فرعون قديم على الجانب الآخر من البحر، وهو يصرخ أن: "عودوا إلى هنا واخدموني؛ ضعوا أعناقكم تحت نير عبوديتي من جديد". ويخيل إلي أني أسمعهم يقولون: "وداعاً يا فرعون. فالبحر الأحمر يفصل بموجه بيننا. لقد صُلِبْنا لمصر ومصر لنا". ومن هنا القول: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ". وهكذا صُلِبَ العالمُ لي وأنا للعالم. دعوني أوجه كلمة تحذير هنا. لقد حكم كثيرون على أشياء العالم القذرة، والبذيئة، والفاسدة، والدنسة، ولم يحكموا على العالم المتألق، المثقف، الجميل. إلا أن العالم المتألق، المثقف هو قذرٌ في عيني الله كمثل كثيرين سلكوا معه، قبل أيام من اهتدائهم. يمكنك الخروج من صحبة وشركة الله باتصالك بالعالم المثقف، كما لو أنك تنزل إلى أسفل العالم، والأماكن غير الورعة لوسائل التسلية السوقية.

أيها المسيحيون، ابقوا على مقربة من موطئ أقدام قطيع المسيح، ولا تدعوهم يلاقونكم في الحقول الأخرى. ها هنا ختان حقيقي. لقد كان الختان طقساً يرمز إلى موت الجسد. "فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ المخلوق الجديد"، أو حرفياً: "الخليقة الجديدة". وهذا هو كل ما في الأمر. أنت وأنا من خلال الصليب قد خرجنا من الخليقة القديمة، إن كنا قد خلصنا، وأصبحنا الآن في الخليقة الجديدة التي رئيسها الممجد هو المسيح. انظر إذاً إلى علاقاتك، ومسراتك، وتسليتك، وحياتك الدينية، واحرص على أن تحفظ نفسك في تلك الدنيا التي يُعتَرَفُ فيها بالمسيح رئيساً ورباً.

ثم يضيف قائلاً: "فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هَذَا الْقَانُونِ"– أي قانون؟ فهو لم يضعْ أي قانون. نعم، لقد قال أننا خليقة جديدة. هذه هي الطريقة لامتحان أي شيء يوضع أمامنا. أهو من الخليقة القديمة أم الجديدة؟ إن كان من القديمة، فلا علاقة لي به. فأنا أنتمي إلى الخليقة الجديدة وعليَّ أن أسلك بحسب هذا القانون. "فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هَذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلاَمٌ وَرَحْمَةٌ"، لأنهم سيحتاجون إلى الرحمة على الدوام. سوف لن يحرزوا الكمال في هذه الحياة، إلا أن الله لا ينسى خاصته أبداً. أحياناً ننجرف كثيراً حتى أننا ننساه، بل حتى نشعر كأن قلوبنا قد فترت محبتها له، وكأنه قد تخلى عنا، ولكن دعونا نتذكر دائماً القول: "لا أتركك، لا أهملك" (عب ١٣: ٥). هناك نفي مزدوج في الأصل، فالقول هو: "سوف لن أتركك، أبداً، أبداً، ولن أتخلى عنك". وما من شك في أن الرب المبارك سوف لن يتخلَّ عمن وضع ثقة إيمانه في يسوع، ولذلك فهو دائماً يتعامل معنا برحمة، مسترداً أنفسنا عندما نخفق.

ثم يستخدم الرسول تعبيراً خاصاً ومميزاً جداً: "وَعَلَى إِسْرَائِيلِ اللهِ". فمن يقصد بقوله "إِسْرَائِيلِ اللهِ"؟ لا أعتقد أنه يشير إلى الكنيسة أو ما شابه ذلك، لأنه قد أشار لذلك تواً عندما تكلم عن الخليقة الجديدة. أعتقد أنه يرى إسرائيل الحقيقي في أناس الله الأرضيين الذين يقبلون حقاً شهادة الله والذين يعترفون بخطيئتهم ويؤمنون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالمخلص الذي قدّمه الله. "لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ" (رو ٩: ٦). أن يكون المرء مولوداً من نسل إبراهيم لا يجعله ابناً لإبراهيم. كما وأنه إن كان إنسانٌ مولوداً من إسرائيل لا يجعله إسرائيلياً. عليه أن يمتلك إيمان إبراهيم ليبارَكَ مع إبراهيم المؤمن المخلص، وعليه أن يقتبل المخلص الذي جاء بإسرائيل إن كان يريد أن يُعتبر إسرائيلياً حقيقياً.

أما الآن وقد جعل هؤلاء المهوِّدون علامةً مميزة جداً على الجسد من خلال طقس وقالوا أن الإنسان الذي لا يحمل تلك العلامة يُعتبر نجساً وغير مؤهل لعلاقة الشركة مع المسيحيين، فيقول بولس: لدي علامة أفضل من أي شيء تتكلمون عنه: "فِي مَا بَعْدُ لاَ يَجْلِبُ أَحَدٌ عَلَيَّ أَتْعَاباً، لأَنِّي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ". ما الذي عناه بذلك؟ إن جسده كان قد تجرح عدة مرات كرمى ليسوع، عندما انهالت عليه تلك الحجارة القاسية في لسترة، وعندما جُلِدَ بالسياط وُسِمَ جسَدُهُ، ولكنه يفتخر بتلك الأمور ويقول: "إِنِّي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ". يقول أحدهم: "عندما نصل إلى السماء لن ينظر الله إلى أوسمتنا بل إلى الندوب على أجسادنا". أتساءل إن كنا قد تلقينا أية ندوب من أجل يسوع. إن الكثير من هذه الندوب ليست جسدية، بل هي ندوب في القلب، ولكنه أمر عظيم أن تكون لدينا سمات الرب يسوع.

والآن يختم بولس هذه الرسالة بدون أية تحيات أو سلامات. ففي حين كانت معظم رسائله تحوي الكثير من التحيات لمختلف الناس، إلا أننا نجد هنا أنه لم يرسل أية تحية خاصة أو توصية لأحد منهم، ذلك لأنهم، وكما تلاحظون، كانوا يتلاعبون بسرعة وباستخفاف بأمور الله، ولن تكون هناك فائدة، بعد أن كتب لهم هذه الرسالة الشديدة اللهجة، من أن يسترضيهم بإرسال تحيات حارة قلبية للأخوة في المسيح وكأنه لم يحدث ما يعيق حياة الشركة. ولذلك يكتفي بالقول: "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. آمِينَ". ليعطنا الله جميعاً أن نتمتع بتلك النعمة.